

اقرأ أيضاً لدانيال ستيل

# دانيال ستيل

DANIELLE STEEL



[www.rewity.com](http://www.rewity.com)

^ RAYAHEEN ^

# الرجل

ROGUE

الدار العربية للعلوم ناشرون  
Arab Scientific Publishers, Inc.



[www.rewity.com](http://www.rewity.com)

^ RAYAHEEN ^



ISBN 978-9953-87-717-4



جميع الحقوق محفوظة  
عند الناشر  
www.neelwafurat.com

الدار العربية للعلوم ناشرون  
Arab Scientific Publishers, Inc.  
www.asp.com.lb www.aspbooks.com

الطبعة الأولى: 2007  
الطبعة الثانية: 2008  
الطبعة الثالثة: 2009  
الطبعة الرابعة: 2010  
الطبعة الخامسة: 2011  
الطبعة السادسة: 2012  
الطبعة السابعة: 2013  
الطبعة الثامنة: 2014  
الطبعة التاسعة: 2015  
الطبعة العاشرة: 2016  
الطبعة الحادية عشرة: 2017  
الطبعة الثانية عشرة: 2018  
الطبعة الثالثة عشرة: 2019  
الطبعة الرابعة عشرة: 2020  
الطبعة الخامسة عشرة: 2021  
الطبعة السادسة عشرة: 2022  
الطبعة السابعة عشرة: 2023  
الطبعة الثامنة عشرة: 2024  
الطبعة التاسعة عشرة: 2025  
الطبعة العشرون: 2026  
الطبعة الحادية والعشرون: 2027  
الطبعة الثانية والعشرون: 2028  
الطبعة الثالثة والعشرون: 2029  
الطبعة الرابعة والعشرون: 2030

## الفصل الأول

حلقت طائرة السيمنا كارافان الصغيرة ذات المحرك الواحد بطريقة متدرة بالخطر فوق مستنقعات غرب ميامي. كانت الطائرة على علوٍ كافٍ عن المتظر الطبيعي في الأسفل لالقاط صورة راملة له. لكن الرياح التي تدافعت عبر الكوة المفتوحة، صرقت انتباه المرأة الشابة المتمسكة بحزام الأمان بحيث استطاعت فقط رؤية السماء الواسعة أمامها. طلب منها الرجل الواقف خلفها القفز.

سألت وهي تلقي نظرة عليه من فوق كتفها، وقد بدأ عليها الذعر بوضوح: «ماذا لو لم تفتح مظنتي؟». إنها امرأة طويلة القامة، وشقراء، وحبيبة ذات جسم رائع ووجه ساحر. امتلأت عينها بالذعر.

قال بلايك وبتيامز وقد علت وجهه نظرة موحية بالثقة التامة: «نقي بي، بليندا، ستفتح». القفز هو أحد الهوايات المتعددة التي يمارسها منذ أعوام طويلة، ولطالما أحب مشاركة متعة هذه الهواية مع شخص آخر. وافقت بليندا على فعل ذلك خلال الأسبوع الفائت، بعد تناول المشروب في نادٍ لبلي خاص وفخم جداً في ساوث بيتش. في اليوم التالي، دفع بلايك أجرة ثماني ساعات تعليم لها مع فقرة اختبار بإشراف مدرّبين. أصبحت بليندا جاهزة الآن. إنه لقاءهما الثالث فقط، ونجح بلايك في جعل القفز يبدو مغرياً جداً، بحيث وافقت وهي تضحك على دعوته إياها للقفز معه بعد ثاني لقاء لهما. لم تتوعد المغامرة التي تتورط فيها، إنها تبدو عصبية المزاج الآن، ونساءت كيف أقمها بذلك. فالمرّة الأولى التي قفزت فيها، مع المدرّبين اللذين خصصهما لها، كانت مخيفة حتى الموت، وإنما مثيرة أيضاً. القفز مع بلايك سيكون ذروة التجربة. بالكاد تستطيع الانتظار. كان ساحراً جداً، ووسيماً جداً، وخيالياً جداً، ومزحاً جداً لدرجة أنها مستعدة

بمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفونوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروعة أو بأية وسيلة تنشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

ROGUE

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلف

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينها وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2008 by Danielle Steel

All rights reserved including  
the right of reproduction in whole  
or in part in any form.

Arabic Copyright © 2009 by Arab Scientific Publishers, Inc. S. A. L.

ردمك 4-717-87-9953-978

الطبعة الأولى

1430 هـ - 2009 م

جميع الحقوق محفوظة للناشر



الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين القبية، شارع القاضي نوفيل خالد، بناية الربيع

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

تكون معه، فهو غني، وذكي، وحسن المظهر ويكرّم نفسه للمتعة. بالرغم من نجاحه الكبير قبل أن يتقاعد، لم يكن يوماً وضيعاً في تصرفه. كان لقطة القرن، وبالرغم من أن معظم علاقاته في الأعوام الخمسة الأخيرة كانت وجيزة وسطحية، فإنها لم تنته أبداً بطريقة سيئة. فالنساء أحببته حتى عند انتهاء علاقاتهن السريعة معه. فيما هبط ببطء فوق جزء مختار بعناية من شاطئ غير مأهول، نظرت إليه بليندا بعينين مليئتين بالإعجاب. لا تستطيع التصديق أنها فقزت من الطائرة معه، لكن هذا هو الشيء الأكثر إثارة الذي فعلته في حياتها. لا تظن أنها ستفعل ذلك مجدداً، لكن فيما أسكنا بيدي بعضهما في الهواء، والسماء الزرقاء حولهما، عرفت أنها ستذكر بلايك وهذه اللحظة لبقية حياتها.

«هذا متع، أليس كذلك؟»، صرخ لها وأومات له برأسها. لا تزال مرتبكة جداً للتكلم. فقزت بها مع بلايك كانت أكثر إثارة من تلك التي قامت بها مع الأستاذين قبل أيام. بالكاد تستطيع الانتظار لإخبار كل من تعرفه بما فعلته، وخصوصاً مع من قامت بذلك.

كان بلايك ويليامز مطابقتاً لكل ما قاله الناس عنه. فهو ذو سحر كاف لحكم البلاد، كما أنه يملك المال الكافي لفعل ذلك. بالرغم من خوفها الأولي، كانت بليندا تنبتم حين لامست قدمها الأرض بعد دقائق قليلة، وقام الأستاذان بك مظهرها، فيما هبط بلايك على مسافة تضع أقدام عنها. ما إن تحررا من مظهرهما، حتى أسكنا بين ذراعيه، وقبلها مجدداً. كانت قبلاته ساحرة مثل كل شيء آخر فيه.

«كنت مذهلة!»، قال لها، ورفعها عن الأرض، فيما ابتسمت له وضحكت بين ذراعيه. إنه الرجل الأكثر إثارة الذي التقت به في حياتها. «لا، أنت المذهل! لم أظن أبداً أنني سأفعل شيئاً مثل هذا، إنه الأمر الأكثر جنوناً في حياتي». إنها تعرفه منذ أسبوع واحد فقط.

أخيرها أصدقائها قبلًا بعدم التخطيط لإقامة علاقة جدية معه. بلايك ويليامز يخرج مع النساء الجميلات في كل أنحاء العالم، والالتزام بعلاقة

للحاق به، وتجربة أي شيء تقريباً برفقته، بما في ذلك القفز من الطائرة، بالرغم من أنها بالكاد تعرفه. لكنها شعرت الآن بالذعر مجدداً، فيما جذب وجهها صوبه وقبلها. الإثارة المطلقة للتواجد معه جعلت القفز أسهل عليها، تماماً مثلما تعلمت في درساها، فقزت من الطائرة.

لحق بها بلايك بعد لثوانٍ قليلة. أغضمت عينيها، وصرخت بصوت مرتفع فيما حلّقاً بحرية لدقيقة، ثم فتحت عينيها، وشاهدته يشير إليها لشدة الحبل في مظهرها، متقماً عليها الأستاذان. فجأة، هبط ببطء نحو الأرض فيما ابتسم لها، ورفع لها إبهامه بفخر. لا تصدق أنها فعلت ذلك مرتين خلال أسبوع واحد، لكنه شخص فنان. يستطيع بلايك جعل الأشخاص يفتنون أي شيء يريده تقريباً.

بليندا في الثانية والعشرين من عمرها، وهي عارضة أزياء مشهورة في باريس ولندن ونيويورك. التقت ببلايك في أثناء زيارة أصدقاء في ميامي. جاء من منزله في سان بارنيس للقاء زميل له، ووصل في طائرته الجديدة من طراز 737. استأجر طائرة أصغر حجماً وطياراً ليقتزا في الهواء.

بدا بلايك ويليامز خبيراً في كل شيء يفعله. إنه منزلق على الجليد من المستوى الأولمبي، وهو كذلك منذ كان في الجامعة، وتعلم قيادة طائرتة الخاصة، مع وجود طيار مساعد له، نظراً إلى حجم طائرتهم وتعقيدها. كما أنه بدأ يقفز بالمظلة منذ أعوام. يتمتع بمعرفة مذهلة في الفن، ويمكك إحدى أشهر مجموعات الفن المعاصر والقديم للولايات المتحدة. إنه خبير في الشراب الفرنسي، والهندسة المعمارية، والإبحار، والنساء. يحب الأشياء الراقية في الحياة، ويستمتع بمشاركتها مع النساء اللواتي يخرج برفقتهن. يحمل شهادة ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد، تخرّج من برينستون. إنه في السادسة والأربعين من عمره، ويتقاعد من العمل حين بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، وكرّس حياته كلها للأهواء الذاتية والمتعة، ومشاركة ذلك مع من هم حولته. إنه كريم على نحو يفوق التصور، حسبما قال أصدقاء بليندا لها. إنه الرجل الذي ترغب كل امرأة بأن

واحدة ليس من صفاته، بالرغم من أنه فعل ذلك ذات مرة. لديه ثلاثة أولاد، وزوجية سابقة يقول إنه مجنون بها، وطارئة، ويخت، ونصف دزينة من المنازل الرائعة. يريد فقط تعضية وقت جيد، من دون الادعاء أنه يرغب بالاستقرار، منذ طلاقه. في الوقت الحاضر على أي حال، لا يريد شيئاً سوى اللهو. نجاحه الباهر في عالم الإنترنت والتكنولوجيا كان أسطورياً، تماماً مثلما كان نجاح الشركات التي استثمر فيها. يملك بلايك ويليامز كل ما يريده، وأصبحت كل أحلامه حقيقة. بينما مشياً بعيداً عن الشاطئ حيث هبط، نحو سيارة جيب في انتظارهما، وضع بلايك ذراعاً حول بليندا، ودفعها بالقرب منه، ومنحها قفلة طويلة وقوية. إنه يوم وقت أدركت بليندا أنهما سيقان محفورين في ذاكرتها إلى الأبد. ما هو عدد النساء اللواتي ينتظرن التيجح بأنهن قفزن من طائرة مع بلايك ويليامز؟ ربما أكثر مما تعرف، بالرغم من أن النساء اللواتي خرجن معه لم يكن كلهن شجاعات مثل بليندا.

انهتم المطر على نوافذ عيادة ماكسين ويليامز في الشارع 79 الشرقي في نيويورك. إنه أغزر هطول للمطر في نيويورك لشهر نوفمبر منذ أكثر من خمسين عاماً، مع طقس بارد وعاصف وقارس في الخارج، لكن الجو دافئ في العيادة حيث تمضي ماكسين عشر ساعات أو اثنتي عشرة ساعة يومياً. الجدران مطلية بالأصفر الباهت، وقد عُلقت على الجدران لوحات تجريدية هادئة بألوان باهتة، الغرفة مرحة وجيدة، كما أن الكراسي الكبيرة المحشوة بإفراط التي تجلس عليها للتحدث إلى مرضاها بدت مريحة وجميلة. المكتب عصري وعملي، ومنظم بطريقة فائقة بحيث يبدو وكأنه في وسعك إجراء عملية جراحية فيه. كل شيء في مكتب ماكسين مرتب وشديد الدقة، كانت هي نفسها مرتبة المطهر من دون شعرة واحدة في غير مكانها. تسيطر ماكسين بشكل كامل على كل عالمها. عملت معها سكرتيرتها الموثوقة والفعالة، فيليبيا، لثلاثة أعوام تقريباً. تكره ماكسين الفوضى، والاضطراب من أي نوع، والتغيير. كل شيء فيها، وفي حياتها، ناعم ومنظم ومرتب.

الشهادة المعلقة على جدارها تفيد بأنها ذهبت إلى كلية الطب في هارفارد، وتخرجت منها بدرجة امتياز. إنها طبيبة نفسية، واحدة من أشهر خبراء الصدمات عند الأولاد والمراهقين. لديها خبرة كبيرة في مسائل المراهقين المصابين بانفصام الشخصية والشخصية ثنائية القطبين، وكان انتحار المراهقين أحد اختصاصاتها الفرعية. إنها تعمل معهم وعائلاتهم، وتحقق نتائج ممتازة في أغلب الأحيان. ألقت كتابين ليقا نجاحاً باهراً عن تأثير الصدمة في الأولاد الصغار. تتم دعوتها غالباً إلى مدن ودول أخرى لاستشارتها بعد حصول كوارث طبيعية أو مأس من صنع البشر. كانت عضواً في الفريق الاستشاري للأولاد في كولومبيا بعد حادثة إطلاق النار في المدرسة، وكتبت مقالات عدة عن تأثيرات 11 سبتمبر، وقدمت النصائح للمدارس الرسمية في نيويورك. في عمر الثانية والأربعين، تعتبر خبيرة في مجالها، وهي محط إعجاب وتقدير من قبل زملائها. اعتذرت عن إلقاء خطابات أكثر مما قبلت. فبين مرضاها، والمشورة التي تقدمها للوكالات المحلية والوطنية والدولية، وعائلتها الخاصة، تبدو أيامها وروزنامتها مليئة.

لعلما حرصت بشكل كبير على تعضية الوقت مع أولادها - دافني ابنة الثالثة عشر ربيعاً، وجاك وهو في الثانية عشرة من عمره، وسام في السادسة من عمره. نظراً لكونها أما مطلقة، واجهت المعضلة نفسها مثل أي أم عاملة، وهي التوفيق بين مسؤوليات عائلتها وعملها. وهي لا تحصل على أي مساعدة تقريباً من زوجها السابق، الذي يظهر عادة مثل فارس قزح، من دون إنذار مسبق ولفترة وجيزة، ليعود ويختفي مجدداً. كل المسؤوليات المرتبطة بأولادها تقع على عاتقها، وعليها وحدها.

جلست تحدد إلى النافذة، وهي تفكر فيهم، منتظرة وصول المريض التالي، حين رن الهاتف الداخلي على مكتبها. توقعت ماكسين أن تقول لها فيليبيا إن مرضها، وهو شاب في الخامسة عشرة من عمره، يدخل عبر الباب. إلا أنها قالت لها بدلاً من ذلك إن زوجها على الهاتف. عيست ماكسين عند سماعها العبارة.

«زوجي السابق»، ذكّرتها. تعيش ماكسين مع أولادها لوحدهم منذ خمسة أعوام، وهم يملون بلاةً حسناً برأيها.

«أسفة»، يقول دوماً إنه زوجك... أنسى... كان ودوداً وساحراً جداً، ويصانها دوماً عن صديقها وحيوانها الأليف. إنه واحد من أولئك الأشخاص الذين لا يستطيعون إلا أن تحبهم.

«لا تقلقي، هو ينسى ذلك أيضاً»، علّقت ماكسين بطريقة جافة، وابتسمت فيما رفعت سماعة الهاتف. تساءلت أين هو الآن. لا يمكن التأكيد أبداً مع بلايك. مضت أربعة أشهر على رؤيته الأولاد. أخذهم لزيارة أصدقاء في اليونان في شهر يونيو، وهو يعبر دوماً ماكسين وأولادها يخته كل صيف. يحب الأولاد والدهم، لكنهم يعرفون أيضاً أنهم يستطيعون الاعتماد على أمهم، ويعرفون أن والدهم يأتي ويذهب مثل الريح. كانت ماكسين مدركة تماماً أن لديهم قدرة غير محدودة على مسامحة على أخطائهم، وكذلك كانت هي، طوال عشرة أعوام. إلا أن انغماسه الكلي في الملذات واقتناره إلى المسؤولية أضعفها بالرغم من سحره. «مرحياً بلايك»، قالت له عبر الهاتف، واسترخت على كرسيها. المسافة المحترقة التي تضعها بينها وبينه والسلوك الذي تعتمد عليه عموماً يفتقدان فوراً حين تتحدث إليه. قبالرغم من طلاقهما، لا يزالان صديقين جيدين، وبقياً قريبين جداً من بعضهما. «أين أنت الآن؟».

«في واشنطن العاصمة، وصلت من ميامي اليوم. كنت في سان بارنيس لمدة أسبوعين». خظرت فوراً في بالها صورة منزلها هناك. لم تزره منذ خمسة أعوام. إنه أحد الممتلكات العديدة التي تخلّت عنها له طوعاً بعد الطلاق.

«هل ستأتي إلى نيويورك لرؤية الأولاد؟». لا تريد أن تقول له إنه يجدر به فعل ذلك، يعرف الأمر جيداً مثلما تعرفه هي، لكن يبدو دوماً وكان لديه شيئاً آخر للقيام به. معظم الوقت على أي حال. فيقدر ما يحبهم كثيراً، ولطالما فعل ذلك، يغفرون له ذنوبه، وهم يعرفون ذلك أيضاً. كلهم يحبونه، وهي أيضاً تحبه بطريقها الخاصة. بدأ وكأنه لا يوجد شخص

في العالم لا يحبه، أو على الأقل يستلطفه. ليس لبلايك أعداء، وإنما فقط أصدقاء.

قال باعتذار: «أمتنى لو أنني أستطيع المجيء لرؤيتهم، سأعادر إلى لندن الليلة. لندني اجتماع هناك غداً مع مهندس معماري. أنا أعتبر هندسة المنزل». ثم أضاف، وهو يبدو مثل ولد صغير مأكس، «اشتريت للتو مسكناً مذهلاً في مراكش. سأطير إلى هناك الأسبوع المقبل. إنه قصر مذهل ورائع».

قالت وهي تهز برأسها: «هذا ما تحتاج إليه». إنه غريب. يشترى المنازل أينما ذهب. يغير ديكورها بمساعدة مهندسين ومصممين مشهورين، ويحولها إلى متاحف، ثم يشترى شيئاً آخر. يحب بلايك المشروع أكثر مما يحب النتيجة النهائية.

بملك منزلاً في لندن، وآخر في سان بارنيس، وواحداً في أسين، والجزء العلوي من قصر في البندقية، ومنزلاً كبيراً في نيويورك، والآن اشترى منزلاً في مراكش على ما يبدو. تتساءل ماكسين دوماً عما سيقعله في كل ذلك. لكن مهما فعل، عرفت أنه سيكون مذهلاً مثل أي شيء آخر يلمسه. فهو يتمتع بذوق رفيع، وأفكار جريئة في التصميم. كل منازلها رائعة، وهو يملك أحداً أكبر النخوت في العالم، بالرغم من أنه يستعمله لأسابيع قليلة فقط في السنة، ويعبره إلى الأصدقاء كلما استطاع ذلك. في بقية الوقت، يطير حول العالم، أو يقوم برحلات سفاري في أفريقيا، أو يقوم بغزو لمعارض الفنون في آسيا. سافر إلى القارة القطبية الجنوبية مرتين، وعاد مع صور مذهلة للكتل الجليدية والبطارق. لقد تفوق عالمه منذ وقت طويل على عالمها. إنها راضية بحياتها العادية والمنظمة في نيويورك، بين عيادتها وشقتها المرعبة حيث تعيش مع أولادها الثلاثة، في بارك أفنيو والشارع 84 شرقي. تعود من مكتبها إلى منزلها سيراً على القدمين كل ليلة، حتى في يوم كيثا. فاللزفة القصيرة تتعشا بعد الأمور الصعبة التي تستمع إليها طوال اليوم، والأولاد أصحاب المشاكل الذين تعالجهم. يقوم أطباء نفسيون آخرون بتحويل مرضاهم المعرضين

للاحتجاج إليها في أغلب الأحيان . فالتعاطي مع الحالات الصعبة هو طريقتهما في مساعدة العالم، وهي تحب عملها .

«إذاً، ماكس، كيف حالك؟ كيف حال الأولاد؟»، سأل بلايك وهو يبدو مرثاهاً .

قالت بفخر: «إنهم بخير . عاد جاك للعب كرة القدم مجدداً هذه السنة، وهو يبني بلاطاً حسناً» . الأمر أنبهه بإخبار بلايك عن أولاد شخص آخر . فهو أشبه بعمهم المفضل وليس والدهم . المشكلة أنه كان زوجاً بهذه الطريقة أيضاً . تصعب مقاومته في أي طريقة، لكنه ليس موجوداً أبداً عند وجود شيء صعب لقلعه .

في البداية، كان بلايك يؤسس عمله، وبعد كسبه غير المتوقع، لم يعد متواجداً أبداً . إنه موجود دوماً في مكان ما يستمتع بوقته . أرادها أن تتخلى عن مهنتها، لكن ماكسين لم تستطع فعل ذلك . عملت بكذ كبير لتصل إلى حيث هي الآن . لا تستطيع تخيل نفسها بعيداً عن مهنتها، ولا تريد ذلك، بالرغم من أن زوجها أصبح غنياً فجأة . لم تستطع حتى تقبل كل المال الذي جناه . في النهاية، بالرغم من أنها أحبه، لم يعد في وسعها فعل المزيد . إنهما متناقضان في كل التواحي، فدقتها الكبيرة تتناقض بشكل واضح مع الفوضى التي يخلقها . أينما يجلس، تكون هناك كومة كبيرة من المجلات، والكتب، والأوراق، والطعام الذي لم يتم أكله إلا جزئياً، والمشروبات المرافقة، وأغذية الفول السوداني، وقشر الموز، وقناني المشروبات الغازية التي لم يتم شربها إلا جزئياً، وأكياس الوجبات السريعة التي نسي أن يرميها . يحمل معه دوماً النسخ النهائية لتصميم منزله الأخير، وتعتلج جيوبه بالملاحظات بشأن الاتصالات الهاتفية التي يجدر به القيام بها ولا يفعل ذلك أبداً . في النهاية، تصعب الملاحظات . يتصل الناس دوماً وهم يشاهدون أين يكون .

إنه لامع جداً في العمل، لكن حياته فوضوية كثيراً . إنه رجل ساحر ورائع ومحبوب . سلمت أن تكون الشخص الناضج الوحيد، خصوصاً بعدما رزقا بالأولاد بسبب حضوره العرض الأول لفيلم سينمائي، سافر إلى لوس أنجلوس، وقوتت على نفسه ذكرى ميلاد سام . حين قامت مرببة أطفال

بترك سام يتدحرج عن طاولة تغيير الحفاضات بعد ثمانية أشهر، وكسر ترقوة وذراعاً، وتعرض لصدمة كبيرة على الرأس، استحال العثور على بلايك في أي مكان . فمن دون إخبار أحد، سافر إلى كابو سان لوكاس لروية منزل معروض للبيع، بناه مهندس معماري مكسيكي شهير يحب تصميمه . أضع هاتفه الخلوي على الطريق، واحتاج إلى يومين للعثور عليه مجدداً . في النهاية، أصبح سام بخير، لكن ماكسين طلبت الطلاق من بلايك حين عاد إلى نيويورك .

لم تعد الأمور على ما يرام منذ أن جنى بلايك ماله . احتاجت ماكس إلى رجل له صفات أكثر إنسانية، يكون متواجداً معها، لبعض الوقت على الأقل، لكن بلايك لم يكن موجوداً أبداً . قررت ماكسين أنها تستطيع البقاء لوحدها، بدلاً من الصراخ عليه طوال الوقت كلما اتصل، وتمضية ساعات طويلة وهي تحاول تعقبه حين يحدث خطب معها أو مع الأولاد . أصيب بالذهول حين أخبرته أنها تريد الطلاق، وبكيا . حاول إقناعها بالعدول عن رأيها، لكنها اتخذت قرارها . إنهما يحيان بعضهما، لكن ماكسين أصرت على أن الزواج ليس ناجحاً معها . لم يعد كذلك . لم يعودا يريان الأشياء نفسها . كل ما يريده هو اللهو، فيما تحب هي التواجد هنا من أجل أولادها ومن أجل عملها . إنهما مختلفان كثيراً في العديد من التواحي . كان الأمر منعماً حين كانا شابين، لكنها تضجعت ولم يتضح هو .

«سأحضر إحدى مباريات جاك حين أعود»، وعد بلايك، فيما راقت ماكسين المعطر الغزير المنهمر على نوافذ مكتبها . ومتى سيكون ذلك؟ قالت لنفسها، لكنها لم تلفظ الكلمات . اجاب عن سؤالها غير المعطروح . إنه يعرفها جيداً، أفضل من أي شخص آخر في هذا العالم . كان هذا أصعب شيء في قراقصها . كانا مرشحين جداً مع بعضهما، ويحبان بعضهما كثيراً . ولا يزالان يفعلان ذلك، في العديد من التواحي . بلايك هو عائلتها، وسيكون دوماً كذلك، وأب أولادها . هذا موضوع غير قابل للنقاش بالنسبة إليها . قال لها: «سأتي خلال مناسبة السكر، بعد أسبوعين»، فتهدت ماكسين .

«هل يجدر بي إخبار الأولاد أم أنتظر؟» . لم نشأ تخييب أمهم . فهو

بيدّل خطلطه بلمح البصر ، ويتركهم مهزومين مثلما فعل معها ، ينصرف انتباهه بسهولة . هذا هو الشيء الوحيد الذي تكرهه فيه ، خصوصاً حين يؤثر الأمر في أولادهما . لم يكن بحاجة إلى رؤية النظرة في عيونهم حين قالت لهم إن بابا لن يعود أبداً .

لا يتذكر سام أنهم عاشوا كعائلة واحدة ، لكنه يحب والده على أي حال . كان عمره سنة واحدة حين تطلقا . اعتاد على الحياة بهذه الطريقة ، وهو يعتمد على أمه في كل شيء . أما جاك ودايفي فيعرفان والدهما بصورة أفضل ، بالرغم من أن ذكرياتهما عن الأيام القديمة أصبحت مشوشة .

«يمكنك إخبارهم بأنني سأكون موجوداً ، ماكس . لن أوتّر المناسبة» ، وعدها بصوت رقيق . «ماذا عنك؟ هل أنت بخير؟ ألم يظهر فارس الأحلام بعد؟» . ابتسمت على السؤال الذي يطرحه دوماً . هناك الكثير من النساء في حياته ، لكن ما من واحدة جدية ، ومعظمهن صغيرات السن جداً . ولا يوجد رجال أبداً في حياتها ، فهي لا تملك الاهتمام أو الوقت .

«لم أواعد رجلاً منذ سنة» ، قالت بصديق . لطالما كانت صادقة معه . إنه بمثابة شقيق لها الآن . لا تخفي أسراراً عن بلايك ، ولم يعد هو يخفي الأسرار عن أحد لأن معظم ما يقوم به يظهر في الصحافة . إنه موجود دوماً في أعمدة الأفانيل والأخبار الاجتماعية والفنية مع عارضات أزياء ، وممثلات ، ونجمات روك ، وورثيات غنيات ، وكل امرأة تصل إليه . واعد أميرة مشهورة لوقت قصير ، الأمر الذي أكد ما اعتقدت به ماكس طوال سنوات . إنه بعيد جداً عن عالمها ، يعيش وكأنه على كوكب مختلف عن الكوكب الذي تعيش عليه . إنها الأرض وهو النار .

«لن يقودك ذلك إلى أي مكان» ، وبخها . «أنت تعملين بكث . لطالما فعلت ذلك» .

قالت ببساطة : «أحب ما أقوم به» . لم يكن هذا جديداً بالنسبة إليه . لطالما فعلت ذلك . بالكاد استطاع إقناعها لتأخذ يوم إجازة في أيامها الأولى معاً ، ولهمست أفضل حالاً الآن ، بالرغم من أنها تعضي عطلات

نهاية الأسبوع مع الأولاد . هذا تحسن على الأقل . ذهبوا إلى المنزل في ساوثامبتون الذي اشترته هي وبلايك حين تزوجا . تركه لها بعد الطلاق . إنه منزل جميل ، لكنه أصبح بسيطاً وعادياً جداً بالنسبة إليه الآن . إنه يلائم ماكسين والأولاد تماماً . إنه منزل عائلي قديم وكبير ، قرب الشاطئ .

«هل أستطيع اصطحاب الأولاد لتناول عشاء مناسبة الشكر؟» ، سألتها بحذر . لطالما احترم مشاريعها ، ولم يظهر أبداً ليختفي مع الأولاد . يعرف مقدار الجهد الذي تبذله لتوفير حياة آمنة لهم . إن ماكسين تحب التخطيط مسبقاً .

«لا بأس . سأخذهم إلى منزل أهلي لتناول الغذاء» . كان والد ماكسين طبيبياً أيضاً ، جراح عظام ، وكان دقيقاً جداً بقدرها . تأثرت فيه بصديق وكان مثالاً رائعاً لها ، وهو فخور جداً بعملها . ماكسين هي ابنته الوحيدة ، ولم تعمل أمها أبداً . كانت طفولتها مختلفة تماماً عن طفولة بلايك . فقد كانت حياته سلسلة من ضربات الحظ منذ البداية .

قد تم التكفل ببلايك عند الولادة من قبل زوجين متقدمين في العمر . علم لاحقاً بعد إجراء بعض الأبحاث أن أمه البيولوجية هي فتاة من ألبا كان عمرها خمسة عشر عاماً حين ولدته . كانت منزل وجة بشرطي حين ذهب للقلها ، وأنجبت أربعة أولاد آخرين . كانت مذهولة قليلاً حين التقت ببلايك . ما من شيء مشترك بينهما ، وشعر بالأسف عليها . عاشت حياة صعبة ، من دون مال ، مع زوج يبقى في حالة يرثى لها . أخبرته أن والده البيولوجي هو رجل وسيم وجذاب ، كان عمره سبعة عشر عاماً حين ولد بلايك . قالت إن والده مات في حادث سيارة بعد شهرين من تخرجه ، لكنه لم يكن بنوي الأزواج بها على أي حال . لذا ، قام أجداد بلايك المتشددون بإجبار أمه على عرض الطفل للتكفل بعدما أمضت أشهر حملها في بلدة أخرى . أما والداه بالتكفل فكانا لطيفين وطيبين . عمل الرجل كمحامي ضرائب في وول ستريت في نيويورك ، وعلم بلايك مبادئ الاستثمار السليم . حرص على إرسال بلايك إلى برينستون ومن ثم إلى هارفارد لنيل شهادة الماجستير في إدارة الأعمال . أما المرأة التي ربته فقد أنجزت عملاً تطوعياً وعلمته

أهمية ردّ الجميل للعالم. تعلم هذين الدرسين جيداً، وما هي مؤسسته تدعم العديد من الجمعيات الخيرية. يحزّر بلايك الشيكات للجمعيات بالرغم من أنه لا يعرف أسماء معظمها.

دعاه أهله بالتكفل بقوة لكنهما ماتا مباشرة بعد زواجه بماكسين. أسف بلايك لأنهما لم يعرفا أولاده أبداً. كانا شخصين رائعين، وحنونين، ومخلصين. لم يبقوا أيضاً على قيد الحياة لروية تجاهه الصاروخي. يتساءل أحياناً كيف كانا سيتفعلان مع طريقة عيشه الحالية، ويقلق بين الحين والآخر، في وقت متأخر من الليل، من عدم موافقتهما على هذا النمط من الحياة. إنه يدرك تماماً كم هو محظوظ، وكم دال نفسه، لكنه يستمتع بكل شيء يقوم به، ويصعب عليه الآن العودة إلى الخلف. فقد اعتمد طريقة عيش تمنحه المتعة والسرور، وهو لا يؤدي أحداً. يرغب بروية أولاده أكثر، لكن يبدو نوعاً ما أنه لا يوجد وقت كافٍ لذلك. إنه يعوّض عليهم حين يراهم. بطريقته الخاصة، يصيح والدهم العلم أمامهم. يستطيعون فعل أي شيء يريدونه، وهو قادر على تدليلهم وتلبية كل رغباتهم بطريقة يحزّر عنها أي شخص آخر. ماكسين هي الأم الصارمة والمرتبطة التي يعتمدون عليها، فيما هو الغزابة والمرح. كان مكنّا بالنسبة إلى ماكسين أيضاً نوعاً ما، حين كانا شابين. لكن كل شيء تغير حين نضجا. أو بالأحرى، هي نضجت بينما بقي هو عديم المسؤولية.

من ثم سأل ماكس عن حال أهلكما. لطالما كان مولعاً بالدها. كان رجلاً جدياً ويعمل بكد، كما أنه صاحب قيم جيدة وأخلاق رزنية، بالرغم من أنه يفتقر إلى المخيلة. إنه بطريقة ما نسخة أكثر صرامة عن ماكسين. بالرغم من الاختلاف الكبير في أسلوبيهما ولقسمتهما بشأن الحياة، اتفق جيداً مع بلايك. لطالما مازح والدها بلايك بالقول عنه إنه نذل. يحب بلايك ذلك حين يناديه بهذه الطريقة. يبدو له هذا جذاباً ومثيراً جداً. لكن خاب أمل والد ماكس في الأعوام الأخيرة لأن بلايك لم يعد يرى أولاده، بالرغم من إدراكه أن ابنته تعوّض جيداً عن ذلك حين يقضّر بلايك، وأسف لأنها تتحمل مسؤولية كل شيء لوحدنا.

«إذاً، أراك نائلة مناسبة الشكر»، قال بلايك فيما أنهى الاتصال. «سأتصل بك صباح ذلك اليوم وأخبرك عن وقت وصولي. سأطلب من اختصاصي في تحضير الطعام القدوم لتحضير العشاء. يمكنك الانضمام إلينا». قال بكرم وأمل أن تغفل ذلك. لا يزال يستمتع بصحتها. لم يتغير أي شيء، ولا يزال يعبرها امرأة مثقلة. تمنى فقط أن تسترخي وتستمتع أكثر. رأى أنها أفرطت في الالتزام بعيداً العمل المتزمت.

رَنّ جرس هاتفها الداخلي على الخط الثاني فيما كانت تودع بلايك عبر الهاتف. لقد وصل مريض الساعة الرابعة، وهو شاب في الخامسة عشرة من عمره. أقلت الساعة، وفتحت باب مكتبها، فيما دخل مريضها. جلس على أحد الكرسيين الكبيرين قبل أن ينظر إليها مباشرة ويقول لها مرحباً.

قالت بارتياح: «مرحباً، تيد، كيف الحال؟». مرّ كنفه فيما أغلقت الباب، وبدأت جلستهما. لقد حاول شق نفسه مرتين. أدخلته المستشفى لمدة ثلاثة أشهر، وأصبح أفضل حالاً بعد مرور أسبوعين على وجوده في المنزل. بدأ يكشف عن ملامح شخصية ثنائية القطبين حين كان في الثالثة عشرة من عمره. إنها تعابه ثلاث مرات أسبوعياً، ويذهب مرة في الأسبوع للانضمام إلى مجموعة مراقبين حاولوا الانتحار قبلاً. إنه يبلى بلاة حسناً، وأقامت ماكسين علاقة جيدة معه، يحبها مرضاهم كثيراً. لديها طريقة رائعة في التعاطي معهم. وهي تهتم لأمرهم كثيراً. إنها طبيبة جيدة وإنسانة طيبة.

دامت الجلسة خمسين دقيقة، استراحت بعدها لعشر دقائق، نجحت خلالها في إجراء اتصاليين هاتفيين، وبدأت جلستها الأخيرة لليوم مع فاة في السادسة عشرة من عمرها تعاني من الأوروكسيا. إنه كالعقاد يوم طويل وشاق ومثير، يتطلب الكثير من التركيز. أجرت بعد ذلك بقية اتصالاتها، وعند الساعة السادسة والنصف كانت تعود سيراً على القدمين إلى المنزل تحت المطر. وهي تفكر في بلايك. مُزّت لأنه سيأتي خلال مناسبة الشكر، وعرفت أن أولادهما سينحسون كثيراً. تساءلت ما إذا كان ذلك يعني عدم



قدمه لرويتهم خلال عطلة الميلاد. قد يرغب بالقاء بهم في اسبن. فهو يفضي نهاية العام هناك عادة. مع كل خياراته ومنازله الجميلة، تصعب معرفة أين سيكون في أي وقت. الآن، مع إضافة المغرب إلى اللائحة، قد يصعب تعقبه أو تقفي أثره. لا تعارضه في ذلك، فهذه هي طريقته، حتى لو كانت تعيظها أحياناً. ما من خبث لديه، ولكن ما من حس للمسؤولية أيضاً. يرفض بلايك النضوج. من المنع التواجد معه، طالما أنك لا تتوقع أبداً الكثير. يفاجئهم بين الحين والآخر، وينجز شيئاً رائعاً فعلاً، ثم يعود للاخفاء مجدداً. تساءلت ما إذا كانت الأمور ستختلف لو أنه لم يكن الثروة التي جناها في عمر الثمانية والثلاثين. فقد غير ذلك حياته وحياتهم إلى الأبد. نصت تقريباً لو أنه لم يكن كل هذا المال من عمله في مجال الإنترنت. كانت حياتهما حلوة معاً قليلاً. لكن، تبدل كل شيء مع المال.

التقت ماكسين ببلايك حين كانت طبيبة مناوبة في مستشفى ستانفورد. كان يعمل في سيليكون فالي، في عالم الاستثمارات التكنولوجية. كان يخطط لتأسيس شركته الخاصة حينها، ولم تفهم الأمر جيداً أبداً، لكنها ذهلت بطاقته الكبيرة وشغفه بالأفكار التي يطورها. التقيا في حفلة لم تكن ترغب بالذهاب إليها، لكن صديقتهما أصرت على اصطحابها معها. كانت تعمل في قسم الصدمات لمدة يومين متتاليين، وكانت نصف نائمة ليلة التقيا. أيقظها بلايك بضربة قوية. أخذها في اليوم التالي للتخليق في طائرة مروحية، وحقناً فوق الخليج، وتحت جسر غولشن غيت. كان التواجد معه حماسياً كثيراً، واشتعلت علاقتهما بعد ذلك مثل نار الغابة في الزياح القوية. تزوجا خلال أقل من سنة. كانت في السابعة والعشرين من عمرها حين تزوجا، وكانت سنة عاصفة جداً. بعد عشرة أشهر من زواجهما، باع بلايك شركته بشروءة طائلة. البقية تاريخ. كسب المزيد من المال، من دون أي جهد مظاهر. أراد المجازفة في كل شيء، وكان عقرياً فعلاً في ما يقوم به. ذهلت ماكسين بصيرته القوية، وبراعته، وذكائه الحاد.

حين ولدت دافني، يعد ستين من زواجهما، جنس بلايك مقداراً غير مسبوق من المال، وأراد أن تتخلى ماكس عن مهنتها. لكنها أصبحت

بدلاً من ذلك رئيسة قسم في وحدة الطب النفسي للمراهقين، وأماً لدافني، ووجدت نفسها متزوجة بأحد أغنى الرجال في العالم. هذا كثير لاستيعابه والتكيف معه. نتيجة إنكارها أو تقهها المفرطة بقدرة إرضاع طفلها على الحؤول دون حملها، حملت بجاك بعد ستة أسابيع من ولادة دافني. وحين ولد الطفل الثاني، كان بلايك قد اشترى المنزل في لندن وواحد آخر في أسبن، وطلب اليخت، وانتقلوا للعيش في نيويورك. تقاعد من العمل بعد فترة وجيزة. وحتى بعد ولادة جاك، لم تتخل ماكسين عن مهنتها. كانت إجازة الأمومة أقصر من رحلات بلايك، علماً أنه كان يسافر إلى كل أرجاء العالم حينها. استخدموا مربية للعيش معهم، وعادت ماكسين إلى العمل.

كان غريباً أن تعمل هي فيما بلايك لا يعمل، لكن الحياة التي عاشها أخافتها. فقد كانت سريعة وجريئة ومتهورة بالنسبة إليها. وفيما فتحت ماكسين عيادتها الخاصة، ووقّعت على مشروع أبحاث مهم حول صدمات الطفولة، استخدم بلايك أهم مهندس دكتور في لندن لتنسيق منزلهم، ومهندساً آخر للاهتمام بمنزل أسبن، واشترى منزلاً في سان يارتس كهدية لها في الميلاد، وطائرة لنفسه. رأت ماكسين أن الأمور تحصل بسرعة كبيرة جداً، وبعد ذلك، لم تتباطأ الوتيرة أبداً. أصبح لديهما منازل، وطفلان، وثروة هائلة، وكان بلايك على أغلفة مجلتي نيوزويك ونايم. استمر في القيام بالاستثمارات، التي استمرت في زيادة أمواله أضعافاً وأضعافاً، لكنه لم يعد أبداً للعمل بطريقة منطقية. فهمها فعل، كان يتدبر أمره عبر الكمبيوتر والهاتف. في النهاية، بدا أن زواجهما وحياتهما أصبحا يتّمان عبر الهاتف أيضاً. كان بلايك محباً كثيراً في أثناء تواجدهما مع بعضهما، لكنه لم يكن موجوداً معظم الوقت.

في مرحلة ما، فكرت ماكسين في التخلي عن العمل، وتحدثت إلى والدها بشأن ذلك. لكنها استنتجت في النهاية أنه لا جدوى من ذلك. ماذا ستعمل حينها؟ التخليق معه من منزل إلى آخر، والمكوث في فنادق في المدن الأخرى التي لا يملكون فيها منازل، أو الذهاب معه في العطلات المذهلة التي يقوم بها، في رحلات سافاري إلى أفريقيا، أو تسلق الجبال

ودافني في السابعة حين ولد سام. فَوَتَ بلايك حضور الولادة، ووصل في اليوم التالي مع علية من هاري وينستون في يده. أهدى ماكسين خاتماً زمردياً 30 قيراطاً، وكان مذهلاً، لكن لم يكن هذا ما تريده منه. فضلت بدلاً من ذلك تمضية المزيد من الوقت معه. اشتاقت إلى أيامها الأولى في كاليفورنيا، حين كانا يعملان وكانا سعيدين، قبل أن يحقق أرباباً طائلة في مجال الإنترنت الذي غير حياتهما بطريقة جذرية.

حين وقع سام عن طاولته بتبديل الحفاضات بعد ثمانية أشهر، وكسر ذراعه وأصاب رأسه، لم تستطع العثور على والده طوال يومين. وحين عثرت عليه أخيراً، في كابو، كان في طريقه إلى البندقية للبحث عن صور ومحاولة شراء واحد كمفاجأة. في تلك المرحلة، سمعت المفاجآت، والمنازل، والمهندسين، والمزيد من المنازل التي يعجزون عن زيارتها كلها، لطلالما أراد بلايك لقاء أشخاص جدد، أو الذهاب إلى أمكنة جديدة، أو اكتساب أعمال جديدة أو الاستثمار فيها، أو مغامرات جديدة للشروع فيها. أصبحت حياتهما منفصلتين جداً في ذلك الحين، لدرجة أنه عندما صاد بلايك بعدما أخبرته عن حادثة سام، انفجرت في البكاء حين رآه وقالت إنها تريد الطلاق. هذا كثير، بكت بقوة بين ذراعيه وقالت إنها لم تعد تستطيع تحمل المزيد.

اقترح عليها بهدوء «لماذا لا تتوقفين عن العمل؟ أنت تعملين كثيراً. ركّزي فقط علي وعلى الأولاد. لم تحصل على المزيد من المساعدة، وتستهطعين أنت السفر معي». لم يأخذ طلبها للطلاق على محمل الجد في البداية. إنها وحبان بعضهما. لم يريدان الطلاق؟

قالت ببأس وهي تدفن رأسها في صدره: «إذا فعلت ذلك، فإني أرى يبدأ أولادي، مثلما تفعل أنت الآن. متى جئت إلى المنزل لأخر مرة وأمضيت فيه أكثر من أسبوعين؟». فكر في الأمر وبدأ بلا تعبير. إنها محقة، بالرغم من أنه شعر بالإحراج من الاعتراف بذلك.

«ماكس، لا أعرف. لم أفكر أبداً بهذه الطريقة».

في الهيمالايا، أو تمويل حفريات علماء الآثار، أو سباق اليخوت؟ ما من شيء يعجز بلايك عن القيام به، أو بالأحرى يخشى القيام به. يريد فعل، وتجربة، وتذوق وامتلاك كل شيء. لم تتخيل نفسها وهي تجرّ طفلين معها إلى معظم الأماكن التي يذهب إليها، ولذلك بقيت معظم الوقت مع الولدين في نيويورك، ولم تستطع أبداً إقناع نفسها بضرورة التخلي عن العمل. فكل ولد حاول الانتحار، وأكل طفل تعرض للصدمة، أفعما بوجود حاجة إلى ما تقوم به. فازت بجائزتين مهمتين على أبحاثها، وشعرت أحياناً أنها مصابة بالقصام وهي تحاول التوفيق بين زوجها في حياته المعقّلة بين البندقية، وسردينيا، وسان موريتز، وبين دار العضاة لاصطحاب ولديها في نيويورك، وبين العمل على مشاريع أبحاث نفسية وإلقاء المحاضرات. كانت مسؤولة عن حياة ثلاثة أشخاص دفعة واحدة. وفي النهاية، توقف بلايك عن توسلها للذهاب معه، وأدّعت لفكرة السفر لوحده. لم يعد قادراً على الجلوس ساكناً، وأصبح العالم رهن إشارته، وغير كبير كفاية ليتسع له. أصبح زوجاً ووالداً غائباً بين ليلة وضحاها، فيما حاولت ماكسين الإسهام في تحسين حياة المراهقين والأولاد الصغار الذين حاولوا الانتحار وتعرضوا للصدمة، وحياة ولديهما. أصبحت حياتها بعيدة جداً عن حياة بلايك. مهما أحياناً بعضهما قبلاً، بقي ولداهما الجسر الوحيد الرابط بينهما.

في السنوات الخمس التالية، عاشا حياتين منفصلتين، والتقى لفرات وجيزة في أنحاء العالم، متى وأينما يلازم بلايك، ثم حملت بالصغير سام. كان ذلك قد حصل حين التقيا خلال عطلة نهاية أسبوع في هونغ كونغ، مباشرة بعد لقاء بلايك بأصدقائه في النيبال. كانت ماكسين قد فازت للتو بمنحة لبحث جديد حول الأنوركسيا عند الفتيات الصغيرات. اكتشفت أنها حامل، ولم تتحسس هذه المرة على عكس المرزتين السابقتين. إنه شيء إضافي عليها التعايش معه، طفل إضافي لتعتني به لوحدها، قطعة إضافية من أحجية معقدة جداً وكبيرة جداً. لكن بلايك كان مسروراً كثيراً. قال إنه يريد نصف ذرية من الأولاد، وهذا غير منطقي بالنسبة إلى ماكسين. فهو بالكاد يرى الولدين اللذين أنجبهما. كان جاك في السادسة من عمره

«أعترف أنك لا تفعل». بكت أكثر ومسحت أنفها. «لم أعد أعرف أين تكون. لم أستطع العثور عليك طوال أيام حين تعرض سام للحادث. ماذا لو مات؟ أو مت أنا؟ لا يمكننا أن نعرف».

«أسف صغيرتي، سأحاول البقاء على اتصال بكم. تصورت فقط أنك تسيطرين على كل شيء». كان مسروراً بتحملكما كل المسؤولية فيما هو يلهر.

«أنا أسيطر فعلاً. لكنني سمعت من فعل ذلك لوحيد. بدلاً من أن تطلب مني التخلي عن مهنتي، لم لا تتوقف أنت عن السفر كثيراً وتبقى في المنزل؟». لم تأمل كثيراً في ذلك، لكنها حاولت.

«تملك الكثير من العنازل الراضعة. وهناك الكثير من الأمور التي أريد أن أقوم بها». لقد قرأ للتو الدعم لمسرحية في لندن، ألفها كاتب شاب دعمه طوال عامين. أحب أن يكون عزاباً للفتون، أكثر من المكوث في المنزل. أحب زوجته وعشق أولاده، لكنه يسأم من البقاء في نيويورك. نجحت ماكسين طوال ثمانية أعوام في التكيف مع التبدلات في ظرفيها، لكنها لم تعد تستطيع تحمل المزيد. أرادت الاستقرار والحياة الثابتة التي بات بلايك يكرهها الآن. يحب هو دفع الأطراف الخارجية للظرف حتى لا يبقى أي ظرف على الإطلاق. حدد مصطلح الزوج الحر بظرائق لم توقعها ماكسين أبداً. وبما أنه لم يعد موجوداً أبداً، ولا تسمع عنه شيئاً معظم الوقت، تصورت أنها تستطيع القيام بالأمر لوحدها. بات يصعب عليها أكثر فأكثر إقناع نفسها بأنها متزوجة. وتستطيع الاعتماد عليه في كل شيء. لكنها أدركت أخيراً أنها لا تستطيع ذلك. أحبها بلايك، لكنه كان غائباً بنسبة خمسة وتسعين بالمئة من الوقت. لديه حياته، واهتماماته، ومشاريعه الخاصة التي لم يعد لها أي مكان فيها.

هكذا، نطقت وبلايك قبل خمسة أعوام، بدموع وندم، وإنما بطريقة حضارية. أعطاها الثقة في نيويورك والمنزل في ساوثامبتون، وكان ليعطيها منازل أكثر لو أرادت، لكنها لم ترد ذلك، وعرض عليها مبلغاً يصدم أي شخص. شعر بالذنب لأنه كان زوجاً ووالداً غائباً خلال الأعوام

الأخيرة، لكن توجب عليه الاعتراف أن الأمر يلائمه تماماً. كره الاعتراف بذلك، ولكنه شعر وكأنه مسجون داخل علية كبريت، ويكفي بالحياة التي تعيشها ماكسين في نيويورك.

رفضت المبلغ المالي، واكتفت بأخذ المبلغ المخصص لأولادها. نجني ماكسين أكثر مما يلزم من مهنتها لتعيل نفسها، ولذلك لا تريد أي شيء منه. وهي تعتبر أن هذا هو مال بلايك وليس مالها. لم يصدق أحد من أصدقائه أنها كانت عادلة إلى هذا الحد. لم يجربوا اتفاقاً قبل الزواج لحماية أصوله، لأنه لم يكن يملك شيئاً حين التقيا. لا تريد أن تأخذ أي شيء منه، لأنها أحبه وتريد الأفضل له وتتمنى له الخير. كل هذه العوامل جعلته يحبها أكثر في النهاية، وبقي صديقين حميمين. لطالما قالت ماكسين إنه مثل شقيقها الثالث، وبعد صدمتها إزاء مسألة خروجه برفقة فتيات، ومعلمين في نصف عمره، أو عمرها، أصبحت تنظر إلى المسألة من منطلق فلسفي. همها الوحيد أن يكن لطيفاً مع أولادها.

لم تتورط ماكسين في أي علاقة جدية منذ تركته. فمعظم الأطباء والأطباء النفسيين الذين التقت بهم كانوا متزوجين، واقتصرت حياتها الاجتماعية على أولادها. خلال الأعوام الخمسة الماضية، كانت منهكة جداً بأسور عائلتها ويعملها. واعدت رجالاً التقت بهم بين الحين والآخر، لكنها لم تغرم بأحد بعد بلايك. كان نموذجاً صعباً. إنه والد غير مسؤول، وغير موثوق به، وغير منظم، وغير ملائم بالرغم من كل نواياه الجيدة، وهو زوج خسيس في النهاية، لكن ما من رجل على الأرض، برأيها، أكثر لطافة واحتراماً وطيبة ومرحاً منه. تمننت غالباً أن تكون لديها الشجاعة لتتصرف بحرية مثله. لكنها احتاجت إلى النظام، والأساس المتين، والحياة المنظمة، ولم تكن لديها الميول نفسها، أو الجنون نفسه، مثل بلايك لتحقيق أحلامها الأكثر غرابة. كانت تحسده أحياناً على ذلك.

ما من شيء في العمل أو الحياة محقوفاً بالكثير من المخاطر بالنسبة لبلى بلايك، ولهذا السبب حقق نجاحاً كبيراً. لا بد من امتلاك الشجاعة لفعل ذلك، وامتلك بلايك وويليامز ما يكفي منها. شعرت ماكسين أنها أشبه

صغيراً كفاية ليرغب الجميع بمعانقته ولا سيما أمه.

دخلت ماكسين المصعد، وقطرات الماء على قدميها. وصلت إلى الشقة، واحدة من شقتين فقط في الطابق، تقاعد مالكو الشقة الأخرى وانتقلوا إلى فلوريديا قبل أعوام، ولا يأتون إلى هنا أبداً، ولذلك لا نحتاج ماكسين والأولاد إلى التعلق كثيراً بشأن الضجيج، وهذا أمر جيد، مع ثلاثة أولاد تحت سقف واحد، بينهما صبيان.

استطاعت سماع الموسيقى العالية تصدح فيما خلعت معطفها في الردهة الأمامية، ولقته حول حامل المظلات. خلعت حذاءها هناك أيضاً، وكانت قدماها مبلتين، وضحكت حين شاهدت صورتها في المرآة. بدت مثل جرد ميل، مع وجنتين ورديتين من شدة البرد.

«ماذا فعلت؟ سبحت في المنزل؟»، سألتها زيلدا، المريبة، حين شاهدتها في الردهة. كانت تحمل كدسة من الغسيل التلطيف بين ذراعيها. إنها معهم منذ ولادة سام وهي بمثابة هدية بالنسبة إليهم جميعاً. «لماذا لم تستلقي سيارة أجرة؟».

قالت ماكسين، وهي تبتسم لها: «كنت بحاجة إلى الهواء». لزيلدا وجه دائري وممتلئ، وتصف شعرها في صغيرة غليظة، وهي بعمر ماكسين تقريباً. لم تتزوج أبداً، وعلمت كمرربة منذ كانت في الثامنة عشرة من عمرها. لاحتها ماكسين إلى المطبخ، حيث كان سام يرسم على طاولة المطبخ، وهو يرتدي ثياب نوم نظيفة بعد الاستحمام. أعطتها زيلدا بسرعة كوب شاي، تشمر دوماً بالارتياح عند العودة إلى المنزل، والتأكد من أن كل شيء تحت السيطرة. تماماً مثل ماكس، كانت تهتم للظافة بطريقة مهووسة، وأمضت حياتها وهي تنظف وراء الأولاد، ونظمو لهم، وتأخذهم بالسيارة إلى كل مكان حين تكون مهم في العمل. تتولى ماكسين المهمة خلال عطلات نهاية الأسبوع. تكون زيلدا في إجازة مبدئياً، وتحب الذهاب إلى المسرح حين تستطيع ذلك، لكنها تبقى عادة في غرفتها، تسترخي وتقرأ، إنها مخلصه تماماً للأولاد وأهمهم. إنها مربيته منذ اثني عشر عاماً وأصبحت جزءاً من العائلة. لا تهتم كثيراً لبلايك الذي تعتبره

بفأرة مقارنة به. فبالرغم من أنها كانت امرأة مميزة هي الأخرى، كانت إنسانة أكثر وأفعية. من المؤسف أن زواجها لم يتجح. كانت ماكسين مسرورة كثيراً لأنها أنجبا الأولاد. إنهم متعة حياتها ومحورها، وكل ما تحتاج إليه في الوقت الحاضر. في الثانية والأربعين من عمرها، لم تكن متمسكة للعشور على رجل آخر. لديها عمل جيد، ومرضى تهتم لأمرهم كثيراً، وأولاد رائعون، هذا كاف في الوقت الحاضر، لا بل أكثر من كاف أحياناً.

رفع الحارس قبعة فيما دخلت ماكسين المبنى في بارك أفنيو، على بُعد خمسة ميانٍ من عيادتها. إنه مبنى قديم مع غرف كبيرة، تم تشييده قبل الحرب العالمية الثانية. كانت ميالة من رأسها حتى أحمض قدميها من المطر. فالرياح قلبت مظلتها رأساً على عقب ومزقتها بعد عشر خطوات من مكتبها، ورمتها بعيداً. كان معطفها مبللاً، وشعرها الأشقر الطويل، الذي تربطه إلى الخلف في جديلة مرتبة حين تعمل، كان ملتصقاً برأسها، لم تتبرج في ذلك اليوم فيدا وجهها نضراً وشاباً ونظيفاً. هي طويلة القامة ونحيلة، وتبدو أصغر من عمرها، ولطالما أشار بلايك إلى أنها صاحبة سابقين مذهلين، بالرغم من أنها نادراً ما تكشف عنهم بارتداء التنانير القصيرة، فهي ترتدي عادة المرابيل خلال العمل والجنيز في عطلات نهاية الأسبوع. لم تكن امرأة انتهازية تعتمد على جمال جسدها لتعجب الآخرين. كانت رزينة ومحترمة، ولطالما مازحها بلايك بالقول إنها تذكره بلويس لاين. كان ينزع عن عينيها النظارة التي تضعها حين تجلس أمام الكمبيوتر، ويرخي شعرها الطويل بلون القمح، فتبدو فوراً جذابة رغماً عنها. ماكسين امرأة جميلة، أنجبت من بلايك ثلاثة أولاد وسبعين. شعر بلايك داكن فيما شعرها فاتح، وعيناها زرقاوان تماماً مثل عينيها. بالرغم من أنها طويلة القامة، بطول ست أقدام وأربعة إنشات، فهو أطول منها بكثير. كانا ثنائياً لائقاً للنظر. ورث كل من دافسي وجاك الشعر الأسود عن والدهما والعينين الزرقاوين عنهما معاً، فيما شعر سام أشقر مثل شعر أمه، وهو ذو عينين خضراوين مثل عيني جده. إنه ولد جميل، ولا يزال

وسمياً ومدللاً، ووالداً حسيباً لأولاد. لظالما شعرت أنهم يستحقون منه أفضل مما حصلوا عليه، ولا تستطيع ماكسين القول لها إنها غير محقة، لقد أحبه. لكن زيلدا لم تفعل.

كان المطبخ مزخرفاً بالأخشاب المبيضة، مع رفوف من الفرانيت قشدية اللون وأرضية من الخشب المتين. إنها غرفة حميمة يجتمعون كلهم فيها، وفيها أريكة ونلغاز، حيث تشاهد زيلدا المسلسلات والبرامج الحوارية. وهي تفتس بعض العبارات منها، كلما أتحت لها الفرصة.

قال سام: «مرحباً أمي»، وهو متكئ على العمل مع قلم أرجواني، فيما نظر إلى أمه وهي تدخل.

«مرحباً حبيبي. كيف كان يومك؟». قِيلَت أعلى رأسه، وعبثت بشعره.

«جيد. تقيأت ستيفي في المدرسة»، قال بطريقة بديهية وهو يستبدل القلم الأرجواني بأخر أخضر. كان يرسم منزلاً، وراعي بقر وفوس قزح. لم تلاحظ ماكسين أي شيء في الرسم، وكان ولداً طبيعياً وسعيماً. اشتاق إلى والده أقل من الآخرين، لأنه لم يعش أبداً معه. كان أخوه وأخته أكثر إدراكاً لخسارتها.

«هذا مؤسف»، علقت ماكسين على المسكينة ستيفي. أملت أن يكون السبب شيئاً تناولته، وليس نوعاً جديداً من الانفلونزا ينقش في المدرسة. «هل أنت بخير؟».

«نعم»، أو ما سام برأسه، فيما نظرت زيلدا إلى القرن، وتحققت من العشاء، ودخلت دافني المطبخ. إنها في الثالثة عشرة من عمرها، وبدأ جسمها ينضج ويكشف عن منحنيات جديدة، وقد أصبحت في الصف الثامن. إنهم يدرسون جميعاً في الدتون، وأحبت ماكسين المدرسة.

«هل أستطيع استعارة كنزك السوداء؟»، سألت دافني، وأخذت قطعة من نقاعة كان سام يأكلها.

«أي واحدة؟». نظرت إليها ماكسين بحذر.

«نلك التي يوجد فرو أبيض عليها؟ تقيم إيما حفلة الليلة»، قالت دافني بطريقة لامبالية، وهي تحاول أن تبدو وكأنها لا تهتم، لكن بدأ جلياً لأنها أنها تهتم كثيراً. إنه يوم الجمعة، وبانت هناك حفلات في كل عطلة نهاية أسبوع تقريباً في الأونة الأخيرة.

«إنها كنزة مبالغ فيها قليلاً بالنسبة إلى حفلة عند إيما. أي نوع من الحفلات هي؟ شباب؟».

«ممم... نعم... ربما...»، قالت دافني وابتسمت ماكسين. «ربما»، برأيي، قالت لنفسها. تدرج تماماً أن دافني تعرف كل التفاصيل. وهي تحاول التأثير في أحدهم، وهو على الأرجح شاب في الصف الثامن، عبر استعارة كنزة فالنتينو الجديدة الخاصة بماكسين.

«ألا تظنين أن هذه الكنزة كبيرة جداً عليك؟ ما رأيك بشيء آخر؟». فهي لم ترتد هذه الكنزة بعد. كانت تقدم لها الاقتراحات حين دخل جاك وهو لا يزال يتعلم حافظات النعل. صرخت زيلدا لحظة رأتهما وأشارت إلى قدميه.

«أبعدها عن الأرض. انزعها الآن!»، أمرته، فيما جلس على الأرض ونزعها مبتسماً ابتساماً عريضة. تبقّهم زيلدا جميعاً في مظهر مرتب، ولا داعي أبداً للقلق بشأن ذلك.

«لم تلعب اليوم، أليس كذلك؟»، سألت ماكسين فيما انحنت لتقبيل ابنها، فهو يمارس الرياضة أو يتسخر أمام الكمبيوتر. إنه خبير الكمبيوتر في العائلة، ويساعد دوماً ماكسين وأخويه في ذلك. ما من مشكلة نزهه، ويستطيع حلها كلها بسهولة.

«لقد افترقا المباراة بسبب المطر».

«تصورت أنهم سيفعلون ذلك». وبما أنهم كانوا موجودين جميعاً، أخبرتهم عن مشاريع بلايك لمناسبة الشكر. «يريدكم جميعاً أن تتناولوا العشاء معه ليلة مناسبة الشكر. أظن أنه سيأتي إلى هنا لتمضية عطلة نهاية الأسبوع. يمكنكم البقاء عنده إذا أردتم»، قالت بطريقة عفوية. حصر

لهم بلايك غرفاً رائعة في منزله الواقع في الطابق الخمسين، ذي الطابع الزاخر بالفن العصري المذهل وأحدث معدات الستريو والفيديو. تطل غرفهم على منظر رائع للمدينة، مع قاعة سينما منزلية حيث يستطيعون مشاهدة الأفلام، وغرفة ألعاب مع طاولة بلياردو وكل أنواع الألعاب الإلكترونية. فهم يحبون البقاء عنده.

«هل ستأتين أنت أيضاً؟»، سأل سام وهو ينظر إليها. فهو يفضل الأمر أكثر حين تكون موجودة. والده غريب بالنسبة إليه في تواجده، وهو يسعد عند وجود أمه بقربه. نادراً ما يمضي الليل عند والده، بالرغم من أن جاك ودايفي يفعلان ذلك.

«قد أذهب لتناول العشاء، إذا أردتني أن أفعل ذلك. سنذهب لتناول الغذاء عند الجدة والجد، وذلك سأكون متخمة من الديك الرومي. ستمضي وقتاً جميلاً مع والدك.»

«هل سيحضر معه صديقة؟»، سأل سام، وأدركت ماكسين أن لا فكرة لديها عن هذا الأمر. غالباً ما تكون هناك نساء برفقة بلايك حين يرى الأولاد. إنهن دوماً نساء شابات، ويمتتع الأولاد أحياناً بصحبتهن بالرغم من أنها تعرف تماماً أنهم يجدون مجموعته من النساء متطفلة، ولا سيما دايفي، التي تحب أن تكون الأثلى الأكثر أهمية في حياة والدها. تراه رانعاً فعلاً. وهي لا تتفق كثيراً مع أمها هذه الأيام، وهو أمر طبيعي بالنسبة إلى فتاة في مثل عمرها. فقد رأت ماكسين فتيات مراعات كرهن أمهاتهن. يخفي هذا الشعور مع الوقت، ولذلك ليست قلقة بشأنه بعد.

«لا أعرف إذا كان سيحضر أحداً أم لا»، قالت ماكسين، فيما أصدرت زيلدا صوتاً يَمَع عن عدم الموافقة من أمام الفرن.

«آخر امرأة كانت تافهة حقيقية»، قالت دايفي، ثم غادرت المطبخ، وتوجهت إلى خزانة ملابس أمها. غرفهم جميعاً قريبة من بعضها على طول السرواق، وتحب ماكسين الأمر بهذه الطريقة. إنها سعيدة لوجودها بقربهم، ويأتي سام غالباً إلى سريرها خلال الليل متعباً أنه قد راودته أحلام

مزعجة. يستمتع في أغلب الوقت بمعانقتها، أياً كان العذر.

بالإضافة إلى ذلك، لديهم غرفة جلوس جميلة، وغرفة طعام كبيرة جداً، وغرفة مكتب صغيرة حيث تكتب ماكسين المقالات، أو تحضر المحاضرات، أو تجري الأبحاث. لا يمكن مقارنة شقتهم بالنترف الواضح في شقة بلايك، التي تبدو مثل مركبة فضائية معلقة فوق العالم. شقة ماكسين حميمة وداقة، وتبدو مثل منزل حقيقي.

حين ذهبت إلى غرفتها لتجفيف شعرها، وجدت دايفي تحت بحماسة في خزانتها. خرجت من غرفتها حاملة كثررة من الكاشمير الأبيض ونادراً من الأحذية عالية الكعب، من الجلد الأسود مانولو بلانيك، مع عظمة مستدقة وكعب رفيع، نادراً ما تنتعله أمها. ماكسين طويلة كفاية، واستطاعت ارتعال أحذية بهذا الطول حين كانت متروجة ببلايك.

حضرتها ماكسين «الكعب عالي جداً عليك، كدت أقبل نفسي آخر مرة اشتمه فيها. ماذا عن الأحذية الأخرى؟».

«أممممم»، تأوهت دايفي. «سأكون بخير بانتعالي هذا الحذاء». ترى ماكسين أن هذا الحذاء يبدو متكلفاً جداً بالنسبة إلى فتاة في الثالثة عشرة من عمرها، لكن دايفي تبدو مثل فتاة في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر، ولذلك تستطيع ارتعال هذا الحذاء. إنها فتاة جميلة، ورثت سمات وجه أمها وبشرتها القشدية، وشعر والدها الأسود.

قالت ماكسين مبسمة ابتسامة عريضة: «لا بد أن السهرة مميزة في منزل إيما الليلة، شباب رانعون، ليس كذلك؟». حركت دايفي عينيها خجلاً، وخرجت من الغرفة، معاً يؤكد لأمها الكلام الذي قالته للتو. كانت ماكسين قلقة قليلاً بشأن كيفية تبدل الحياة عند دخول الشباب إلى الساحة. من السهل التعاطي مع الأولاد حتى الآن، لكنها تعرف أفضل من أي شخص آخر أن الحال لن تستمر هكذا إلى الأبد. وإذا واجهت المشاكل، عرفت أنه يجدر بها حلها لوحدها. لطالما فعلت ذلك.

أخذت ماكسين حماماً ساخناً، وارتدت ثوباً من النسيج الوري. وبعد

وجه من ماضيها البعيد، وفي النهاية، مهما كان لطيفاً، يبقى والدها محقاً؛ إنه ليس زوجاً بل هو نذل. قبّلت سام برفق على وجنته الناعمة، وفكرت مجدداً في أنها تحب حياتها كما هي.

نصف ساعة، جلست مع أولادها في المطبخ فيما قدّمت لهم زيلدا عشاء مؤلفاً من الدجاج والبطاطا المشويين والسلطة. إنها تطهو وجبات جيدة وكاملة، ويجمعون كلهم على أنها تعدّ أفضل البراونيز والقطاير في العالم. لطالما فكرت ماكسين بحزن في أن زيلدا كانت لتصبح أمّاً رائعة، لكن ما من رجل في حياتها، وهي كذلك منذ أعوام. في عمر الثانية والأربعين، على الأرجح، لقد فاتها القطار على ما يبدو. لديها أولاد ماكسين لتحبهم بدلاً من ذلك.

خلال العشاء، أعلن جاك أنه ذاهب لحضور فيلم سينما مع صديق له. ثمة فيلم رعب جديد يعرض في الصالات ويريد رؤيته، ويقال إنه مخيف جداً. يريد أن توصله أمه ثم تذهب لإحضاره. أما سام فتذهب كي ينام عند صديق في اليوم التالي، ويتوي مشاهدة فيلم دي في دي هذه الليلة، في غرفتها، وتناول الفوشار وهو مستلق على سريرها. ستأخذ ماكسين معها دافني إلى منزل إيفا في طريقها لإيصال جاك إلى السينما. عليها القيام ببعض الجولات في اليوم التالي، وتمضية عطلة نهاية الأسبوع، كالعادة، كيما اتفق، بحسب خطط الأولاد واحتياجاتهم.

كانت تصفح مجلة بيبول في وقت متأخر من تلك الليلة، وهي تنتظر اتصالاً من دافني لتذهب لإحضارها، فوجدت صورة لبلايك خلال حفلة اللو لينغ ستونرز في لندن. ثمة نجمة روك مشهورة جداً معه، وهي فتاة رائعة الجمال، فيما وقف بلايك يقربها وابتسم ابتسامة عريضة. حدّقت ماكسين إلى الصورة لدقيقة، وهي تحاول أن تقرر إذا ما كانت هذه الصورة قد أزعجتها، ثم أكدت لنفسها أنها لم تتزعج، فيما شخر سام بصوت خفيف يقربها، ووضع رأسه على وسادتها، ووعاه الفوشار الفارع يقربه ودبه الصغير المفضل بين ذراعيه.

فيما نظرت إلى الصورة في المجلة، حاولت أن تتذكر كيف كان زواجها به. كانت هناك أيام رائعة في البداية، وأيام شعرت خلالها أنها وحيدة وغاضبة في النهاية، ثم بعد الأمر مهماً الآن. قررت أن رؤيته مع النجمات، والعارضات، ونجمات الروك، والأميرات لا تزجها أبداً. إنه

## الفصل الثاني

خلال الليل، تحول المطر الغزير إلى ثلج. انخفضت درجة الحرارة كثيراً، وبات كل شيء مغطى باللون الأبيض حين استيقظوا. إنه أول ثلج حقيقي هذه السنة. ألقى سام نظرة عليه، وصَفَّق بسرور.

«هل نستطيع الذهاب إلى الحديقة العامة، ماما؟ يمكننا أخذ أطباق بلاستيكية للترحلق». لا يزال الثلج يتساقط، وبدا المشهد في الخارج مثل بطاقة ميلادية، لكن ماكسين عرفت أن المشهد سيحول إلى قوضى عارمة في اليوم التالي.

«طبعاً حبيبي». وحين فَكَّرَت في الأمر، أدركت، كما هي الحال دوماً، أن بلايك يفوت أفضل جزء من حياة أطفاله وحياة العائلة. لقد استبدل كل ذلك بحفلات صاخبة وأشخاص من كل أرجاء العالم. لكن برأي ماكسين، أفضل ما في الحياة موجود هنا.

جاءت دافني لتناول العطور فيما ماتتها الخلوي ملتصق بأذنها. غادرت الطاولة مزارت عدة، وهي تمسك إلى صديقة، فيما حرَّك جاك عينيه، وتناول التوست الفرنسي الذي أعدته ماكسين. إنه أحد الأشياء القليلة التي تعدها جيداً، وتفعل ذلك غالباً. سكب لنفسه مقداراً كبيراً من شراب القيقب، وعلَّق على مدى غياب دافني وصديقاتها بشأن الشباب هذه الأيام.

«ماذا عنك؟»، سألته أمه باهتمام. «أليس لديك صديقة بعد؟». ذهب إلى صف رقص، ومترسة مختلطة، ولديه الكثير من الفرص للقاء الفتيات، لكنه غير مهتم بهن بعد. اهتمامه الأساسي ينصبّ على الرياضة حتى الآن. يحب كرة القدم أكثر من أي شيء، وكذلك ولوج الإنترنت وألعاب الفيديو.

«آه»، كان جوابه، فيما انهم قطعة أخرى من التوست الفرنسي. كان سام مستلقياً على الأريكة، يشاهد أفلام الرسوم المتحركة. لقد تناول العطور قبل ساعة حين استيقظ. يتصرف كل شخص على هواه صباح السبت، وتعدّ لهم ماكسين الطعام فور وصولهم. إنها تحب الجانب العائلي من حياتهم، والذي ليس من وقت كافٍ له خلال الأسبوع، حين تكون مستعجلة لرؤية مرضاها في المستشفى قبل أن تذهب إلى عيادتها. تخرج من المنزل عادة قبل الثامنة، حين يغادر الأولاد إلى المدرسة. لكن مع بعض الاستثناءات التادرة، نحرص على تناول العشاء معهم كل ليلة.

ذُكرت سام أنه سينام عند صديقه هذه الليلة، وقاطع جاك الحديث للقول إنه سيفعل ذلك هو أيضاً. قالت دافني إن ثلاثاً من صديقاتها سيأتين لمشاهدة فيلم، وقد يأتي شابان أيضاً.

«هذا فصل جديد الآن»، علَّقت ماكسين مع نظرة اهتمام. «هل من أحد أعرفه؟». حرَّزَت دافني رأسها بعصبية، وخرجت من الغرفة. بدأ واضحاً لها أن السؤال لا يستحق جواباً.

غسلت ماكسين الصحون، ووضعتها في آلة غسل الصحون، وتوجهت بعد ساعة مع أولادها الثلاثة إلى الحديقة العامة. قرّر الوالدان الكيران الذهاب معها في الدقيقة الأخيرة. تمكك فقط طيقين بلاستيكيين للترحلق، فيما لقت هي ودافني أكياس نفايات حول مؤخرتيهما، وانزلتا على الهضاب مع الفتيين وأولاد آخرين بفرح كبير. لا يزال الثلج يتساقط، ولا تزال هي وأولادها شباباً كفاية للتصرف مثل أولاد صغار بين الحين والآخر، بدلاً من التصرف كأشخاص ناضجين، مثلما يريدون أن يكونوا. مكثوا هناك حتى الساعة الثالثة، ثم عادوا مشياً إلى المنزل. كان الأمر ممتعاً، وحضرت لهم الشوكولاته الساخنة مع الكريما المخفوقة حين عادوا إلى المنزل. من الجيد أنهم لم يكررو كثيراً، ولا يزالون يستمتعون بهويات الطفولة نفسها مثلما فعلوا يوماً.

أرسلت سام إلى بيت صديقه في تمام الخامسة، في الشارع 89 شرقي، وجاكَ إلى الفيلاج عند الساعة السادسة، وعادت إلى الشقة في



الوقت المناسب حين وصلت صديقات دافني مع مجموعة من الأفلام المستأجرة. في النهاية، وصلت فنانان أخريان. طلبت لهن البيزا في تمام الثامنة، واتصلت مام عند الساعة التاسعة «للاطمئنان عليها»، وهذا يعني بحسب خبرتها عدم رغبته بتفضية الليلة في منزل صديقه. يعجز أحياناً عن تقبل الأمر، ويعود إلى المنزل للتوم في غرفها أو في سريره الخاص. أخبرته أنها بخير، وقال لها إنه هو كذلك. كانت تبسم حين أفلت الخط واستطاعت سماع الضحك من غرفة دافني. ثمة شيء جعلها تشعر أنهم يتكلمن عن الشباب، ولم تكن على خطأ.

وصل شابان في الثالثة عشرة من العمر، بمظهر غير مريح البتة، في تمام الساعة العاشرة. كانا أقصر من الفتيات ببضعة إنشات، من دون أي علامات بلوغ، ولتھما ما بقي من البيزا. غادرا بعد دقائق قليلة مع أعذار غير مقبولة. لم ينتقلا من المطبخ إلى غرفة دافني، وقالوا إن عليهما العودة إلى المنزل. كان عدد الفتيات يفوقهم بنسبة ثلاث فتيات مقابل كل شاب، لكنهما غادرا باكراً على أي حال. المشهد غير متكافئ على الإطلاق. بدت الفتيات أكثر نضجاً، وأسرعن في العودة إلى غرفة دافني لمناقشة الأمر ما إن غادر الشابان، كانت ماكسين تبسم لنفسها، وتسغي إلى ضحك الفتيات، حين رن الهاتف عند الساعة الحادية عشرة. تصوّرت أنه سام يريد العودة إلى المنزل، وكانت تبسم حين أجابت، متوقفة سماع صوت ابنها الصغير.

لكنها كانت ممرضة من غرفة الطوارئ في مستشفى لينوكس هيل، تتصل بشأن أحد مرضاها. قُطبت ماكسين حاجبها، وجلست فوراً مع انتهاء كبير، وزاحت تطرح أسئلة وثيقة الصلة بالموضوع. جايسون وكستبر شاب في السادسة عشرة من عمره، توفي والده فجأة إثر نوبة قلبية قبل سنة أشهر، ومات أخه الكبرى في حادث سيارة قبل عشرة أعوام. تناول مجموعة من الحبوب المنومة الخاصة بأمه. عانى من الاكتئاب، وحاول قتل ذلك قبلاً، ولكن ليس مباشرة بعد موت والده. حصل جدال رهيب بينه وبين والده ليلة مات هذا الأخير، وكان جايسون مقتنعاً بأن النوبة القلبية

التي تعرّض لها والده وموته حصلوا بسببه.

قالت الممرضة إن أمه في حالة هستيرية في غرفة الانتظار، وجايسون مستيقظ، وقد بدأوا يجرون له غسل معدة. يعتقدون أنه سيكون بخير، لكنه كان على شفير الموت. عثرت عليه أمه، واتصلت بالإسعاف. لقد تناول الكثير من الحبوب المنومة، لو لم نعثر عليه في الوقت الملائم، لكان مات. أصغت ماكسين بعناية. تبعد المستشفى مسافة ثمانية مجمعات أبنية عن منزلها، وتستطيع الذهاب مشياً إلى هناك، بالرغم من أن الإنشات الستة من الثلج المنساق تحوّلت إلى وحل على الأرض، ثم تجمدت في بقع جليدية مع حلول الليل. إذ يكون السير على القدمين خطراً حين يحصل ذلك.

قالت للممرضة بسرعة: «سأصل في غضون عشر دقائق»، شكرت على اتصالك». أعطت ماكسين والدة جايسون رقمي منزلها وهاتفها الخليوي قبل أشهر عدة. بالرغم من أن مجموعة الاتصالات تغطي اتصالها معظم عطلات نهاية الأسبوع، أرادت أن تكون موجودة بنفسها من أجل جايسون وأمّه إذا احتاجا إليها. أمّلت ألا يحتاجا إليها أبداً، ولم تُسرّ أبداً لسماع محاولته الانتحار للمرة الثانية. عرفت أن أمّه منزوعة جداً. فبعد خسارة زوجها وابنتها، أصبح جايسون كل ما لديها.

طرقت ماكسين على باب غرفة زيلا، ولاحظت أنها نائمة. أرادت إبلاغها بأنها ذاهبة لرؤية مريض، وأرادت أيضاً أن تطلب منها الانتباه إلى الفتيات في حال حصل شيء. لكنها لم تشأ إيقاظها، ولذلك أغلقت الباب بهدوء من دون إصدار أي صوت. إنه يوم عطلتها في النهاية. دخلت ماكسين بعدها غرفة دافني فيما مررت كنزة سميكة عبر رأسها. كانت ترتدي الجينز أصلاً.

«عليّ الذهاب لرؤية مريض»، شرحت لها. عرفت دافني، كما الفتيات الأخريات، أن أمها تذهب لرؤية مريض بحالات خاصة، حتى في عطلات نهاية الأسبوع، فنظرت إليها وأومات برأسها. إنون يشاهدن أفلام الدي في دي وأصبحن أكثر هدوءاً مع تقدم الليل. «زيلا موجودة هنا إذا احتجت إلى أي شيء، يمكنك الطلب منها، لكن لا تصدري الكثير

أكبر بكثير، وتزداد احتمالات النجاح في كل مرة. لم تكن ماكسين مسمومة بمحاولة الانتحار مرة ثانية.

ساعدت ماكسين والدة جابسون على الجلوس على أحد الكراسي وأخذ نفس عميق. وأخيراً، نجحت في التحدث بهدوء عن الموضوع. قالت ماكسين إنه يجب إبقاء جابسون في المستشفى لفترة أطول هذه المرة. اقترحت مدة شهر، ليرى بعدها كيف تصبح حاله، واقترحت عليها مكاناً كانت تعمل فيه غالباً في لونغ آيلند. طمأنت هيلين وكسلير بأنهم هناك ماهرون في التعاطي مع المراهقين. بدت هيلين مذعورة.

«شهر؟ يعني ذلك أنه لن يكون في المنزل في مناسبة الشكر. لا يمكنك فعل ذلك»، قالت وهي تبكي مجدداً. «لا أستطيع تركه بعيداً في فترة الاحتفالات. مات والد مؤخرًا وهذه أول مناسبة شكر لنا من دونه»، أصرت، كما لو أن هذا يحدث فرقاً الآن، فيما أبنها معرض لمحاولة الانتحار الثالثة من المذهل ما يفعله الإنكار للعقل، وما يتشبث به الإنسان، لعدم مواجهة حقائق الوضع. إذا نجح جابسون في محاولة ثالثة، لن يشارك في أي مناسبة شكر على الإطلاق. لذا، من المجدي التضحية بالاحتفال بهذه المناسبة هذه السنة. إلا أن أمه لا تريد سماع ذلك، وحاولت ماكسين أن تكون صارمة وإنما حنوناً ورفيقة، كما هي حالها دوماً.

«أظن أنه يحتاج في الوقت الحاضر إلى الحماية والدعم. لا أريد إعادته إلى المنزل باكراً جداً، وسنكون فترة الاحتفالات صعبة عليه من دون والده أيضاً. أظن فعلاً أنه من الأفضل له أن يكون في سيلفر باينز. يمكنك تمضية مناسبة الشكر معه هناك». بكت هيلين أكثر هذه المرة.

كانت ماكسين قلقة وأرادت رؤية مريضها، أخبرت هيلين أنهما ستحدثان عن الأمر لاحقاً، لكنهما اتفقا على ضرورة تمضية الليلة في لينوكس هيل. ما من خيار آخر، إذ إنه ليس في وضع ملائم ليعود إلى المنزل. وافقت هيلين تماماً على ذلك، ولكن ليس على البقية. كرهت فكرة سيلفر باينز. قالت إنه يبدو مثل مقبرة بالنسبة إليها.

من الضجيج في المطبخ لأنها نائمة». أومات دافني برأسها مجدداً، وعادت عيناها لتتجه صوب الشاشة. نامت اثنتان من صديقاتها على سريرها، فيما كانت فتاة أخرى تضع الطلاء على أطرافها. أما بقية الفتيات فكن يشاهدن الفيلم بحماسة. «سأعود بعد قليل». عرفت دافني أنها ربما محاولة انتحار. لا تتحدث أمها كثيراً عن الموضوع، لكن هذا هو سبب خروجها ليلاً عادة. يستطيع بقية مرضاها الانتظار حتى اليوم التالي.

انتعلت ماكسين الجزيرة ذات النعل المطاطي، وارتدت معطف الثلج، وحملت حقبتها، وخرجت من الباب بسرعة. أصبحت في الشارع بعد دقائق قليلة، وهي تمشي في أثناء هبوب رياح قارسة، تتجه صوب جنوب بارك أفينو، نحو مستشفى لينوكس هيل. كانت تشعر بوخز مؤلم في وجهها، وعيناها تدمعان حين وصلت إلى هناك، ودخلت غرفة الطوارئ. تحققت من مكتب الاستعلامات وأخبروها عن الحجرة التي وضعوا فيها جابسون. قررروا أنه لا يحتاج إلى وحدة العناية الفائقة. إنه متوكل ولكن ليس في مرحلة الخطر، وهم ينتظرونها لإدخاله رسمياً إلى المستشفى وتقرير الباقي. قفزت هيلين وكسلير عليها لحظة دخلت الغرفة، وتشبثت بهما. وبدأت تبكي بقوة.

«كاد يموت...»، قالت، وهي تبدو في حالة هستيرية بين ذراعين ماكسين، فيما أخرجتها ماكسين برفق من الغرفة، وألقت نظرة خاطفة على المعرضة. كان جابسون يتنفس في الغرفة ولم يتحرك أبداً. لا يزال مخكراً بقوة نتيجة راسب الحبوب التي تناولها، لكن لم يعد يوجد في جسعه ما يهدد حياته، وإنما فقط ما يكفي لمساعدته على النوم لوقت طويل. استمرت أمه في القول إنه كاد يموت. أبعدها ماكسين عن الغرفة عبر الممشى الطويل، في حال استيقظ أبنها.

قالت ماكسين بهدوء: «لكنه لم يموت، هيلين. سيكون على ما يرام، أنتِ محظوظة أنك وجدته. سيكون بخير». حتى المرة المقبلة، هذه هي مهمة ماكسين الواجب حلها، ولن تكون هناك مرة ثالثة. لكن عند محاولة الانتحار، من قبل أي مريض، يصبح الخطر الإحصائي للمحاولة مجدداً

اطمأنت ماكسين على جايسون يهدوء فيما كان نائماً، وقرأت جدوله،  
وذعرت لمقدار الدواء الذي تناوله. أخذ أكثر من جرعة قاتلة، على عكس  
المرّة الأخيرة حين أخذ جرعة تكفي بالكاد لقتله. المحاولة كانت أكثر جدية  
هذه المرّة، وتساءلت عن سببها. استمضى الوقت مع جايسون في صباح  
اليوم التالي حين يستيقظ. لا أمل للتحديث إليه الآن.

دوّنت بعض الملاحظات على جدول جايسون لتحديث ما تريده،  
سينقلونه إلى غرفة خاصة لاحقاً هذه الليلة، وأمرت بوضع ممرضة معه  
لمراقبته. لا بد من وجود شخص معه لمراقبته حتى قبل أن يستيقظ.  
أخبرت الممرضة أنها ستعود في صباح اليوم التالي عند الساعة التاسعة،  
وإذا احتاجوا إليها قبل ذلك، فيمكنهم الاتصال بها. تركت لهم رقمي منزلها  
وهايتها الخليوي، وجلست مجدداً مع والدّة جايسون في الخارج. بدت هيلين  
مطمئنة أكثر من قبل، بعد أن بدأت تستوعب الحقيقة. كادت تخرس ابنها  
بسهولة تلك الليلة، وكانت تصبح وحيدة في العالم. مجرد التفكير في  
ذلك كان يدفعها للجنون. عرضت عليها ماكسين الاتصال بطبيبها، في  
حال أرادت حبواً منومة، أو مُسكناً خفيفاً، لم تشأ ماكسين وصفه بنفسها.  
هيلين ليست مريضتها ولا تعرف ماكسين تاريخها أو الأدوية الأخرى التي  
تناولها.

قالت هيلين إنها اتصلت قبلاً بالطبيب. يفترض به الاتصال بها مجدداً،  
لكنه خارج المدينة. قالت إن جايسون استعمل كل حبوبها المنومة، ولم  
يعد لديها أي شيء في المنزل. بدأت تبكي أكثر حين قالت ذلك، ولم تشأ  
بوضوح العودة إلى المنزل لوحدها.

«استطيع أن أطلب منهم أن يضعوا لك سريراً نقالاً في غرفة جايسون  
إذا أردت»، قالت ماكسين بلطافة، «إلا إذا كان الأمر يزعجك». في هذه  
الحالة، عليها العودة إلى المنزل.

«أردت ذلك»، قالت ماكسين بهدوء، واتسعت عيناها فيما نظرت إلى  
ماكسين. «هل سموت؟»، همست حينها، مذعورة من معرفة الجواب،  
وإنما محاولة تحضير نفسها للأسوأ.

قالت ماكسين وهي تهز رأسها بحزن: «هذه المرّة؟ لا، لكن علينا  
التأكد قدر الإمكان من أنه لن تكون هناك مرّة ثالثة. إنها مسألة جدية.  
لقد تناول الكثير من الحبوب، لهذا السبب، أريده أن يبقى في سيقتر باينز  
لفترة».

لم تشأ ماكسين إخبار والدّة الشاب الآن بأنها تريد البقاء هناك لأكثر  
من شهر. إنها تفكر في فترة شهرين أو ثلاثة أشهر، يندخل بعدها إلى  
مرفق إصلاحها. إذا رأت أنه بحاجة إلى ذلك، يستطيعون توفير المال  
لحسن الحظ، لكن ليست هذه المشكلة. رأت في عيني هيلين أنها تريد عودة  
جايسون إلى المنزل، وأنها ستعارض مكوثه الطويل في المستشفى، إنه  
موقف أعمق بالنسبة إليها، لكن ماكسين واجهت مثل هذه الحالة قبلاً. إذا تم  
إرسال جايسون إلى مستشفى للأمراض النفسية، فليعلم الإدراك أن المسألة  
لم تكن مجرد هفوة بسيطة وإنما هو مريض فعلاً. لم تشأ ماكسين أبداً في  
أنه سيال إلى الانتحار ومكتئب كثيراً سريرياً. أصبح على هذه الحال بعد  
سوت والدة. هذا أكثر مما تريد أمه مواجهته، لكنها لا تملك أي خيار في  
هذه المرحلة. إذا أخذته معها إلى المنزل في اليوم التالي، فسيتخالف بذلك  
رغبات الأطباء، وعليها التوقيع على ورقة تحمّلها المسؤولية. أملت ماكسين  
ألا تصل الأمور إلى هذا. أملت أن تهدأ في اليوم التالي، وأن تفعل الشيء  
الأنسب لابنها. لا تريد ماكسين إبقاءه في المستشفى أيضاً، لكنها تدرك تماماً  
كم أن الأمر مهم بالنسبة إليه. حياته على المحك.

طلبت ماكسين من الممرضات وضع سرير نقال لهيلين في غرفة ابنها،  
بعد نقله من غرفة الطوارئ. تركتها مع لمسة دافئة على الكتف، واطمأنت  
على جايسون مجدداً قبل أن تغادر. إنه بخير. في الوقت الحاضر. ثمة  
ممرضة معه ستراقبه إلى غرفته. لن يبقى لوحده مجدداً. ما من جناح مقل  
في لينوكس هيل، لكن ماكسين رأت أنه سيكون بخير مع وجود ممرضة  
بقربه، وأمه أيضاً. وستمضي ساعات عدة قبل أن يستيقظ.

عادت إلى الشقة سراً على القدمين في البرد القارس. كانت الساعة قد  
تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل حين وصلت إلى المنزل. ألقت نظرة

سريعة على غرفة دافني، وبدا كل شيء مسالماً هناك. نامت كل اللقيات، اثنتان منهن في أكياس نوم، والبقية على سرير دافني. لا يزال الفلم قيد العرض، ولا تزال اللقيات مرتديات ملابسهن، ثم نظرت إليهن ولاحظت رائحة غريبة. لم تلاحظ أبداً هذه الرائحة في غرفة دافني قبلاً. لا تعرف السبب، لكنها توجهت إلى خزانتها وفتحت الباب، وذهلت عند رؤية دزينة قفاز فارغة من الشراب. نظرت إلى اللقيات مجدداً وأدركت أنهن لسن نائمات قطع، وإنما في حانة يرثي لها أيضاً. بدون صغيرات قليلاً على الشراب برأيها، لكن الأمر ليس مستغرباً في هذا العمر. لم تكن واثقة ما إذا كان يجدر بها البكاء أو الضحك. لم تعرف متى بدأ ذلك، لكنها استغدن تماماً من ذهابها إلى المستشفى. تكره فعل ذلك، لكن عليها توبيخ دافني في اليوم التالي. وضعت القفاز الفارغة على منضدتها، بشكل مرتب، بحيث تراها اللقيات عند استيقاظهن. نجحت كل منهن في شرب قنيتين، وهذا كثير بالنسبة إلى قفاز في هذا العمر. إذاً، همست لنفسها، بدأت المراهقة، استقنت على السرير بعد ذلك، وهي تفكر في الأمر، واشتافت إلى بلايك ليزه. من الجميل مشاركة اللحظة مع شخص آخر. لكنها كالمعاد تستعطر إلى التحلي بالمرحاضة في اليوم التالي، ووضع قناع خيبة الأمل حين تلتو بيان المشغب أمام ابنتها، وتحدثت إليها عن المعنى الأعمق للثقة. إلا أن ماكسين فهمت جيداً أن ابنتها مراهقة وستكون هناك العديد من الليالي في المستقبل، حيث يرتكب فيها أحد أولادها أمراً أحمق، أو يستفيد أولادها أو أولاد أخرون من وضع معين، أو يجربون المشروبات، وربما أموراً أخرى. ولا شك في أنها لن تكون المرة الأخيرة التي يكون فيها أحد أولادها في حالة يرثي لها. عرفت ماكسين أنها ستكون محظوظة إذا لم تتطور الأمور إلى الأسوأ. وعرفت أيضاً أنه عليها اتخاذ موقف صارم بشأن الموضوع في اليوم التالي. كانت تفكر في المسألة حين نامت. وحين نهضت في الصباح، كانت اللقيات لا يزالان نائمات.

تلقت اتصالاً من المستشفى بينما كانت ترثي ثيابها. لقد استفاق جايسون وهو يتحدث. قالت الممرضة إن أمه معه، وهي غاضبة جداً.

اتصلت هيلين وكسندر بطبيبيها الخاص، وبحسب الممرضة، بدلاً من أن يطمئنها، أثار أعصابها أكثر. قالت لها ماكسين إنها ستصل بعد برهة، وأقفلت السماعة. سمعت زيلدا تتحرك في المطبخ حينها، وذهبت لتسكب لنفسها كوب قهوة. كانت زيلدا تجلس أمام طاولة المطبخ، مع كوب من القهوة الساخنة، ومجلة الصندي تايمز. نظرت إلى الأعلى حين شاهدت ماكسين تدخل وابتسمت.

«ليلة هادئة؟»، سألت زيلدا، فيما جلست ماكسين أمام الطاولة مع تنهيدة. تشعر أحياناً وكأن زيلدا هي مصدر دعمها الوحيد في تربية الأولاد. لم يقدم لها أهدأ أبداً الكثير من النصائح، بالرغم من أن نواياهم جيدة. ولم يكن بلايك موجوداً في حياتهم. زيلدا هي الهديل.

قالت ماكسين مبتسمة ابتسامة حزينة: «ليس تماماً، أظن أننا عثرنا على معلم تاريخي الليلة الماضية».

«أكبر كمية من البيترزا في تاريخ العالم تتناولها ست فتيات مراهقات؟».

«لا»، قالت ماكسين بنبرة رزينة والضحك ياد في عينيها. «المرة الأولى التي يكون فيها أحد أولادي في حالة يرثي لها بسبب الشراب».

ابتسمت ونظرت إليها زيلدا بعينين كبيرتين.

«هل تمزحين؟».

«لا». عثرت على دزينة قفاز فارغة من الشراب في خزنة دافني حين تحققت من الغرفة. لم يكن الأمر جميلاً. شاهدت أجساداً يكامل أناقها مرمية في كل مكان حين دخلت الغرفة، وكان جميعهن نائمات، أو بالأحرى معنى عليهن لأكون دقيقة في التعبير».

«أين كنت حين فعلت ذلك؟». تفاجأت زيلدا بأن تكون دافني قد تجزأت على تناول الشراب فيما أمها موجودة في الغرفة التالية. وضحكت قليلاً على الأمر بالرغم من أن أيًا من المرأتين لم تشعر بالسرور. إنها بداية مشهد جديد تماماً لا تتطعمان إليه. أهلاً بسنوات المراهقة. الأسوأ سيأتي لاحقاً.

«توجب عليّ الذهاب لرؤية مريض الليلة الفائتة. غبت من الحادية عشرة حتى الواحدة. لا بد من أن إحداهنّ أحضرت معها الشراب في حقيبة ظهرها. لم أفكر أبداً في ذلك من قبل».

«أظن أنه علينا التحقق من الآن وصاعداً»، قالت زيلدا بطريقة بديهية، من دون أن تشعر بأي إحراج في تحدي دافني وصديقاتها. لن تسمح أبداً لأي كان في أن يكون بحالة يرثى لها أمامها، وعرفت أن هذا هو رأي ماكسين أيضاً. قبل أن يدرك أحد، سيدخل جاك هذا العالم أيضاً، وكذلك سام في يوم ما. يالها من فكرة. لا تتطلع زيلدا إلى أي من ذلك، لكنها تنوي المراقبة الحثيثة. إنها تحب العائلة وكذلك عملها.

تثرت المرأتان لدقائق قليلة، ثم قالت إنه عليها العودة إلى لينوكس هيل لرؤية مريضها. زيلدا في إجازة، لكنها لن تذهب إلى أي مكان. قالت إنها ستنتهي إلى الفتيات، وأملت أن يشعرن بالانزعاج حين يستيقظن. ضحكت ماكسين على الفكرة.

«تركت الفتاتي الفارغة على منضدتها، ليعرفن جميعاً أنني لست غيبة مثلما أبدو».

«سيرتجن حين يرين ذلك»، قالت زيلدا بمرح.

«يفترض بهن ذلك. كان هذا عملاً حقيراً، وإساءة لتقني وضائقي...». نظرت إلى زيلدا مبتسمة إبتساماً عريضة. «استعد لإلقاء وعظة أمامها. كيف أبدو؟».

«جيدة. تويخها وقطع المصروف عنها قد يفيدان أيضاً». وأمات ماكسين برأسها. لطالما تشاركت هي وزيلدا الكثير من وجهات النظر المماثلة، زيلدا صارمة وإنما منطقية، لطيفة وإنما واعية، وغير منزمنة كثيراً. ليست مستبدة لكنها ليست متساهلة أيضاً. شق ماكسين ثقة كاملة بها، وبحكمها السليم، حين لا تكون هي موجودة. «ما الذي أخرجك الليلة الماضية؟ انحاز؟»، سألت زيلدا. وأمات ماكسين برأسها، وقد أصبحت جادة مجدداً. «كم عمراً؟». تحترمها زيلدا كثيراً على العمل الذي تؤديه.

«سنة عشر عاماً». لم تعطها ماكسين أي تفاصيل. لا تفعل ذلك أبداً. وأمات زيلدا برأسها. والأسوأ من ذلك، تستطيع دوماً ملاحظة الأمر في عيني ماكسين حين يموت أحدهم. ينفطر قلب زيلدا على الأهل والولد على حد سواء. انتحاز المراهقين هو أمر مريع. ونسبة إلى مدى انهماك ماكسين في عملها، يتضح أن هناك الكثير من حالات الانتحاز في صفوف المراهقين في نيويورك، وفي كل مكان آخر. مقارنة مع ذلك، لا يبدو شرب دزينة من قناني الشراب من قبل ست فتيات في الثالثة عشرة من العمر أمراً مأساوياً. لكن ما تتعاطى معه ماكسين كل يوم هو المأساوي.

غادرت ماكسين بعد دقائق قليلة، ومشت المسافة القصيرة المؤدية إلى مستشفى لينوكس هيل، مثلما تفعل دوماً. كان الطقس بارداً وكثير الرياح، لكن الشمس أشرقت، وكان يوماً جميلاً. لا تزال تفكر في ابنتها وميلتها الليلة الفائتة. لا شك في أنها بداية مرحلة جديدة بالنسبة إليهم جميعاً، وهي معتتة لمساعدة زيلدا. سترافان دافني وصديقاتها عن كتب. متذكر الأمر أمام بلايك حين يأتي إلى المدينة أيضاً، ليكون على اطلاع. لم يعد في وسعهم الثقة بها بعد الآن، ولن يتمكنوا من فعل ذلك طوال سنوات ربما. من المريع التفكير في ذلك. كانت الأمور سهلة جداً حين كانت وجاك في عصر سام. وكم مضى الوقت بسرعة. سيصبحون سريعاً مراهقين كلهم، وعرضة للأذى من كل الأنواع. لكن في الوقت الحاضر على الأقل، تبدو الأمور طبيعية.

حين دخلت غرفة جايسون في المستشفى، كان يجلس على السرير، بدا مترحناً ومرهقاً وشاحياً. كانت أمه تجلس على كرسي، وتحدث إليه، وتبكي، وتمسح أنفها، لا يبدو المشهد جميلاً. كانت المعرضة المراهقة تجلس بهشوه على كرسي في الجانب الآخر من السرير، محاولة التكنم وعدم التطفل. نظروا جميعهم إلى الأعلى حين دخلت ماكسين.

«كيف حالك اليوم، جايسون؟». ألقت ماكسين نظرة سريعة على المعرضة، وأمات برأسها، وتركت المرأة الفرقة بهدوء.

«بخير، حسبما أظن». بدا مكتئباً، وهذا رد فعل طبيعي على الجرعة

المفرطة من العقاقير التي تناولها، وكان بلا شك مكتئباً قبل ذلك أيضاً. بدت أمه مكتئبة هي الأخرى، كما لو أنها لم تنم أبداً، مع حالات داكنة حول عينيها. كانت تحاول أخذ وعدته بعدم تكرار ذلك مجدداً، حين دخلت ماكسين، ووافق جايسون على مضمض.

«يقول إنه لن يفعلها مجدداً»، شرحت هيلين، فيما نظرت ماكسين مباشرة في عينيه. لكن ما رأيته فيهما ألقها.

«أتمنى أن يكون ذلك صحيحاً»، قالت ماكسين وهي غير مقتنعة تماماً.

«هل أستطيع العودة إلى المنزل اليوم؟»، سأل جايسون وهو يبدو فائراً. لم يحب فكرة وجود ممرضة في الغرفة معه، وشرحت له أنها لا تستطيع مغادرة الغرفة إلا إذا تم استبدالها بممرضة أخرى. شعر وكأنه في سجن.

قالت ماكسين، وهي تقف على طرف السرير: «أظن أنه علينا التحدث بشأن ذلك». كانت ترتدي كثره وردية وسروال جينز. وبدت هي الأخرى صغيرة. قالت بصراحة: «لا أظن أن هذه فكرة جيدة»، لا تكذب أبداً على مرضاها. من المهم أن تقول لهم الحقيقة مثلما ترىها. وهم يتقنون بها بسبب ذلك. «تناولت الكثير من الحبوب اللينة الغاضية، جايسون. وأعني فعلاً الكثير، لم تكن تمزح هذه المرة». نظرت إليه وأرأى برأسه، ثم نظر بعيداً. أصبح محرراً الآن وهو تحت الضوء.

قال وهو يحاول تهوين الأمر: «كنت في حالة يرثى لها نوعاً ما. لم أدرك عواقب ما فعلته».

قالت ماكسين بهدوء: «أظن أنك تدريجاً تماماً، تناولت حبوباً أكثر من المرة الماضية. أظن أنك تحتاج إلى بعض الراحة الآن والتفكير في الأمر، والعمل عليه، والانخراط في مجموعات. أظن أنه من المهم معالجة ذلك، وأنا واثقة من أن الأمر صعب الآن مع حلول موسم الاحتفالات، وقد خسرت والدك هذه السنة». وضعت إصبعها على الجرح مباشرة،

وحذفت إليها أمه مذعورة. بدت وكأنها على وشك الخروج من ملابسها. كانت قلقة كثيراً، وهي تعاني المشاعر نفسها مثل ابنتها، باستثناء أنها لا تشعر بالذنب. كان جايسون مقتنعاً بأنه قتل والده وهذا ما سبب مشكلة له. بشكل خطير جداً. «أود أن نذهب إلى مكان معين حيث عملت مع أولاد قبلاً. إنه مكان جميل. تتراوح أعمار الأولاد فيه بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة. تستطيع أمك زيارتك كل يوم. لكنني أظن أننا بحاجة إلى معالجة ما يحصل الآن. لا أرتاح لفكرة إرسالك إلى المنزل الآن».

«لكن من الوقت؟»، سأل بنبرة تتم عن عدم التزام ورضى، وقد حاول أن يبدو مرتاحاً، لكننا لاحظت الخوف في عينيه. إنها فكرة مخيفة بالنسبة إليه. لكن محاولته الثانية للانتعاش أخافها أكثر. لديها التزام لمدى العمر بعدم السماح بحصول ذلك مجدداً. إذا استطاعت ذلك. وهي تتجح في أغلب الأحيان. تريد أن تتجح هذه المرة أيضاً، وأن تقادي المأساة قبل حصولها مجدداً. لقد عانينا ما يكفي.

«دعنا نجرب لمدة شهر. ثم نتحدث بعدها، ونرى ما هو رأيك وما هو شعورك إزاء هذه التجربة. لا أظن أنك ستحب ذلك، لكنني أعتقد أنك سترتاح هناك». ثم أضافت مبتسمة، «المركز مختلط». لم يتسم رداً عليها. كان مكتئباً جداً للتفكير في القنيت في الوقت الحاضر.

«سأنا لو كرهت المكان ولم أشأ المكوث فيه؟». نظر إليها مباشرة في عينها.

«حينها نتحدث في الأمر». في حالة الضرورة القصوى، يمكنهم طلب وضعه تحت الإقامة الجبرية، إذ أثبت للتو أنه مصدر خطر على حياته. لكن هذا يشكل صدمة له ولأمه. تفضل ماكسين الدخول الطوعي عند الإمكان. تحدثت حينها والدة جايسون.

«حضرة الطبيبة، هل تظنين فعلاً... كنت أحدثك إلى طبيبي هذا الصباح. وقال إنه علينا منح جايسون فرصة أخرى... يقول إنه كان في حالة يرثى لها، ولم يعرف ماذا يفعل، ووعدي للتو بأنه لن يفعل ذلك

مجدداً». عرفت ماكسين أفضل من أي شخص آخر أن هذا الوعد لا يعني شيئاً. وعرف جايسون ذلك أيضاً. أرادت أمه شيئاً تستطيع الاعتماد عليه، لكنها لم تستطع. لا شك في أن حياة ابنتها في خطر.

قالت ماكسين ببساطة: «لا أظن أننا نستطيع الاعتماد على ذلك، أريدك أن تتقي بي في هذا»، أضافت بهدوء. ولاحظت أن جايسون لم يجادلها، وإنما أمه. «أظن أن أمك غاضبة لأنك لن تكون في المنزل خلال مناسبة الشكر، جايسون. أخبرتها أنها تستطيع تمضية مناسبة الشكر معك. قارزيارات مسرحة هناك».

«ستكون مناسبة الشكر مفرقة هذه السنة على أي حال، من دون أسي. لا أبالي». أغمض عيني وأرجع رأسه إلى الخلف على وسادته، وأمكتهما. أشارت ماكسين إلى أمي كي تلحق بها إلى الخارج، وما إن غادرتا الغرفة، حتى عادت المعرصة الخاصة لتجلس معه. يمكن مراقبته عن كتب في سيلفر باينز أيضاً. وفي سيلفر باينز، تكون الأجنحة مقلدة، وهذا ما يحتاج إليه جايسون برأي ماكسين. في الوقت الحاضر على أي حال، وربما لبعض الوقت.

«أظن أن هذا ما يجب فعله». شرحت لها ماكسين، فيما اتهمرت الدموع على وجنتي هيلين. «أنصح كثيراً بذلك. يعود الأمر إليك، لكنني لا أظن أنك تستطيعين حمايته كما يجب في المنزل. لا يمكنك منعه من تكرار الأمر مجدداً».

«هل تظنين فعلاً أنه سيحاول الانتحار مجدداً؟». بدت أمه مذعورة.

قالت ماكسين بوضوح: «نعم، أنا واثقة تماماً من ذلك. لا يزال مقتنعاً بأنه قتل والده. يحتاج إلى الوقت ليتخطى هذه الفكرة. وفي غضون ذلك، عليه التواجد في مرفق حيث يكون آمناً. لن تنامي لحظة واحدة إذا بقي في المنزل»، أضافت وأومات أمه برأسها.

«يظن طبيسي أننا نستطيع منحه فرصة أخرى. يقول إن الشبان في

عمره يفعلون ذلك غالباً للفت الانتباه». إنها تكرر نفسها، كما لو أنها تأمل في إقناع ماكسين، التي تفهم الوضع أكثر منها.

«كان يقصد ذلك، هيلين. يعرف تماماً ماذا فعل. أخذ ثلاثة أضعاف الجرعة القاتلة من دوائك. هل تريدان المجازفة بذلك مجدداً، أو جطه يقفز من النافذة؟ يستطيع مفاجئك وفعل ذلك برمشة عين. لا تستطيعين منحه ما يحتاج إليه الآن في المنزل». لم تكن تبالي أبداً، وأومات أمه برأسها بيظه، بدأت تبكي أكثر. فهي لا تستطيع تحمل فكرة خسارة ابنتها.

قالت بهدوء: «حسناً، متى يجدر به الذهاب؟».

«سأؤكد إذا كانوا يمكنون سيراً له اليوم أو غداً، أود إخراجه من هنا بأسرع ما يمكن. لا يستطيعون حمايته كما يجب هنا أيضاً. ليست هذه مستشفى للأمراض النفسية. عليه التواجد في مكان مثل سيلفر باينز. ليس المكان سيئاً مثلما تظنين، وهو المكان المناسب له في الوقت الحاضر، على الأقل حتى يخرج من الأزمة، ربما بعد فترة الأحفالات».

«تقصدين الميلاد أيضاً؟». بدت هيلين وكشير مذعورة.

«سنناقش الأمر لاحقاً، حين ترى كيف أصبحت حاله، يحتاج إلى بعض الوقت لتخطي أزمته». وأومات أمه برأسها، ثم عادت إلى غرفته، فيما ذهبت ماكسين للاتصال بسيلفر باينز. بعد خمس دقائق، تم ترتيب كل شيء. لديهم غرفة له لسنن الحظ. ورتبت ماكسين نقله بسيارة الإسعاف عند الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم. تستطيع أمه الذهاب معه لمساعدته على الدخول، لكنها لا تستطيع تمضية الليل معه.

شرحت ماكسين كل شيء لهما، وقالت إنها ستذهب لزيارة جايسون هناك في اليوم التالي. عليها تغيير مواعيد بعض المرضى لتتمكن من فعل ذلك، لكنه يوم جيد لفعل ذلك. عرفت أنه ما من شيء مهم على جدول أعمالها خلال فترة بعد الظهر، وتم حجز مواعيد العاليتين المهمتين قبل الظهر. بدا راضياً للذهاب إلى هناك، وكانت ماكسين لا تزال تتحدث إليهما حين دخلت ممرضة وقالت إن الدكتور ويست يتصل بها عبر الهاتف.

بدت ماكسين متعجبة «الدكتور ويست؟ هل يطلب متي إدخال مريض له؟». يفعل الأطباء ذلك طوال الوقت، لكنها لم تعرف إلى اسمه. وبدت فجأة والدة جايسون محرجة.

«إنه طبيبي. طلبت منه الاتصال بك لأنه يظن أنه باستطاعة جايسون العودة إلى المنزل. لكنني أفهم... أظن... أنا أسفة... هل تمنعني التحدث إليه على أي حال؟ لا أريده أن يشعر أنني طلبت منه الاتصال من أجل لا شيء». سترسل جايسون إلى سيلفر باينز، وبمكثك إخبار الدكتور ويست ربما بأنه تم ترتيب كل شيء». بدت هيلين محرجة، وطلبت منها ماكسين عدم التلق بشأن ذلك. فهي تتحدث إلى أطباء آخرين طوال الوقت، سألت إذا كان طبيباً نفسياً، وقالت هيلين إنه طبيب الأمراض الداخلية الذي يعالجها. غادرت ماكسين العرفة لتلقي الاتصال من غرفة الممرضات. لا تريد إجراء المحادثة على مسمع جايسون. الأمر مجرد مجاملات الآن على أي حال. رفعت السماعة وهي تبسم، متوقعة التحدث إلى طبيب ودود وساذج، غير معتاد على التعاطي مع انتحار المراهقين بشكل يومي، مثلها هي.

قالت ماكسين وهي تبدو شابة وفعالة وسمتعة: «دكتور ويست؟ أنا الطيبة وويليامز، الطبيبة النفسية لجايسون»، شرحت له.

قال لها: «أعرف»، وبدا مكثفاً بهذه الكلمة الوحيدة. «طلبت مني أمه الاتصال بك».

«أفهم. لقد انتهينا للتو من إجراء الترتيبات اللازمة لإدخاله إلى سيلفر باينز بعد ظهر اليوم. أظن أنه المكان المناسب له في الوقت الحاضر. لقد أخذ جرعة قاتلة من حبوب أمه المنومة في الليلة الماضية».

«من الغريب ما يفعله الأبناء في سن المراهقة لفت الانتباه، أليس كذلك؟». أصغرت إليه ماكسين وهي غير مصدقة. لا يحاول فقط معاملتها بتنازل، وإنما يبدو مثل أحقق تام.

«هذه محاولته الثانية. ولا أظن أن أخذ ثلاثة أضعاف الجرعة القاتلة

هي لفت الانتباه فقط. إنه يقول لنا بوضوح إنه يريد الموت. علينا التعاطي مع ذلك بطريقة جديّة».

«أظن فعلاً أنه من الأفضل وجود الشاب في المنزل مع أمه»، قال الدكتور ويست كما لو أنه يتحدث إلى فتاة صغيرة، أو ممرضة شابة جداً.

قالت ماكسين بحزم: «أنا طبيبته النفسية، ورأيي المحترف هو أنه إذا ذهب إلى المنزل مع أمه، فسيتكون ميتاً خلال أسبوع، أو ربما خلال أربع وعشرين ساعة». كانت فظة قدر المستطاع، ولم تقل ذلك لوالدة جايسون. لكنها لن تتهاون مع الدكتور ويست اللفظ جداً.

قال وهو يبدو منزعجاً هذه المرة: «يبدو هذا مستغرباً قليلاً بالنسبة لي».

«واقفت أمه على إدخاله المستشفى. لا أظن أننا نملك خياراً آخر. عليه التواجد في جناح مغلق، تحت مراقبة مشددة. ما من طريقة لتوفير ذلك بطريقة آمنة في المنزل».

«هل تحجزين كل مرضاك، دكتور ويليامز؟». إنه يهينها بشكل مباشر، وبدأت ماكسين تصاب بالجنون. من يظن نفسه بحق الله؟.

«قمط الذين يهددون يقتل أنفسهم، دكتور ويست، ولا أظن أن مريضتك ستكون في حال جيدة إذا خسرت ابنها. ماذا سيكون تقييمك لهذا؟».

قال وهو يبدو مغتاظاً: «أظن أنه عليك ترك تقييم حالة مرضاي لي».

«بالضبط. نقطة جيدة، وأقترح عليك ترك مرضاي لي. جايسون وكسليفر هو مريض، وأنا أعبته منذ أول محاولة انتحار له، ولم يعجبني ما رأيته على الإطلاق، أو ما أسمعته منك، بطبيعة الحال. إذا أردت الأطلاع على معلوماتي عبر الإنترنت، يمكنك زيارة موقعي. والآن، اعذرتي، عليّ العودة إلى مريضتي. شكراً على الاتصال». كان يتججج حين أقفلت



الخط، وتوجب عليها إخفاء انزعاجها حين عادت إلى غرفة جايسون . ليست مشكلة أحد إذا تنافرت هي وطبيب هيلين عبر الهاتف. إنه رجل أخرق يهدد حياة الأشخاص، برأي ماكسين، وهو بمثابة تهديد حقيقي إذ يستهين بخطورة الأزمة التي يعيشها جايسون . يحتاج إلى أن يكون في مستشفى للأمراض النفسية مثل سيلفر باينز. المجنون دكتور ويست .

«هل جرى كل شيء على ما يرام؟» نظرت إليها هيلين بقلق، وأملت ماكسين ألا تلاحظ كم هي غاضبة. أخفت غضبها بإتسامها .

«كان جيداً». قامت ماكسين بعدها بفحص جايسون، وبقيت معه لمدة نصف ساعة إضافية وهي تشرح له كيف ستكون سيلفر باينز. زعم أنه لا يبالي أو يخاف، لكن ماكسين عرفت أنه خائف. عليه أن يكون كذلك. إنه وقت عصيب بالنسبة إليه. في البداية كاد يموت، وعليه الآن مواجهة الحياة مجدداً. ويراه، هذا أسوأ ما في العالمين .

تركتيهما وطمأنت هيلين بأنها ستكون قادرة طوال اليوم وهذه الليلة وفي اليوم التالي على تلقي الاتصالات. بعد التوقيع على أوراق خروجه، غادرت المستشفى، وعادت إلى المنزل. كانت تفكر في ذلك الطبيب الأحمق، تشارلز ويست، وهي تسير في بارك أفنيو. وكانت دافني وصدقاتها لا يزلن تألمات حين عادت إلى المنزل. لقد حلّ الظهر حينها .

هذه المرة، دخلت ماكسين غرفة ابنتها، ورفعت الستائر. دخل نور الشمس الساطع الغرفة، وصرخت بصوت عالٍ مطالبة إياهن بالاستيقاظ. لم تكن أي منهن في حال جيدة حين تأوهن واستيقظن. بعد ذلك، وفيما نهضت دافني من السرير، لاحظت صف القناني الفارغة على منضدتها ولاحظت النظرة في عيني أمها .

قالت بهدوء: «أه، اللعنة»، وهي تلقي نظرة سريعة على صدقاتها. بدون جميعاً خائفات .

قالت ماكسين ببرودة: «يمكنك قول ذلك»، وهي تلقي نظرة على

الأخريات. «شكراً لحضوركن أيها القتيات. ارتدين ثيابكن ووضين أغراضكن. انتهت العجلة. وبالمناسبة إليك»- التفتت إلى دافني مجدداً- «أنت مجبوزة طوال الشهر. ومن يحضر أي نوع من المشروبات إلى هنا مجدداً، لن يُسمح له بالعودة. لقد خرقتن جميعاً قوانين ضيافتي، وختنن نفسي. سأحدث إليك لاحقاً»، قالت لدافني، التي بدت مذعورة. بدأت القتيات يتهايمن بعصبية ما إن غادرت ماكسين الغرفة. ارتدين ثيابهن بسرعة، وكل ما أردن فعله الآن هو المغادرة. تلالأت الدموع في عيني دافني .

قالت إحدى القتيات: «أخبرتك أنها فكرة غبية» .

تذمرت دافني: «ظننت أنك أخفيت القناني في الخزانة» .

«لقد فعلت». بدان جميعاً بالكآبة. إنها المرة الأولى التي يقطن فيها شيئاً مثل هذا، لكنها لن تكون طبعاً المرة الأخيرة. تعرف ماكسين ذلك أفضل منهن .

«لا بد من أنها فنشت الخزانة» .

ارتدت القتيات ملابسهن، وغادرن في أقل من عشر دقائق، وذهبت دافني للبحث عن أمها. عثرت عليها في المطبخ، تتحدث بهدوء إلى زيلدا، التي نظرت إلى دافني مع عدم موافقة صارمة ولم تنفوه بكلمة. يعود لماكسين أن تختار طريقة التعاطي مع ذلك .

قالت دافني وهي تنجر في البكاء: «أنا أسفة، أمي» .

«وأنا أيضاً. وقلقت بك داف. لطالما فعلت. لا أريد لأي شيء أن يعسد ذلك. فما تتبادل من ثقة نفيس جداً» .

«أعرف... لم أكن أفسد ذلك... ظننا فقط... أنا...» .

قالت بصرامة: «أنت مجبوزة لفترة شهر. لا اتصالات هاتفية في الأسبوع الأول. لا حياة اجتماعية طوال شهر. لا تذهب إلى أي مكان لوحدك. ولا مصروف جيب. ولا تدعي ذلك يحصل مجدداً» .

أومات دافني برأسها بصمت، وعادت إلى غرفتها. سمعت الباب يغلق

بهده وراهها. كانت ماكسين والقة من أنها تيكي، لكنها تريد تركها لوحدها الآن.

قالت زيلدا باكتئاب: «هذه هي البداية فقط»، ثم ضحكت المرأتان. لا تبدو هذه نهاية العالم بالنسبة إلى أي منهما، لكن ماكسين أرادت ترك انطباع قوي لدى ابنتها كي لا يحصل الأمر مجدداً في القريب العاجل.

بقيت دافني في غرفتها بقية فترة بعد الظهر، بعدما سلّمت هاتفها الخلوي لأمها. كان الهاتف بمثابة وقود حياتها، ويعتبر إعطاؤها إياه تضحية كبيرة.

أحضرت ماكسين الصبيين في تمام الخامسة، وحين وصلوا إلى المنزل، أخبرت دافني جاك بما حصل. ذهل لكنه تأثر، وأخبرها بما باتت تعرفه، وهو أن ما قلته دافني أمر أحق، وأن أمها ستكتشف الأمر حتماً. يراي جاك، تعرف أمهما كل شيء، ولديها رادار من نوع ما، وجهاز لصور أشعة إكس في رأسها. إنه جزء من مجموعة الخيارات التي تأتي مع الأمهات.

تناولوا عشاء هادئاً في المطبخ تلك الليلة، وتوجهوا جميعاً إلى أسرّتهم في وقت مبكر، لأنه ينبغي عليهم الاستيقاظ باكراً للذهاب إلى المدرسة في اليوم التالي. كانت ماكسين نائمة في تمام الثانية عشرة عند منتصف الليل حين اتصلت بها الممرضة من سيلفر باينز. قام جايسون وكسليور بمحاولة انتحار أخرى تلك الليلة. إنه في حال جيدة ومستقرة، لقد نزح ملايين نومه، وحاول شق نفسه بها، لكن الممرضة المسؤولة عنه عثرت عليه وأعطشته، أدركت ماكسين أنهم أخرجوه من لينوكس هيل في الوقت المناسب، وحدثت الله لأن أمه لم تستمع إلى تصبحة ذلك الدكتور ويست الغبي والمتجحجج. أخبرت الممرضة أنها سأتاني لزيارة جايسون بعد ظهر اليوم التالي، واستطاعت تخيل كيفية تقبل أمه للخبر. كانت ماكسين منتهية لأنه على قيد الحياة.

فيما استلقت على السرير بعد ذلك، أدركت كم كانت عطلة نهاية

الأسبوع زاخرة بالأحداث. فقد كانت ابنتها في حالة برئى لها بسبب تناولها الشراب للمرة الأولى، وحاول أحد مرضاها الانتحار مرتين، وعند أخذ كل الأمور في الاعتبار، كان يحتمل أن تصبح المسائل أسوأ بكثير. فكان يمكن لجايسون وكسليور أن يموت. شعرت بالارتياح لأنه لم يمت، بالرغم من أنها كانت تود أن تثبت لنتشارلز ويست صحة تفكيرها. إنه حقاً أحق، سعدت ماكسين لأن والدة جايسون لم تستمع إليه، وأنها وثقت بها. كل ما يهم الآن هو أن جايسون على قيد الحياة. أمّلت فقط أن يبقى على هذه الحال. فمع كل محاولة، يصبح معروفاً أكثر للخطر. مقارنته مع ذلك، تبدو حفلة ابنتها الصغيرة التي أقامتها ليلة السبت مثل لعبة أولاد، وهذه هي الحقيقة على أي حال. كانت لا تزال تفكر في الأمر حين دخل سام غرفتها في الظلام وجاء ليقب قرب سريرها.

سأل تحزن «هل أستطيع النوم في سريرك أمي، أظن أن هناك غوريلا في خزانتي».

«طبعاً حبيبي». تحركت في السرير، وأفسحت له المجال، فيما عانقها ونام يقربها. تساءلت ما إذا كان يجدر بها أن تشرح له عدم وجود غوريلا في خزانته، أم تتجاهل الأمر.

«أمي؟»، كان يهمس بقربها وهو يشعر بالدفء معها.

«نعم».

«بالنسبة إلى الغوريلا... إنها من اختراعي».

«أعترف». ابتسمت له في الظلام، وقلّلت وجنته، وبعد برفة،

ناما.

## الفصل الثالث

كانت ماكسين في عيادتها في تمام الساعة الثامنة من صباح اليوم الثاني. عاينت المرضى، الواحد تلو الآخر، حتى فترة الظهير ثم توجهت إلى لونغ أيلند لروية جايسون وكسليير في سيلفر باينز، ووصلت إلى هناك عند الساعة الواحدة والنصف، الشيء الوحيد الذي أكلته هو نصف موزة في أثناء القيادة، وردت على الاتصالات الهاتفية وهي تقود. أنجزت كل شيء، وكانت مرتاحة لجدول مواعيدها حين وصلت إلى هناك.

أمضت ساعة بمفردها مع جايسون، والتقت بالطبيب النفسي المتأوب الذي شهد أحداث الليلة الماضية، وتحدثت إلى والدة جايسون لنصف ساعة. كانوا جميعاً ممتنين لوجوده في سيلفر باينز، ولأن محاولته الثالثة للانتحار أخفقت. أسرعت هيلين إلى الإطراء على ماكسين، وقالت لها إنها محقة. ارتعدت لمجرد التفكير في ما كان ليحصل لو أصرت على اصطحابه إلى المنزل. ثمة احتمال كبير أنه كان سينجح في الانتحار هذه المرة. على عكس ما اقترح طبيب هيلين، لم تكن هذه التصرفات للفت الانتباه. أراد جايسون الموت. كان مقتنعاً تماماً أنه قتل والده، كانت تنتابه مشاعر منافسة حياله طوال حياته، ونظراً إلى المناهضة الحادة التي حصلت بينهما في الليلة السابقة لموت والده، بقي جايسون مقتنعاً أن تظافر كل هذه الظروف هو ما قتله. سيحتاج الأمر إلى أشهر، أو حتى إلى سنوات، لإفهامه عكس ذلك لتبديد شعوره بالذنب. عرفت هيلين وماكسين أن فترة التعافي ستكون طويلة مع جايسون. وعلى عكس الآمال الأولية لأمه، لن يعود إلى المنزل خلال الميلاد. تأمل ماكسين الآن أن تتمكن من إيقانه هنا لمدة تتراوح بين ستة أشهر إلى سنة، بالرغم من أن الوقت لا يزال مبكراً لقول ذلك لأمه. إنها مصدومة كثيراً من فكرة نجاحه تقريباً في شق نفسه

الليلة الفائتة. لقد أخير أمه هذا الصباح أنه إذا أراد قتل نفسه، فيسفل. ما من شيء يوردعه. المعزن أن ماكسين أدركت من تجربتها أنه محق. ما عليهم فعله الآن هو شفاء روحه المجروحة، وسيستغرق ذلك بعض الوقت.

كانت ماكسين مجدداً على الطريق المرصية عند الساعة الرابعة، ووصلت إلى عيادتها بعد الغامسة بقليل نتيجة ازحام السير على الجسر. لديها موعد مع مريض عند الغامسة والتصف، وكانت تتحقق من كدسة الرسائل حين تلقت اتصالاً من طبيب هيلين، الدكتور ويست. فكرت في عدم الرد على الاتصال، مفترضة أنه اتصل لأجل الموضوع نفسه الذي سمعته منه في اليوم السابق، ولم تكن في مزاج جيد. وبالرغم من أنها تبقى دوماً محترفة في تعاملها مع مرضاه، وتحفظ بحدود جيدة، حزنت كثيراً لأجل جايسون وأمّه. إنه شاب ودود، وقد عانى من المشاكل ما يكفي لحياة كاملة. ردت على الاتصال على مضض، وحضرت نفسها لسماع صوته المتعجرف.

«نعم؟ الدكتورة ويليامز تتكلم..»

«أنا تشارلز ويست». على عكسها هي، لم يعرّف عن نفسه بلقبه، ولأحظت من صوته أنه يبدو حزياً، وهذا ما لم تكن تتوقعه. كان الصوت ناعساً وبارداً، وبالكاكاد بشراً فيما تابع الكلام. «تلقت اتصالاً من هيلين وكسليير هذا الصباح بشأن جايسون. كيف حاله؟»

بقيت ماكسين متحفظة وبعيدة. فهي لا تثق به. سجد على الأرجح خطأ في شيء فعلته، ويصرّ على إعادة جايسون إلى المنزل، بالرغم من حماقة ذلك. لكنها رأت أنه قادر على ذلك بعد تعيقاته في اليوم الفائت. «مثملاً لتوقع. كان منكباً حين رأيته، وإنما بدا متماسكاً. يذكّر ما فعله ولماذا. كنت واثقة تماماً من أنه سيحاول الانتحار مرة جديدة، بالرغم من أنه وعد أمه بالأ يفعل. يشعر بالكثير من الذنب حيال والده». هذا هو بالضبط ما ترغب بقوله له، وأكثر من كاف لتبرير أفعالها. «ليس هذا مستغرباً، لكنه يحتاج إلى بعض الوسائل البناءة للتعاطي مع المسألة، وليس الانتحار إحداهما.»

«أعترف. أنا أسف. اتصلت بك لأقول إنني فعلاً أسف لأنني بدوت أحمق البارحة. هيلين مقربة جداً منه، ولطالما كانت كذلك. فهو الولد الوحيد الذي بقي على قيد الحياة. لا أظن أن زواجهما كان جيداً». عرفت ماكسين ذلك لكنها لم تتعقّب، فما تعرفه لا يخصه أبداً. «تصورت فقط أنه يحتاج إلى الانتباه، فأنت تعرفين كيف هم الشباب في مثل عمره».

قالت ماكسين ببرود: «نعم أعرف، لكن معظمهم لا يحاولون الانتحار للفت الانتباه. تكون لديهم عادة أسباب قاهرة، وأظن أن جايسون يعتقد أن لديه أسباباً قاهرة، ستحتاج إلى عمل الكثير لإقناعه بعكس ذلك».

قال بلطفة: «أنا واثق تماماً من أنك تستطيعين فعل ذلك». تفاجأت كثيراً كم بدا متواضعاً، وهذا مختلف تماماً عن حاله في اليوم السابق. «أنا محرج للاعتراف بذلك، لكنني بحثت عنك عبر الإنترنت. لديك لائحة من أوراق الاعتماد المهمة أينها الطبية». تأثر كثيراً، وشعر بالإحراج لأنه اعتبرها مجرد تافهة من بارك أفنيو تستفيد من آل وكسليور، وتضخم المشاكل أكثر من اللزوم. قرأ سيرتها الذاتية، والجامعات التي درست فيها، وشهادتها التي نالتها، ولاحظ كتبها، ومحاضراتها، والتجان التي تعمل فيها، ويعرف الآن أنها حاضرت في العديد من المدارس في كل أرجاء البلاد بشأن الصدمة عند الأوالاد الصغار، وأن الكتاب الذي ألقته حول الانتحار عند المراهقين هو أفضل عمل مكتوب حول الموضوع. إنها قوة أساسية وسلطة مهمة في مجالها. هو الذي لا يبدو أحداً مقارنته معها، وبالرغم من أنه يتحلّى بمقدار معين من الثقة بالنفس، لم يستطع إلا أن يتأثر فيها. أي شخص كان ليفعل ذلك.

قالت ماكسين بعفوية: «شكراً لك دكتور ويست، عرفت أن جايسون كان جدياً في محاولته الثانية. هذا ما فعله».

«تستحقين أكثر من ذلك. أردت فقط أن أعتذر منك اليوم لأنني كنت أحمق البارحة. أعرف مقدار الألم الذي يمكن أن تشعر به هيلين، وهي تتعرض للكثير منه هذه الأيام. أنا طبيبها منذ خمسة عشر عاماً، وأعرف جايسون منذ ولادته. كان زوجها أحد مرضاي أيضاً، لم أدرك أبداً أن

جايسون يواجه هذا القدر من المشاكل».

«أظن أن المشاكل بدأت قبل موت والده. لقد أثر فيهم موت أخته كثيراً، وهو قبيح صرّحاً. فالشباب في عمر السادسة عشرة يكونون ضعفاء جداً، وهناك الكثير من التوقعات في هذه العائلة، على الصعيد الأكاديمي وغير ذلك. الولد الوحيد الذي بقي على قيد الحياة وكل ذلك ليس الأمر سهلاً عليه. وجاء موت والده ليفجر كل شيء».

«أفهم ذلك الآن. أنا أسف فعلاً». بدا صريحاً جداً، مما أثر فيها.

«لا تقلق بشأن ذلك. نسيء جميعاً الحكم على الأمور. ليس هذا مجالك. أنا لا أجري أبداً تشخيصات في داء السحايا أو داء السكري. لهذا السبب، تخصصت في مجالات محددة أيها الطبيب. هذا لطف منك أنك اتصلت». كان متواضعاً جداً وهو آخر شخص توقعت منه فعل ذلك. «يجدر بك الانتباه إلى هيلين. إنها متأثرة كثيراً. أحلتها إلى طبيب نفسي لينجز عملاً دقيقاً وممتازاً، لكن وجود جايسون في المستشفى خلال الأشهر القليلة المقبلة، ولا سيما خلال فترة الاحتفالات والعطلات، لن يكون سهلاً عليها. أنت تعرف كيف تكون الحال مع مثل هذه الأمور، ذلك النوع من التوتر الذي يضرب أحياناً جهاز المناعة». لقد ذكرت هيلين أمام ماكسين أنها تعرضت لركام قوي ثلاث مرات، وعانت من صداع الشقيقة بعد موت زوجها. لذا، فإن محارلات جايسون الثلاث للانتحار ومكوثه في المستشفى لن يحسنا حالتها على الأرجح، ويعرف تشارلز ويست ذلك أيضاً.

«سأبقى عينيّ عليها. أنت محقة، طبعاً. ألقق دوماً على مرضاي بعد موت زوج أو ولد. بعضهم ينهار مثل منزل الوري، بالرغم من أن هيلين قوية كفاية. سأنصل بها، وأنحَق من حالها».

قالت ماكسين بصراحة: «أظن أنها مصدومة بعد اللبنة القاتلة».

«ومن لا يكون كذلك؟ لا أولاد لدي، لكنني لا أستطيع تخيل أمر أسوأ، وقد خسرت هي ابنة قياً، وعلى وشك خسارة الثاني الآن، بعدما قرّمت. ما من شيء أسوأ من ذلك».

قالت ماكسين بحزن: «نعم، صحيح، كادت أن تخسره أيضاً. حمداً لله أن ذلك لم يحصل. سنبدل كل ما في وسعنا لعدم حصول ذلك. هذه مهمتي».

«أنا لا أحسبك. لا بد من أنك تواجهين عملاً صعباً».

قالت بهدوء وهي تلقي نظرة على ساعتها: «نعم». سيصل مريضها التالي بعد خمس دقائق. قالت مجدداً: «لطف منك أنك اتصلت». وهي تحاول إنهاء المكالمة، وكانت تعني ذلك فعلاً. لا ينزعج الكثير من الأطباء من ذلك.

«أعرف الآن إلى من أحيل مرضاي الذين لديهم أولاد يعانون من المشاكل».

«معظم ما أفعله هو معالجة الصدمات التي تعرّض لها الأولاد الصغار. بصفتي معالجة، يكون الأمر أقل توتراً من العمل فقط مع مراهقين حاولوا الانتحار. أتعاطى مع التأثيرات طويلة الأمد للأوضاع الأساسية الصادمة، مثل أحداث الحادي عشر من سبتمبر».

«شاهدت مقابلتك في مجلة نيويورك تايمز عبر شبكة الإنترنت، كانت رائعة».

«نعم». كتابها الثاني تناول الأحداث العامة والوطنية التي تولّد صدمة لدى مجموعات كبيرة من الأولاد. لقد شاركت في دراسات ومشاريع أبحاث عدة، وتحدثت مرات عدة أمام الكونغرس.

«إذا وجدت أن هناك ما يجدر بي معرفته بشأن هيلين، أو جايسون، أبلغيني. فالأشخاص لا يقولون لي دوماً ماذا يجري معهم. هيلين جيدة في ذلك، لكنها أيضاً كثومة جداً. فإذا عرفت شيئاً مهماً، اتصل بي».

«سأفعل». رن الجرس الداخلي لعيادتها. وصلت مريضة الساعة الخامسة والنصف في الموعد المحدد. إنها فتاة في الرابعة عشرة من عمرها تعاني من الأنوركسيا، وأصبحت أفضل حالاً مما كانت عليها في العام الماضي، بعد إدخالها لمدة ستة أشهر إلى المستشفى في يال. قالت

ماكسين بسرور: «شكراً مجدداً على الاتصال. هذا لطف منك». لم يكن رجلاً سيئاً في النهاية. فالإتصال بها لإبلاغها بأنه أخطأ هو أمر محترم جداً.

قال لها: «أبداً». ثم أفضأ الخط. نهضت ماكسين عن كرسيها، وأدخلت فتاة شابة جميلة إلى عيادتها. لا تزال نحيلة جداً وتبدو أصغر من عمرها. بدت في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر، بالرغم من أنها على وشك بلوغ الخامسة عشرة. لكنها كادت تموت بسبب الأنوركسيا في العام الماضي، ومع ذلك فإن الأمور تتحسن. لا يزال شعرها لا يثبت كما يجب، وقد خسرت أسناناً عدة خلال مكوثها في المستشفى، وستكون مسألة قدرتها على إنجاب الأولاد دقيقة، تطرح الكثير من التساؤلات، وتحتاج إلى دراسة وعلاج. إنه مرض خطير.

قالت ماكسين بحرارة: «مرحباً جوزفين، تقصلي». وهي تراقبها إلى الكرسي المألوف فتوقفت عليه الفتاة المراهقة مثل الهرة الصغيرة مع عيني كبيرتين بحثتا عن عيني ماكسين.

في غضون دقائق قليلة، اعترفت لوحدها بأنها سرقت بعض الحبوب الملبنة للمعدة الخاصة بأبها هذا الأسبوع، لكنها لم تستعملها بعدما فكرت ملياً. أومات ماكسين برأسها، وتحدثنا عن الأمر بعد ذلك، إضافة إلى أشياء أخرى. التقت جوزفين بشباب أعجبها، بعد أن عادت الآن إلى المدرسة، وهي تشعر بالتحسن حيال نفسها، إنها طريق طويلة وبطيئة وهي تعود من المكان المرعب الذي كانت فيه، حين وصل وزنها إلى ستين باونداً فقط في الثالثة عشرة من عمرها، أصبح وزنها خمسة وثمانين باونداً الآن، ولا تزال نحيلة نسبة إلى طولها، لكنها لم تعد في وضع كارثي. هدفهما الحالي هو الوصول إلى وزن مئة باوند. وفي الوقت الحاضر، لا تزال تكتسب باونداً إضافياً كل أسبوع، من دون أي خسارة في الوزن.

ستعان ماكسين مريضاً آخر بعدها، وهي فتاة في السادسة عشرة من عمرها جرحت نفسها، وعانت من ندوب كبيرة على ذراعيها، فغطتها، وحاولت الانتحار مرة حين كانت في الخامسة عشرة من عمرها. تم

استدعاء ماكسين من قبل طبيب العائلة، وهما بتعاونهما معاً في علاج الفتاة  
بحرزان تقدماً بطيئاً وإنما مطرداً.

انصلت ماكسين بسيلفر باينز قبل مغادرتها العيادة، وقبل لها إن  
جايسون ارتدى سروال الجيتز وانضم إلى بقية المرضى لتناول العشاء.  
لم يتحدث كثيراً، وعاد إلى غرفته مباشرة بعد ذلك، لكنها البداية. لا  
يزال تحت المراقبة، وسيبقى كذلك لفترة، إلى أن يشعر الطبيب المناوب  
وماكسين بالارتياح حياله. لا يزال مكتئباً جداً، ومعرضاً كثيراً للخطر،  
لكنه على الأقل بأمان في سيلفر باينز. ولهذا السبب أرسلته إلى هناك.

صعدت ماكسين في مصعد بنايتها عند الساعة السابعة والنصف وبدت  
مرهقة. حين دخلت الشقة، ركض سام مسرعاً إليها، وهو يرتدي زي  
ديك رومي ويصدر أصواتاً عالية، فابتسمت له ابتسامة عريضة. من الجيد  
العودة إلى المنزل. كان يوماً طويلاً، ولا تزال حزينة على جايسون. إنها  
تهتم كثيراً لمرضها.

قالت له: «انتهت مناسبة التنكر!»، فيما توقف، وابتسم لها ابتسامة  
عريضة، وركض نحوها لقف ذراعيه حول خصرها ومعانقتها. كاد يوقعها  
أرضاً حين فعل ذلك. إنه ولد صغير وفوي.

قال بفخر: «أعرف». أنا الديك الرومي في مسرحية المدرسة.  
«أعطوك الدور المناسب». طلق جاك بينما دخل المنزل وهو يرتدي  
ثياب كرة القدم ويتنقل الحذاء الرياضي المناسب، وخلف وراءه آثاراً وكتلاً  
من الوحل على السجادة، وهذا لا يهمه أبداً، كان يحمل مجموعة من ألعاب  
الفيديو التي استعارها من صديقه.

«سيجن جنون زيلدا»، حذرته أمه، وهي تلقي نظرة على السجادة،  
وما إن قالت ذلك حتى ظهرت المربية، وبدأت توبخهم جميعاً.

«سامي هذا الحذاء خارجاً، إذا لم تخلعه أمام الباب، جاك، ويليامز.  
متأكد كل الأرضيات والسجادات؛ كم مرة يجدر بي قول ذلك لك؟». «همممت بصوت عالٍ، وعادت إلى المطبخ، فيما جلس هو على الأرض،

وخلع الحذاء.

قال منمتعاً: «أسف». ثم ابتسم ابتسامة عريضة لأمه. «فزنا على  
فريق كولجيات اليوم. إنهم أقزام. بكى اثنان منهم عندما خسر فريقهما  
المباراة». شاهدت ماكسين صبياناً في فريق جاك سيكون أيضاً فالصبيان  
يأخذون الرياضة على محمل الجد، ونادراً ما يكونون رابحين أو خاسرين  
لبقن، حسبما تعلم.

«من الجميل أنكم فزتم. سأتي لحضور المباراة يوم الخميس». لقد  
خصّصت وقتاً في روزنامتها لفعل ذلك. التفتت بعدها صوب سام، وحدثت  
إلى زي الديك الرومي وقالت له: «متى مسرحيتك؟».

قال وهو يبدو مسروراً: «في اليوم السابق لمناسبة الشكر».  
«هل يجدر بك تعلم أي عبارات؟» كركر بصوت عالٍ أمامها للإجابة،  
فيما سد جاك أذنيه، ومشى بعيداً، وصرخت زيلدا من المطبخ: «العشاء  
بعد خمس دقائق».

خرجت مجدداً لتسرى ماكسين، وأخفضت صوتها. «انتظرنالك».  
تحاول تأخير العشاء في الليالي التي تعمل فيها ماكسين لوقت متأخر، إلا  
إذا تأخر الوقت كثيراً على الأولاد. لكنها تنجح في جعل ماكسين تشارك  
العشاء مع أولادها. عرفت زيلدا كم هذا مهم لها. إنه أحد الأشياء الكثيرة  
التي تحبها ماكسين فيها. فلم تكن يوماً حذيرة أو سلبية أو عدائية بشأن إبعاد  
ماكسين عن أولادها، أو إفساد الأمور عليها، مثلما تفعل مربيات بعض  
صديقاتها. كانت زيلدا مخلصه لهم بكل ما للكلمة من معنى، وهي كذلك  
منذ اثني عشر عاماً، ولا ترغب أبداً بالتطفل على دور الأم الذي تؤديه  
ماكسين مع أولادها.

قالت ماكسين: «شكراً، زيلي». ثم ألقت نظرة سريعة حولها. لم  
تشاهد ابتئها بعد، وإنما رأت الصبيين فقط. «أين داف؟ في غرفتها؟».  
حايمة ربما، مثلما افترضت، بعد تأنيها في اليوم السابق.

قال سام متزعزعا: «استردت هاتفها الخليوي وهي تتصل عبره». قيل

أن تستطيع زيلدا الإجابة، فعبست له المرعبة. سئبر ماكسين بنفسها في الوقت المناسب. لطالما فعل ذلك، وعرفت ماكسين أنها تستطيع الوثوق بها.

وبخته زيلدا «ليست الثرثرة على أختك من الأمور المستحبة». رفعت ماكسين حاجباً، وتوجهت إلى غرفة دافني. ومثلما قال سام، وجدتها على سريرها، تثرثر بمرح عبر هاتفها الخليوي. ففزت دافني حين شاهدت أمها. تقدمت ماكسين نحوها، ومدت يدها لاسترداد الهاتف. بدت دافني عصبية، ووضعت الهاتف الخليوي في يدها، بعدما قطعت الاتصال فوراً مع صديقها من دون أن تدعها.

«هل لا يزال اتفاق الشرف قائماً هنا أم أنه يجدر بي إعادة شرحه؟» لا شك في أن الأمور تتغير مع دافني بوتيرة سريعة. مضى وقت، ليس قبل زمن بعيد، كانت تحترم فيه العقاب ولا تسترد هاتفها الخليوي من دون إذن، إلا أن عمر الثالثة عشرة يغير كل شيء، ولم تحب ماكسين الأمر. «أسفة أمي». لم تنظر مباشرة إلى أمها، ثم نادتهما زيلدا إلى العشاء، فتوجهتا إلى المطبخ وكذلك فعل الصبيان، كان جاك حافي القدمين، ويرتدي سروالاً قصيراً خاصاً بكرة القدم، فيما دافني لا تزال في الثياب التي ارتدتها إلى المدرسة، وسام يرتدي بفخر زي الديك الرومي. نزع ماكسين سترة طقمها، وانتملت حذاء مسطحاً. كانت قد انتملت الكعب العالي طوال اليوم. تبدو دوماً محترقة في العمل، ومسترخية حين تعود إلى المنزل. إذا نسي لها الوقت، ترتدي سروال الجينز، لكن العشاء انتظر ما يكفي من الوقت، وهي تتصور جوياً تماماً مثل الأولاد.

كان عشاء مريحاً، وجلست زيلدا معهم، مثلما تفعل دوماً. بدأ عملاً خفياً بالنسبة إلى ماكسين أن تجعلها تأكل لوحدها، ومع عدم وجود والد إلى المائدة، دعها ماكسين دوماً للانضمام إليهم. تحدثت الولدان عما فعلته خلال اليوم، باستثناء دافني التي تفرقت بالليل، وعرفت أنها لا تزال مؤذبة. وشعرت بالإحراج من حادثة الهاتف. تصورت أن سام هو الذي وشى بها، فحدقت إليه، وهنست له سرّاً أنها ستنتقم منه لاحقاً. تحدثت جاك

عن مباراته، ووعده بمساعدة أمه على إعداد برنامج كمبيوتر جديد. كانت معنويات الجميع جيدة، وعاد كل منهم إلى غرفته بعد العشاء، بما في ذلك ماكسين، التي كانت مرهقة بعد يوم عمل طويل. بقيت زيلدا في المطبخ للتنظيف. بينما ذهبت ماكسين إلى غرفة دافني للتحدث إليها.

سألت ابنتها من الباب «مرحياً، هل أستطيع الدخول؟». تطلب الإذن عادة، خصوصاً في الوقت الحاضر. أجابت دافني «كما تريدن»، وعرفت ماكسين أن هذا جيد كفاية نظراً إلى العقاب وحادثة الهاتف.

دخلت ماكسين الغرفة، وجلست على السرير حيث كانت دافني مستلقية لمشاهدة التلفاز. أنجزت فروضها المنزلية قبل عودة أمها إلى المنزل. إنها تلميذة جيدة، وتقال علامات جيدة. جاك أكثر شروداً قليلاً، نظراً إلى شغفه باللعب الفيديو، وليس لدى سام أي فروض منزلية بعد. «أعرف أنك غاضبة مني بشأن العقاب، داف، لكنني لم أحب الحفلة. أريد أن أتكن من الوثوق بك وبأصدقائك، خصوصاً إذا خرجت من المنزل». لم تجب دافني، وإنما نظرت بعيداً، ثم التفتت أخيراً نحو أمها والامتعاض بإد في عينها.

«لم تكن هذه فكري. لقد أحضرت إحداهن الشراب.» «أنت سمحت بحصول ذلك. وأفترض أنك شربت أيضاً. منزلنا لا يقبل بهذا دافني، كذلك تقني بك، لا أريد لأي شيء أن يفسد ذلك». عرفت من دون ريب أن شيئاً ما سيؤدي إلى حصول ذلك. هذا متوقع في عمر دافني، وتقيم ماكسين ذلك، لكن عليها أيضاً تأدية دور الأم. لا تستطيع قسط الادعاء أن هذا لم يحصل، ومن دون أن تتفاعل معه. عرفت دافني ذلك أيضاً. شعرت بالأسف لأنه لم اقتضاح أمرهن.

«نعم، أعرف.» «يجب على صديقاتك احترامنا حين يأتين إلى هنا، ولا أظن أن حفلات كذلك هي فكرة رائعة.» قالت ابنتها بالإحراج، وهي ترفع دفتها: «ثمة أولاد آخرون يفعلون

أموراً أسوأ». وعرفت ماكسين ذلك. لا بل أسوأ. فهم يدخنون الحشيشة، أو يستعملون حتى المقويات، أو يشربون المشروبات القوية، ويأتون الكثير من الفتيات هذه الأيام يقمن بما تقوم به النساء الكبيرات وهن في عمر دافني. تسع ماكسين عن ذلك بشكل منتظم في مهنتها.

«لأنه مناقض لقواعدنا. وإذا بدأت بحرق بعض القواعد، أين ستوقفين؟ هناك اتفاقات معينة بيننا، شقوية أو غير ذلك، وعلينا احترامها، أو إعادة التفاوض بشأنها في مرحلة معينة، ولكن ليس في الوقت الحاضر. لكن القواعد تبقى قواعد. أنا لا أحضر رجالاً إلى المنزل وأقيم حفلات هنا. تتوقعين مني التصرف بطريقة معينة، وأنا أفعل ذلك. ولا أجلس في غرفتي وأتناول الشراب حتى أصبح في حالة يرثى لها، ويعنى علي ليلاً. كيف تستعيرين إذا فعلت ذلك؟». ابتسمت دافني رغماً عنها عند تخيل أمها في هذا المنظر المستبعد.

«لا تخرجين أبداً مع أي رجل على أي حال. الكثير من أمهات صديقاتي يحضرن أصدقاءهم إلى المنزل. أما أنت، فليس لك صديق». كانت الكلمات تهدف إلى الأذى، وأصابت هدفها، قليلاً.

«حتى لو كان لذيدي صديق، لن أفعل ما يجعلني في حالة يرثى لها. حين تكبرين قليلاً، يمكنك تناول الشراب معي، أو أمامي. لكنك لست في السن القانونية التي تتيح لك فعل ذلك بعد، وكذلك هنّ صديقاتك، ولا أريد أن يحصل هذا الشيء هنا. ليس في عمر الثالثة عشرة».

ثم أضافت «نعم، أعرف، سمح لنا أبايا بشرب الشراب القوي خلال الصيف الماضي في اليونان. حتى إنه قدّم القليل لسام، ولم يجنّ جنونه».

«هذا مختلف. كنت معه. هو الذي أعطاك الشراب الفرنسي. ولم تشربه في السر، بالرغم من أنه عليّ الاعتراف أنني لا أرحب كثيراً بذلك أيضاً. ما زلت جميعاً صغاراً على هذا. لا داعي ليده ذلك الآن». لكن هذا هو بلايك، وأفكاره مختلفة كثيراً عن أفكارها، ولا توجد أبداً أي قواعد

على نفسه وأولاده. كما أنه يحضر نساء معه، إذا أمكن اعتبارهنّ نساء. لمعظمهن مجرد فتيات شابات، وحين يكبر الأولاد في يوم من الأيام، ستكون النساء اللواتي يخرج معهنّ والدهن يعمرهن تقريباً. رأت ماكسين أنه يتساهل كثيراً معهم، لكنه لا يصغي أبداً إلى ما تقوله. ذكرت الأمر أمامه مرات عدة، وكل ما فعله هو الضحك وتكرار الأمر مجدداً.

«حين أصبح أكبر سناً، هل تسمحين لي بفعل هذا هنا؟». كانت دافني تتحقق من الأمور.

«ربما. إذا كنت موجودة. لكنني لن أسمح لصديقاتك بفعل هذا هنا إذا كنّ تحت السن القانونية. قد أواجه الكثير من المشاكل بسبب ذلك، خصوصاً إذا حدثت خطب ما أو تآذى شخص ما. ليست هذه فكرة جيدة». كانت ماكسين شخصاً يعتقد بشدة بالقواعد، وتتبعها بحذافيرها. عرف أولادها ذلك، وكذلك كل الأشخاص الآخرين، بمن فيهم بلايك.

لم تعلق دافني. لقد سمعت هذا الكلام قبلاً، حين ناقشنا الموضوع. عرفت أن الأهل الآخرين يفرضون قواعد أقل صرامة، أو حتى لا يفرضون قواعد على الإطلاق، وهناك أهل مثل أمها. إنه حظ القرعة. وقف سام عند الباب بزّي الديك الرومي وهو يبحث عن أمه.

«هل يجدر بي الاستحمام الليلة، أمي؟ انتهت كثيراً، لم أوسخ نفسي أبداً اليوم». ابتسمت ماكسين رداً عليه، وشغلت دافني التلفاز، وهذه إشارة إلى أمها بأنها سمعت ما يكفي ولا تريد سماع المزيد. انحنحت ماكسين لتقبيلها، وغادرت الغرفة مع ابنتها الصغير.

«لا أبالي كم كنت منتبهاً اليوم. نعم، عليك الاستحمام».

«هذا مقرف». كانت زليدا تنتظر عابسة، وتركزت لها ماكسين سام، ثم توقفت للتحقق من أن جاك قد أجز كل فروضه المنزلية، وعادت إلى غرفتها، وشغلت التلفاز. إنها ليلة جميلة وهادئة في المنزل، من النوع الذي تحبه كثيراً.

فكرت في ما قالته لها دافني، بأنها لا تخرج أبداً مع رجال. لم يكن



هذا صحيحاً تماماً. فهي تذهب إلى حفلات عشاء بين الحين والآخر، ويقعها أصدقاء قدامى أو أزواج من أيام زواجها. تذهب إلى الأوبرا، والمسرح، والباليه، ولكنها تعرف أنها لا تفعل ذلك دائماً، يبدو لها هذا بمطابقة جهد كبير عليها بذله، وتحب البقاء في المنزل بعد يوم عمل طويل. تذهب إلى السينما مع أولادها، وتشارك في حفلات عشاء الأطباء التي لا تستطيع التهرب منها. لكنها تعرف أن ما تقصده دافني صحيح تماماً. لم توعد ماركسين رجلاً منذ سنة. يزعمها الأمر أحياناً، خصوصاً حين تعي مرور الوقت. إنها في الثانية والأربعين من عمرها، ولم تقم علاقة جدية مع رجل بعد بلايك. توعد رجلاً بين الحين والآخر، ولكنها لم تلتق برجل يشعل جنونها منذ أعوام، ولم تتح لها فرصة اللقاء به. فهي تكون إما في العمل أو مع الأولاد، ومعظم الأطباء الآخرين الذين التقت بهم كانوا متزوجين، أو يبحثون عن مغامرات تؤدي بهم في النهاية إلى خداع زوجاتهم، وليس هذا ما تريده. الرجال الجذابين والصالحون في العedدين الرابع والخامس باتوا نادرين. فكل الرجال الجدد متزوجون، أو يبدون كذلك، فيما البقية هم رجال يخافون من الارتباط، أو يريدون الخروج مع نساء صغيرات في السن. فالعثور على رجل لإقامة علاقة معه ليس أمراً سهلاً مثلما يبدو، وهي لا تسعى وراء ذلك. تصوّرت أنه إذا كان مقدراً لذلك أن يحصل يوماً ما، فسيجعل. وفي غضون ذلك، تشعر بالارتياح.

مباشرة بعد انفصالها عن بلايك، تصوّرت دوماً أنها ستعثر على رجل آخر، أو ربما تتزوج مجدداً، لكن هذا الاحتمال بنضاهل شيئاً فشيئاً كل سنة. بلايك هو الشخص الذي يستمتع بحياته عاطفياً نشطة مع فتيات شابات مذهلات. أما ماركسين فتبقى في المنزل ليلة بعد ليلة، مع أولادها ومربيهم، وليست واثقة من أنها تريد الأمور بطريقة مختلفة. لا شك في أنها لا تقايض الوقت مع أولادها بموعد غرامي. وفي النهاية، ما السوء في ذلك؟ فعلى سبيل المثال، سمحت لنفسها بالتفكير في الليالي التي أمضتها بين ذراعى زوجها، ترقص معه، وتضحك معه، وتمشي على الشاطئ معه، وما إلى ذلك. من المخيف قليلاً التفكير في أن هذه الأمور لن تعود مجدداً

إلى حياتها. لكن إذا كان ذلك قدراها، فهي راضية به. لديها أولادها، وما الذي تحتاج إليه غير ذلك؟ لعلها قالت لنفسها إن هذا كافٍ.

كانت تفكر في الأمر حين دخل سام بعد انتهائه من الاستحمام وهو يرتدي ثياب نوم نظيفة بينما بقي حافي القدمين، وكانت رائحة الشامبو تفوح من شعره الرطب، فقفز إلى سريرها. «في ماذا تفكرين، أمي؟ تبتدين حزيئة؟». ما قاله أيقظها من حلمها، فابتسمت له.

«لست حزيئة، حبيبي. كنت أفكر فقط في المشاكل».

«مشاكل الكبار؟»، سأل باهتمام، فيما رفع صوت التلفاز بواسطة آلة التحكم عن بعد.

«نعم، نوعاً ما».

«هل أستطيع النوم في سريرك الليلة؟». على الأقل لم يخترع قصة الغوريلا هذه المرة، فابتسمت له.

«طبعاً. يبدو هذا جيداً لي». تحب هذا الإحساس حين ينام بجانبها، يعانقها بخنان، مما يعطيها الإحساس بالراحة التي يحتاجان إليها. مع وجود الصغير في سريرها خلال الليل، متوقفاً قربها، ما هو الشيء الآخر الذي تريده؟ لا يمكن لأي موعد غرامي أو علاقة عاطفية أن تكون جميلة بهذا القدر.

## الفصل الرابع

في صباح مناسبة الشكر، مزّت ماكسين على الأولاد في غرفهم، كانت دافني مستلقية على سريرها تتحدث إلى صديقة عبر الهاتف الخليوي، الذي أعيد إليها بطريقة رسمية. ظلت محتجزة وممنوعة من الحياة الاجتماعية، لكنها استعادت على الأقل هاتفاً. أما جاك فكان جالساً أمام كمبيوتره، وهو يرتدي قميصاً أزرق وسروالاً رمادياً وسترة، وساعدته ماكسين على عقد ربطة العنق. أما سام فلا يزال في ثياب النوم، وقد اقترب من التلفاز بحيث بدأ ملتصقاً به، يشاهد استعراض ميسي لمناسبة الشكر. غادرت زيلدا في وقت باكراً من الصباح للتعزية اليوم مع صديقة تعمل لدى عائلة في ويستسستر، وتقيم غداء مناسبة الشكر لمجموعة من المربيات اللواتي تعرفهن. إنهن سلالة خاصة، يهن حياتهن للأولاد الذين يهتمون بهم ويحببهم، من دون أن يكون لهم أولاد.

أحضرت ماكسين ثياب سام له، وذكرت دافني بضرورة إقفال الهاتف وارتداء ثيابها. دخلت ابتها إلى حمامها بينما بقي هاتفا الخليوي ملتصقاً بأذنها، وأقفلت الباب وراءها. عادت ماكسين إلى غرفتها للاستعداد. إنها تنوي ارتداء طقمًا لونه بيج مع كنزة متناغمة من الكشمير، وارتعال حذاء عالي الكعب. لبست الكنزة، وبدأت تمشط شعرها.

بعد عشر دقائق، دخل سام وقد زرّر قميصه بطريقة غير صحيحة، وأبقى سحاب بنطاله مفتوحاً، وكان شعره غير مرتب، فابتسمت له ابتساماً عريضة.

«هل أبدو جيداً؟»، سألت بثقة، بينما كانت تمشط شعره، وتطلب منه إغلاق سحابه.

قال متسماً: «أه»، فيما زرّرت له القميص، وطلبت منه إحضار

ربطة عنقه، إلا أنه تذر. «هل يجدر بي وضعها أيضاً؟ إنها تخفتني». «إذاً، لن نعدّها بإحكام، يضع جذك دوماً ربطة عنق، وسيضع جاك واحدة اليوم.»

قال سام مع نظرة متألّمة: «لكن أبي لا يضع أبداً ربطة عنق.»

قالت ماكسين بصرامة: «بلى، يفعل ذلك، يضعها حين يخرج.» «لم يعد يفعل ذلك.»

«حسناً، عليك وضعها يوم مناسبة الشكر. ولا تنس إحضار حذاءك.» عرفت أنه يفضل ارتعال حذائه الرياضي حين ذهابه لتناول الغداء في منزل جده. حين عاد إلى غرفته لإحضار ربطة عنقه وحذائه، ظهرت دافني عند الباب وهي ترتدي تنورة سوداء قصيرة، وجوربين أسودين اللون، وتنتعل حذاء عالي الكعب. جاءت إلى غرفة أمها لاستعارة كنزة أخرى، كنزتها الوردية المفضلة، وتلاًلأ القبطان الماسيان الصغيران في أذنيها. أعطتها ماكسين هذين القمطين بمناسبة ذكرى ميلادها الثالثة عشرة، وسمحت لها بتقرب أذنيها، وهي تريد الآن ثياباً أخرى. جميع الثيابات في المدرسة تقبّلن أذنهن مرتين على الأقل. لم تقبل ماكسين حتى الآن، وبدت ابننها جميلة مع شعرها الداكن المصطف بتعومة حول وجهها. أعطتها ماكسين كنزة رمادية بدلاً من الكنزة الوردية التي أرادتها، فيما دخل سام وهو يحمل حذاه، وبدأ الارتباك على وجهه.

قال وهو يبدو مسروراً: «لا أستطيع العثور على ربطة عنقي.»

قالت ماكسين بصرامة: «بلى، نستطيع. أذهب وقمّ مجدداً.»

قال: «أكرهك.» وهو الجواب المتوقع، فيما ارتدت ماكسين طقمها، وانتعلت الحذاء عالي الكعب، ووضعت قرطبان من اللؤلؤ في أذنيها.

بعد نصف ساعة، انتهوا جميعاً من ارتداء ثيابهم، ووضع الصبيان ربطتي عنقهما، وارتديا معطفي التزلج فوق ستريتهما، فيما ارتدت دافني معطفاً أسود قصيراً ذا ياقة صغيرة من القرو اشتراه لها بلاك لمناسبة ذكرى ميلادها. بدوا جميعاً مرتبين ومحترمين وحسن المظهر، ومشوا المسافة

التقصيرة في يارك أفنيو للوصول إلى شقة جديهم. أرادت دافني طلب سيارة أجرة، لكن ماكسين قالت إن السير على الأقدام سيفيدهم. إنه يوم جميل ومشمس من شهر نوفمبر، ويتطلع الأولاد إلى وصول والدهم بعد ظهر هذا اليوم. سيأتي من باريس، وسيصلون إلى شقته في الوقت المناسب لتناول العشاء. وافقت ماكسين على الذهاب معهم. من الجيد رؤية بلايك.

تعنى لهم الأب في بداية أهلكا يوم شكر سعيداً وهم يدخلون المصعد. كانت والدة ماكسين تنتظرهم عند الباب حين خرجوا من المصعد، إنها تشبه ماكسين كثيراً، لكنها أكبر سنًا وأثقل وزناً، ووقف والد ماكسين مباشرة خلفها مبتسماً ابتساماً عريضة.

قال بلطافة: «أعزائي، أعزائي، كم تبدو رائعين». قتل ابنته أولاً، وصافح الصبيين، فيما قبلت دافني جديتها، وابتسمت لجدتها الذي عانقتها.

قالت بنعومة: «مرحباً جدي». ولحق الأولاد بجديهم إلى غرفة الجلوس. زينت الجدة المكان بعدة باقات جميلة من أزهار الخريف، وبدت الشقة مرتبة وأنيقة كثيراً. كان كل شيء مرتباً وفي مكانه، وجلس الأولاد بتهديب على الأريكة والكراسي. عرفوا أنه ينبغي عليهم التصرف جيداً في منزل جديهم، جدهم لطيفان وحنونان، لكنهما غير معادين على وجود الكثير من الأولاد في المنزل دفعة واحدة، وخصوصاً الضيبان منهم. أخرج سام مجموعة من ورق اللعب من جيبه، وبدأ يلعب لعبة السمكة مع جده، فيما توجهت ماكسين مع أمها إلى المطبخ للتحقق من الديك الرومي.

كان كل شيء محضراً ومجهزاً بعناية، الأواني الفضية اللامعة، الشراشف المكوية بعناية، الحيش المطهون، والخضار قيد الطهي. الاجتماع في مناسبة الشكر هو تقليد يخبونه جميعاً. تستمتع ماكسين دوماً بزيارة أهلها. فقد دعماها طوال حياتها، وخصوصاً بعد طلاقها من بلايك. إنها يحبانه، لكنهما يعتبران أنه تخفى الحدود منذ نجاحه الكبير في عالم الإنترنت. ويجزان تماماً عن تفهم طريقة عيشه الآن. إنها قلقان من تأثيره في أولاده، لكنهما مرتاحان لاستمرار تأثير قيم ماكسين وانتباهها الدائم فيهم. إنهما مولعان بأحفادها ويحيان محبتهم إليهما ومشاركة المناسبات معهم.

لا يزال والد ماكسين مشغولاً في مهنته، يعلم ويجري العمليات الجراحية الخاصة، وهو فخور جداً بابنته وبمهنيتها كطبيبة. حين قررت الذهاب إلى كلية الطب وحذو حذوه، شعر بمرور كبير. وقد ذهل قليلاً بقرارها للتخصص في المعالجة النفسية، فهذا مجال لا يعرف الكثير عنه، لكنه تأثر بالمهنة، وأيضاً بالسمعة التي حققتها لنفسها في مجالها. وقد وزع بفخر نسخاً عدة من كتابها.

تحققت أمها من البطاطا الحلوة في الفرن، ووخزت الديك الرومي مجدداً للتأكد من أنه لم يجف، والتفتت صوب ماكسين مبتسمة ابتساماً حنونة. إنها امرأة هادئة ومتحفظة راضية طوال حياتها بأن تبقى في الظل، وتدعم زوجها، وهي فخورة بكونها زوجة طبيب. لم تشعر أبداً بالحاجة إلى مزاول مهنة خاصة. إنها من نوع النساء اللواتي يسعدن بالوقوف إلى جانب أزواجهن، وتربية الأولاد، والبقاء في المنزل بدلاً من العمل طالما لا توجد حاجة مادية ملحة. أنجزت الكثير من العمل الخيري لعصبة الشباب، وتطوعت في المستشفى حيث عمل زوجها، واستمتعت بالقراءة للعميان. كانت راضية وسعيدة، وحياتها هائلة، لكنها لقت من تحمّل ابنتها الكثير من المسؤولية لودعها، وعلمها بكد كبير. يزججها أكثر مما يزجج زوجها أن يكون بلايك والدًا غالباً، بالرغم من أن زوجها لم يشارك مباشرة في تربية ابنته أيضاً. لكن أسباب ذلك، ومهنته التي تتطلب وقتاً واهتماماً، أكثر قابلية للتفهم والاحترام بالنسبة إلى مارغريت كونورز من هوس بلايك وسعيه اللامسؤول وراء المتعة. لم تتمكن أبداً من فهم ما يفعله أو كيف يتصرف، ورأت أن صير ماكسين حيال ذلك مميز فعلاً، ولا سيما تسامحها لفقدانه اتسام للمسؤولية تجاه أولاده. في الواقع، شعرت بالأسف الكبير على ما يفقدون إليه، وبالأسف أيضاً على ماكسين، ولققت من عدم وجود رجل جدي في حياتها.

«كيف حالك عزيزتي؟ مشغولة كما هي الحال دوماً؟» سألت مارغريت. تتحدث هي وماكسين بضع مرات خلال الأسبوع، لكنهما نادراً ما يتولان شيئاً مهماً. إذا شعرت ماكسين بالحاجة إلى التحدث، فعلى

أكثر إلى مناقشة الأمور مع والدها، الذي تتمتع بروية أكثر واقعية للعالم، بقيت أمها محمية جداً خلال الأعوام الخمسين تقريباً من الزواج ولا تستطيع بالتالي أن تكون مفيدة بطريقة عملية. ونكره ماكسين جعلها تشعر بالقلق. «هل تعلمين على تأليف كتاب جديد؟».

«ليس بعد. في مهنتي، تحصل بعض الأمور الغربية التي تثير الجنون قبل فترة الاحتفالات. هناك دوماً مجنون ما يقوم بشيء لوضع الأولاد في خطر أو تعريضهم لصدمة، ويشعر مرضاي المراهقون بالعصبية خلال العطلات والمناسبات، مثل أي شخص آخر. تبدو عطلات المناسبات دوماً وكأنها تقود الجميع إلى الجنون»، قالت ماكسين وهي تساعد أمها على وضع اللقافات في سلة الخبز بعد تسخينها. بدأ عشاقهم فاخراً ورائحته لذيدة. بالرغم من أنها تحظى بالمساعدة خلال الأسبوع، تعتبر أمها طاهية ممتازة، وتفخر بتحضيرها وحيات المناسبات بنفسها. تعد دوماً عشاء الميلاد أيضاً، مما يريح ماكسين كثيراً، التي لم تكن يوماً سيدة منزل، وتشبه والدها في نواح عدة. تتمتع أيضاً برويته العملية والواقعية تجاه العالم. إن ميلها علمية أكثر مما هي فنية، ويصفتها المعيلة في عائلتها، فإنها واقعية جداً، حتى هذا اليوم، لا يزال والدها يحزّر الشيكات ويدفع القواتير. لذا، أدركت ماكسين جيداً أنه إذا حصل له مكروه، فستضيق أمها تماماً في العالم الحقيقي.

«تكون عطلات المناسبات فترة مليئة بالأعمال بالنسبة إلينا أيضاً»، قالت مارغريت فيما أخرجت الديك الرومي من الفرن. بدأ وكأنه جاهز ليصوّر ويُعرض في مجلة. «بيدو وكان الجميع يكسرون أحد أعضائهم خلال موسم النزح، وما إن يصبح الطقس بارداً، حتى يبدأ الناس بالسقوط على الجليد وكسر الوركين أو أي عضو آخر في جسدهم». فقد تعرضت لصادت على الجليد قبل ثلاثة أعوام، وجرى استبدال وركها بعد أن كسر جزءاً سقوطها. تعافت من المشكلة جيداً. «نعرفين كم يكون والدك مشغولاً في هذه الفترة من السنة».

ابتسمت لها ماكسين، وساعدتها على إخراج البطاطا الحلوة من الفرن، ومن ثم وضعها على الطاولة وسط المطبخ. كانت قشرة الخيطي

التي تغطيها ذهبية اللون. «أبي دائماً مشغول يا أمي».

قالت أمها بغفر: «وأنت أيضاً»، وذهبت لمناداة زوجها لتقطع الديك الرومي إلى شرائح. حين لحقت بها ماكسين إلى غرفة الجلوس، كان يلعب الورق مع سام، بينما يشاهد الولدان الآخرين مباراة كرة القدم على التلفاز. يحب والدها هذه الرياضة كثيراً، وكان جراح العظام المعتمد في فريق نيويورك جيتس طوال سنوات. لا يزال يراهم كمرضى في مهنته.

«حان وقت الديك الرومي»، أعلنت أمها فيما نهض والدها للتوجه إلى المطبخ وتقطع الديك الرومي إلى شرائح. اعتذر من سام، ونظر إلى ابنته ميتسماً ابتساماً عريضة. إنه يمضي وقتاً ممتعاً.

«أظن أنه يغش». علق والدها على طريقة لعب حفيدته.

«حتماً». واقفت ماكسين، فيما اختفى والدها في المطبخ لأداء مهمته.

بعد عشر دقائق، تم تقطيع الديك الرومي إلى شرائح، وأحضره والدها إلى مائدة الطعام، وتادت زوجته الجميع للجلوس إلى المائدة. تجد ماكسين سعادة بالغة في الروتين العائلي، وهي ممتنة لوجودهم جميعاً هنا ولا يزال أهلها بصحة جيدة. أمها في الثامنة والسبعين من عمرها والدها في التاسعة والسبعين من عمره، لكنهما لا يزالان في صحة جيدة. يصعب التصديق أن والديها تقدما في العمر إلى هذا الحد.

ثلث أمها الدعاء، مثلما تفعل كل سنة، ثم نولى والدها تمرير طبق الديك الرومي على الحاضرين. هناك حسوة، وهلام توت، وبطاطا حلوة، وأرز مسلوقة، وبازيلاء، وسبانخ، وهريسة كستناء ولفافات حضرها أمها من النشاء. إنه احتفال حقيقي.

قال سام: «بم!»، فيما كدس البطاطا الحلوة مع طبقة الخيطي في طبقه. أخذ كتلاً من هلام التوت، وحصّة كبيرة من الحسوة، وشريحة من لحم الديك الرومي الأبيض، من دون أي خضار على الإطلاق. لم تقل له ماكسين شيئاً، وتركته يستمتع بالوجبة.

«لكن من الوقت؟» سألت أمها. إنها تشارك زوجها بوجهة نظره أن بلايك هو خيبة أمل كبيرة كزوج ووالد، بالرغم من أنها تستلطفه.

«ربما لعطلة نهاية الأسبوع»، إذا بقي لهذه المدة. فمع بلايك، ما من شيء أكيد البتة. لكنه سيأتي على الأقل، وسيراهم في مناسبة الشكر. ليس هذا أمراً مفترضاً منه بصورة تلقائية ويسعد الأولاد بما يحصلون عليه، مهما كانت الفترة وجيزة.

«متى كانت آخر مرة راهم فيها؟»، سأل والدها مع عدم موافقة ظاهرة.

«في شهر يوليو. في اليونان على اليخت. أمضوا وقتاً رائعاً». قال والدها بصراحة: «ليست هذه هي النقطة، يحتاج الأولاد إلى أب. إنه غير موجود أبداً».

قالت ماكسين بصراحة: «لم يكن يوماً موجوداً». ليست مضطرة إلى الدفاع عنه بعد الآن، بالرغم من أنها لا تحب أن تكون غير لطيفة أو تزجج الأولاد عبر تعليقات سلبية عنه، وهذا ما لا تفعله أبداً. «لهذا السبب تطلقنا. إنه يجيبهم، لكنه يسيئ إظهار ذلك لهم. هذا مقرف، مثلما يقول سام. لكن يبدو أنهم متكيّفون تماماً مع المسألة. قد يشعرون بالغضب لاحقاً، لكن يبدو أنهم راضون في الوقت الحاضر. يقبلون به كما هو، فهو رجل خنون، يجيبهم، ويمكنهم الاستمتاع برفقته كثيراً». هذا تقييم مثالي لبلايك. قطب والدها حاجبيه، وهز رأسه.

«ماذا عنك؟» أضاف وهو قلق دوماً على ابنته. فهو مثل أمها، يرى أنها تعمل بجهد كبير، لكنه فقور جداً بها، وقلق بسبب وحدتها. لا يبدو ذلك عادلاً بالنسبة إليه، وكره بلايك على مسار تطور الأمور، أكثر من ماكسين نفسها. لقد تكيفت مع المسألة قبل زمن بعيد. لكن والديها لم يفعلوا ذلك أبداً.

قالت ماكسين بلطافة: «أنا بخير». إجابة عن سؤال والدها. عرفت ما يقصده. يطرحان دوماً هذا السؤال.

كما هي الحال دوماً، تكون المحادثة حيوية عند اجتماعهم مع بعضهم. سألتهم جدهم على التوالي عما يفعلونه في المدرسة، واهتم كثيراً لمباريات جاك في كرة القدم. وعند انتهاء الغداء، بالكاد استطاعوا التحرك لكثرة ما تناولوا من طعام. انتهت الوجبة بتقديم فطائر التفاح واليقطين ومجموعة من بوظة الفانيليا أو الكريما المخفوقة. كان قميص سام فوق البطال حين غادر المائدة، وياقصة قميصه مفتوحة، وربطة عنقه محلولة. بدأ جاك محترماً أكثر، لكنه نزع ربطة عنقه أيضاً. وحدها دافني بدت مثل سيدة مثالية، وبقيت مثلما كانت حين وصلت. عاد الأولاد الثلاثة إلى غرفة الجلوس لمشاهدة مباراة كرة القدم، فيما جلست ماكسين، واسترخت، وتناولت كوب قهوة مع والديها.

قالت ماكسين بصراحة: «كانت وجبة مذهلة، أمي». تحب الطريقة التي تطهو بها أمها، وتمنت لو أنها استطاعت التعلم منها. لكنها لا تملك هذه المهارة، كما أنها لا تهتم بمسألة الطهو وإعداد الطعام. «طهوك مذل دوماً»، أضافت، وابتسمت أمها ابتسامة عريضة.

قال والدها: «أمك امرأة مذهلة». وابتسمت ماكسين على النظرة التي تبادلانها. إنهما طريخان. بعد كل هذه السنوات، لا يزالان مغرمين ببعضهما. سيحتفلان بذكرى زواجهما الخمسين في السنة المقبلة. بدأت ماكسين تفكر في إحياء حفلة لهما. فالسؤولية تقع عليها بصفتها الابنة الوحيدة. «يبدو الأولاد رائعين»، علق والدها فيما تناولت ماكسين قطعة شوكولاته من صينية فضية وضعتها أمها أمامهم وتأوهت. يصعب التصديق أنها تستطيع ابتلاع أي شيء آخر بعد الوجبة العملاقة، لكنها فعلت.

«شكراً أبي، إنهم بخير».

«عن الميراث ألا يراهم والدهم». يقول دوماً هذه العبارة. يقدر ما استمتع بصحبة بلايك في بعض الأحيان، يرى أنه مخزٍ كوالد.

قالت ماكسين بطريقة عفوية: «سيأتي الليلة». عرفت رأي والدها، ولا تخالفه الرأي كثيراً.

«هل من رجل لطيف في الأفق؟». بدأ متقاتلاً.

قالت مبتسمة: «لا، لا أزال ألقم السمير مع سام». ابتسم والداها.

قال آرثر كونورز مع نظرة قلق: «أتمنى أن يتغير ذلك في يوم من الأيام، في النهاية، سيكبر هؤلاء الأولاد، قبل أن ندركي ذلك، وستجدين نفسك وحيدة».

«أظن أنه لا يزال أمامي بضع سنوات قبل أن أخاف من ذلك».

قال وهو يفكر فيها: «قد تمضي الأيام بسرعة؛ أمس كنت في كلية الطب. الآن، انظري أين أصبحت. أنت رائدة في اختصاصك حول صدمات الأطفال وانتشار المراهقين. حين أفكر فيك، ماكس، لا أزال أظن أنك في الخامسة عشرة من عمرك». ابتسم لها بخنان، وأومات أمها برأسها.

«نعم، أنا أيضاً، أبي. أنظر أحياناً إلى دافني، وهي ترتدي ثيابي، وتتعلل الكعب العالي، وأسأل كيف حصل ذلك. منذ وقت، وليس بعيد، كانت في الثالثة من عمرها. وأصبح جاك فجأة بطولي، بين ليلة وضحاها، وسام. أمس كان عمره شهرين، هذا غريب، أليس كذلك؟».

«يبدو الأمر أكثر غرابة حين يصبح أولادك في عمرك. ستكونين يوماً طفلة بالنسبة إليّ». تحب هذا في علاقتهما. لا بد من وجود مكان ما في العالم، مع أشخاص فيه، حيث تشعر دوماً أنك لا تزال طفلاً. يصعب على الشخص أن يكون ناضجاً طوال الوقت. هذا هو الشيء الجميل في بقاء الأهل على قيد الحياة، إذ يطغى شعور بالأمان لعدم الحاجة إلى أن تكون أكبر فرد في العائلة.

تسأل أحياناً ما إذا كانت تصرفات بلايك المنهورة والمجنونة نابعة من خوفه من التقدم في العمر. لا تستطيع لومه كثيراً إذا كانت هذه هي الحال، ففي العديد من الحالات، يخشى كثيراً المسؤولية، بالرغم من أنه لاسع جداً في العمل. لكن هذا مختلف. أراد أن يفيى الطفل الذهبي إلى

الأبد، وهذا قد كبر الآن، وأصبح في خريف العمر. عرفت أن هذا يخيفه أكثر من أي شيء آخر، ولا يستطيع الإسراع كفاية للهروب من مواجهة نفسه. هذا محزن نوعاً ما، وقد قوت الكثير على نفسه. فليما كان يجري بسرعة فائقة، كبر أولاده وخسر لحظات عديدة في مشاهدتهم وهم يكبرون. بدأ هذا ثمناً باهظاً ليكون بيتر بان.

قال لها والداها: «حسنًا، لا تتكلمي وكأنك كبرت، لا تزالين امرأة شابة، ويكون أي رجل محظوظاً بالتعرف إليك. لا تزالين صغيرة في عصر الثانية والأربعين. لا تحبسي نفسك، وتنسي السهر والاستماع». عرفوا جميعاً أنها لا تخرج من المنزل كثيراً. يخشى والداها أحياناً من أنها لا تزال مغرمة ببلايك وتتفطره، لكن أمها مصرة على أن الحال ليست كذلك. إلا أنها لم تعرف إلى أي رجل بعد. وقد أرادوا لها أن تعثر على الرجل المناسب هذه المرة. حاول والداها تدبير مواعيد غرامية لها مع بعض الأطباء، لكنه لم ينجح أبداً، وقالت ماكسين إنها تفضل العثور على الرجل المناسب بنفسها.

ساعدت أمها على تنظيف الطاولة وترتيب المطبخ. لكن مارغريت أخبرت أنها من مدبرة المنزل ستعود في اليوم التالي، ولذلك انضمتا إلى الآخرين في غرفة الجلوس، وشاهدوا بحماسة مباراة كرة القدم على التلفاز. عند الساعة الخامسة، حدقت ماكسين إلى الأولاد. تكرر فعل ذلك، لكنها لا تريدهم أن يتأخروا على بلايك، فكل لحظة يتشاركونها معه نفيسة جداً. أسف والداها لرويتهم بغادرون. تعانقوا، وتبادلوا القبلات، وشكرتهما هي وأولادها على الوجبة الرائعة. إنها الوليمة المفترضة لأي مناسبة شكر، وشعرت ماكسين بالامتنان على العائلة التي تملكها. عرفت كم هي محظوظة.

سارت والأولاد ببطء عبر جادة بارك أفنيو للعودة إلى منازلهم. حلت الساعة الخامسة والنصف، بدّل الأولاد ثيابهم لارتداء ثياب نظيفة ومريحة، وانصل بلايك في تمام السادسة، بسرعة غير معهودة منه. لقد وصل للتو. إنه في طريقه من المطار، وطلب منهم الذهاب إلى بيته عند الساعة السابعة.

قال إن كل شيء جاهز ويتنظرون. طلب من مطعم تحضير العشاء، وبما أنه عرف أنهم تناولوا الديك الرومي في منزل جدبهم، قال إنه طلب شيئاً مختلفاً. سيكون العشاء جاهزاً عند الساعة التاسعة، وستتمكنون من التحدث معاً حتى ذلك الحين. تحمس الأولاد لمجرد سماع ذلك.

«هل أنت واثق من أنك لا تزال تريد مني المجيء؟»، سألته ماكسين بحذر. تكره التطفل على وقتهم معه، بالرغم من أنها عرفت أن سام سيشرح بارتياح أكبر بوجودها. لكن عليه الاعتياد على التواجد مع بلايك في مرحلة ما. لم يمضِ أبداً وقتاً كافياً معه لتخطي هذه المشكلة. لكن بلايك لا يبالي. يحب وجود ماكسين، ويشعرها دوماً أنها محط ترحيب، حتى بعد مرور خمس سنوات على الطلاق، لا يزالان يستمتعان بصحبة بعضهما، كصديقين.

قال بلايك إجابة عن سؤالها: «أوه ذلك، يمكننا التعويض فيما يلعب الأولاد». يقيم الأولاد دوماً حفلة في منزله، فيلعبون ألعاب الفيديو، ويشاهدون الأفلام. يهيون غرفة عرض الأفلام والمقاعد الكبيرة والمريحة. إذ لديه في شقته كل ابتكار تكنولوجي عصري، منذ كان صغيراً. يذكرها بلايك دوماً بالتجسس طوم هانكس في فيلم بيع (كبير)، الصبي الرائع الذي يتكرر في زي رجل. «أراك عند السابعة»، وعدها بلايك فيما أقلقت ماكسين الخط، وأبلغت الأولاد بالخبر. أمامهم ساعة للاسترخاء وتوضيب أغراضهم للتوم عنده. بدا سام محتاراً قليلاً، لكنها طمأنته بأنه سيكون على ما يرام. «يمكنك التوم بجانب دافني إذا أردت»، ذكرته، وبدا مسروراً بذلك. ذكرت الأمر أمام دافني بعد بضع دقائق، وطلبت منها الاهتمام بسام، واقرحت على سام التوم بجانبها. لم تمنع دافني.

استقلوا جميعاً سيارة الأجرة بعد ساعة، في طريقهم إلى شقة بلايك. مجرد الصعود في المصعد ذكرهم بكرة التواجد في مركبة صاروخية. أنت بحاجة إلى رمز خاص لدخول شقته. يملك طابقتين كاملين، ومنذ اللحظة التي فتح فيها الباب لهم، ظهر لهم العالم الذي يعيش فيه بلايك. الموسيقى تصدح عبر النظام الصوتي المذهل، فيما الإنارة رائعة، والمنظر أكثر من

ساحر مع الواجهات الزجاجية الخارجية، والنوافذ التي بدت مثل اللوحات الفنية، وإنارة السقف المذهلة. كانت الجدران الداخلية مغطاة بالمرآيا لعكس المنظر، وكان السقف يعلو حوالي ثلاثين قدماً. اشترى بلايك طابقتين وحولهما إلى شقة واحدة مع درج داخلي دائري في الوسط، واشترى كل لعبة، أو دمية، أو ستريو، أو تلفاز، أو خدعة، أو هدية تخطر في البال. ثمة قليم سينمائي يعرض على شاشة غطت جداراً كاملاً، وأعطى جاك سماعات لمشاهدته. قتلهم وعانقهم جميعاً، وأهدى دافني هاتفاً خلوياً جديداً باللون السوردي نقش عليه أول حرفين من اسمها. علم سام كيفية تشغيل كرسى لعبة الفيديو الجديدة ومقايض التحريك التي ركبها في غيابه. كانوا جميعاً منهمكين في الألعاب، وفي الاعتياد على غرقهم مجدداً، حين حظي بلايك أخيراً بلحظة هادئة، انبتم لزوجته السابقة، ووضع ذراعه حولها.

قال يهدوء: «مرحباً ماكس، كيف حالك؟ أسف بشأن كل هذه القوضى». كان مذهلاً أكثر من أي وقت مضى. بشرته مملوحة تماماً بالشمس، مما جعل عينيه الزرقاوين نبدوان أكثر جمالاً. كان يرتدي سروال جينز، وكنتزة سوداء. ويتنقل جزمة رعاة بقر من جلد التصاح صُنعت خصيصاً له في ميلانو. لا شك في أنه لفت جداً للنظر، قالت ماكسين لنفسها، فكل شيء فيه جذاب، ووسيم جداً، هذا ما يشعر به المرء حياله، ولكن لمدة لا تتعدى العشر دقائق تقريباً، بعدها يدرك أنه لا يستطيع الاعتماد عليه، إذ لا يظهر أبداً عند الحاجة، ولن يتضج أبداً مهما كان جذاباً. إنه أجمل وأذكى وأروع ببتر بان في العالم. إنه رائع إذا أردت تأدية دور وندي، وإلا فهو ليس بالرجل المناسب. عليها تذكير نفسها بذلك أحياناً. فالتواجد ضمن حالته تجربة صعبة من دون شك. لكنها تعرف أفضل من أي كان أنه ليس رجلاً ناضجاً أو مسؤولاً. تشعر أحياناً وكأنه ولدها الرابع.

«إنهم يحبون القوضى»، طمأنته. التواجد معه أشبه بالتواجد في سيرك ثلاثي الحلقات. ومن لا يجب ذلك في عمرهم؟ كان الأمر أصعب كثيراً بالنسبة إليها. «تبدو رائعاً، بلايك. كيف حال المغرب أو باريس أو أينما كنت؟».

«سيكون المنزل في مراكز رائعة. بقيت هناك طوال الأسبوع . كنت في باريس البارحة». ضحكك على التناقض بين تعطي حياتهما. كانت هي في سنفلور باينز، تعالين جايسون، في لونغ أيلند. وهذا بعيد تماماً عن صخب حياة زوجها السابق، لكنها غير مستعدة لمقايضة الأدوار معه. لم يعد باستطاعتها العيش بهذه الطريقة. «تبدين رائعة أنت أيضاً ماكس. هل ما زلت مشغولة كثيراً؟ تعالين مليون مريض؟ لا أعرف كيف نتجحين في ذلك». خصوصاً عند معرفة المسائل الصعبة التي تتعاطى معها. إنه معجب بالعمل الذي تقوم به، والأم التي هي. كانت زوجة رائعة أيضاً. لطالما قال ذلك.

قالت ماكسين وهي تبتسم: «أحب حياتي هكذا. لا بد من أن يفعل أحد ما الأمور التي أقوم بها، وأنا مسرورة لأنني من يقوم بها. أحب العمل مع الأولاد». أوماً برأسه، وهو يعرف كم هذا صحيح.

«كيف كان غداء الشكر مع والديك؟». اعتاد على الشعور بالكبت في مناسبات الشكر التي أمضاها معها، لكنه يجيها بطريقة مريحة. إنها ما يفترض أن تكونه كل عائلة، وبات عدد أولئك الأشخاص قليلاً في هذه الأيام. لم يعرف عطلة مثل تلك التي كان يمضيها معها منذ خمسة أعوام.

«كان الجو لطيفاً. فولادي يجبان الأولاد وهما رائعان. إنها في صحة جيدة بالنسبة إلى عمرهما. لا يزال والذي يجزي العمليات الجراحية، ولكن ليس كثيراً، ويعلم ويمارس مهنة الطب بدوام كامل وهو في التاسعة والسبعين من عمره».

قال بلايك: «ستكونين أنت هكذا أيضاً»، فيما سكب الشراب الخفيف في كوبين، وأعطاهما أحدهما. إنه يشرب دوماً شرباً من نوع كريستال. أخذت الكوب، وارتشفت منه، وهي تتأمل المنظر الجميل من شقته. المنظر أشبه بالتحليق فوق المدينة. كل شيء يملكه أو يلمسه يكشف عن ميزة سحرية فيه. إنه أقصى ما يحلم الأشخاص أن يحققوه، لكن عدداً قليلاً فقط يملكون أسلوب بلايك وقدرته على النجاح.

تفاجأت لعدم وجود امرأة معه هذه المرة، وشرح لها الأمر بعد دقائق قليلة، مبتسماً إسمامة مأكرة. قال لها: «هذنت للتسو». من قبل عارضة أزياء عمرها أربعة وعشرون عاماً تركته للذهاب مع نجم روك مهم، قال بلايك إنه يملك طائرة أكبر من طائرتيه. لم تستطع ماكسين منع نفسها من الضحك على الطريقة التي قال بها ذلك. لا يبدو منزجاً، وعرفت أنه غير منزجج. فالحقايات اللواتي يخرج برققتهن هن فقط للتسلية بالنسبة إليه. ليس لديه أي رغبة بالاستقرار، ولا يريد المزيد من الأولاد، ولذلك فإن النساء الشابات اللواتي يخرج معهن سيذهبن في النهاية للزواج بشخص آخر. الزواج به ليس أبداً خياراً ممكناً، وهو آخر شيء يفكر فيه. فيما جلسا في غرفة الجلوس وترئرا، دخل سام، وقفز على حضن أمه. جلس يراقب بلايك باهتمام، كما لو أنه صديق للعائلة وليس والده، ثم سأله عن الصديقة التي كانت معه في الصيف الماضي. نظر إليه بلايك وضحك. «قوتت على نفسك اثنتين أيها البطل منذ ذلك الحين. كنت أخبر أمك للتو. خذتني واحدة الأسبوع الماضي. لذا، أنا وحيد هذه المرة». أوماً سام برأسه على الشرح، وألقى نظرة سريعة على أمه.

«ليس لأمي صديق أيضاً. لا تخرج أبداً. تكفني بنا».

قال بلايك وهو يتبسم لهما: «يجدر بها الخروج، إنها امرأة جميلة جداً، وستكبرون أنتم في يوم من الأيام». هذا ما قاله بالضبط والد ماكسين بعد الغداء. لا تزال أمامها اثنتا عشرة سنة قبل أن يلتحق بالجامعة. ليست مستعجلة، بالرغم من مخاوف الجميع. سأل سام حينها عن مدرسته، وهو لا يعرف ماذا يقول، وأخبر سام والده أنه أدى دور الديك الرومي في مسرحية المدرسة. أرسلت ماكسين صورته عبر البريد الإلكتروني إلى بلايك، مثلما تفعل دوماً في الأحداث المهمة. كما أرسلت إليه بعض الصور لجاك في مباريات كرة القدم.

تجول الأولاد في المنزل، وتحدثوا بارتياح إلى والديهم، واعتادوا على بلايك مجدداً. نظرت إليه دافني بعشق ظاهر، وحين غادرت الغرفة، أخبرته ماكسين عما فعلته دافني مع صديقاتها، كي يكون فقط على اطلاع



بذلك، ولا يسمح بحصول ذلك حين تكون دافني معه.

قال لها: «هيا، ماكس، لا تكوني صارمة جداً. إنها مجرد فتاة صغيرة. ألا تظنين أن احتجازها في المنزل لمدة شهر مبالغ فيه قليلاً؟». هذا هو رد الفعل الذي توقعته منه، وليس هذا ما تحبه. لكنها لم تتفاجأ. إنه واحد من الاختلافات العديدة بينهما. لا يعتقد بلايك بالقواعد، على أي كان، أو على الأقل على نفسه.

قالت ماكسين بهدوء: «يجب أن يكون لديها حدود، واحترام للحدود، وإلا ستقع في ورطة كبيرة بعد سنوات قليلة. أفضل الضغط على المكابح الآن».

«أعترف». تنهدت وبدت عيناها الزرقاوان أكثر سطوعاً من أي وقت مضى فيما نظرت إليها ببراءة. بدا مثل صبي صغير، وبخته أمه أو معلمته للنسو. لا تحب ماكسين هذا الدور، لكنها أدته معه طوال سنوات. أصبحت معتادة على ذلك الآن. «ربما أنت محقة. لكنني لا أرى مشكلة كبيرة في المسألة. فعلت أموراً أسوأ حين كنت في مثل عمرها. كنت أسرق الشراب الاسكتلندي من مشرب والذي في عمر الثانية عشرة، وأبيعه في المدرسة مقابل مبالغ طائلة». ضحك. وكذلك فعلت ماكس.

«هذا مختلف. هذا عمل. كنت مقولاً في ذلك العمر. أراهن أنك لم تكن تشرب الشراب الاسكتلندي». لم يكن في الإجمال بفرط في تناول المشروبات، ولم يتعاطأ أبداً المخدرات. لكنه متهور في كل التواحي الأخرى. لدى بلايك حساسية إزاء القيود مهماً كان نوعها.

«أنت محقة». ضحك بلايك أكثر عندما تذكر ذلك. «لم أشرب الشراب الاسكتلندي إلا حين بلغت الرابعة عشرة من عمري. كنت مهتماً أكثر للظهور بالمظهر الرزين، وحمل الفتيات اللواتي أخرج برفتن على أن يبدون بحالة يرثى لها. بدت هذه خطة أفضل بالنسبة إليّ».

هزت ماكس رأسها وهي تضحك. «ولماذا اظن أن الأمر لم يتغير؟».

«لا أحتاج إلى دفعهن ليكنَ على هذه الحالة الآن»، اعترف لها مبسماً ابتسامة غير خجولة. تربطهما غراب علاقة على الإطلاق، فهما أقرب إلى كونهما صديقين راعين، أكثر من شخصين بقيا متزوجين لمدة عشر سنوات، وأنجبا ثلاثة أولاد. إنه الرفيق المجنون الذي تراه مرتين أو ثلاث مرات في السنة، فتكون هي الشخص المسؤول، وتربي الأولاد، وتدعب إلى العمل كل يوم. إنهما مثل الليل والنهار.

وصل العشاء في تمام الساعة التاسعة، وكان الجميع جائعين حينها. طلب الطعام من أفضل مطعم باباني في المدينة، وجرى تحضيره أمامهم، مع كل أنواع المتكّهات والسمسات الغريبة، وطاه أحرقت كل شيء بالتارة وقطع القريدس، ودفقه في الهواء ثم التقطه بيد مكسوة بقفاز. أحب الأولاد ذلك. كل ما يفعله بلايك أو ينظمه يكون مذهلاً ومختلفاً. حتى سام بدا مسترخياً وسعيداً حين غادرت أمه. كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل تقريباً، وكان الأولاد يشاهدون فيلماً في قاعة العرض. عرفت أنهم سيقون مستيقظين حتى الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل. لكن هذا لن يؤذيهم، ولا تريد أن تحرمهم أي دقيقة من وقتهم معه. يستطيعون النوم حين يعودون إلى المنزل عندها.

«متى ستاقر؟»، سألتها فيما ارتدت معطفها، وهي تخشى أن يقول لها: «غداً»، لأنها عرفت أن هذا سيغضب الأولاد. يريدون تمضية بضعة أيام معه على الأقل، خصوصاً وأنهم لا يعرفون متى يروونه مجدداً، بالرغم من أن ذكرى الميلاد باتت قريبة، وينجح عادة في تمضية بعض الوقت معهم خلال هذه العطلة.

قال لها: «ليس قبل الأحد». ولاحظ الارتياح على وجهها.

قالت بهدوء: «هذا جيد، يكره الأولاد لحظة مغادرتك». قال بحزن تقريباً: «أنا أيضاً، إذا كنت لا تمانعين، أريد اصطحابهم إلى أسبن بعد الميلاد. لم أضع أي خطط نهائية بعد، لكن من الجميل التواجد هناك خلال رأس السنة».

لكن ما تملكه الآن هو كل ما تريده.  
أدركت للمرة الألف منذ تركته، أنها اتخذت القرار الصحيح. بلايك  
ويليامز هو حلم كل امرأة، لكنه لم يعد حلمها.

«سيحبون ذلك». ابتسمت له. تشتاق إليهم دوماً حين يذهبون معه،  
لكنها تريد أن يكون لهم أب، وليس سهلاً تدبر الأمر معه. فلا بد من  
الاستفادة من وجوده حين يكون راعياً وقادراً على إنجاز مشاريع معهم.  
«هل تريدان تناول العشاء معنا غداً؟». عرض عليها، وأوصلها إلى  
المصعد. لا يزال يستمتع بتمضية الوقت معها، ولطالما فعل ذلك. كان  
يزيد الاحتفاظ بها كزوجة له إلى الأبد. لكن ماكسين هي التي تركته، ولا  
يلومها على ذلك. وقد أمضى وقتاً ممتعاً منذ ذلك الحين. لكنه لا يزال يحب  
وجودها في حياته، وهو مسرور لأنها لم تطرده أبداً. تساءل ما إذا كان  
سيغير ذلك حين تعثر على رجل تربطها به علاقة جدية، ولم يشك أبداً في  
أنها ستعثر على رجل يوماً ما. نتاجاً لأن الأمر استغرق كل هذا الوقت.  
قالت وهي تبدو مسترخية: «ربما، سنرى كيف هي الحال مع الأولاد.  
لا أريد التطفل». يحتاجون إلى وقت لوحدهم مع والدهم، ولا تريد التطفل  
عليهم.

«نحب وجودك معنا». طمأنها، وعانقها ليقول لها إلى اللقاء.

«شكراً على العشاء»، قالت فيما دخلت المصعد وتوجت له في أثناء  
إغلاق الباب. نزل المصعد خمسين طابقاً، وقرعت أذنانها عندما وقعت  
تفكر فيه. هذا غريب. لم يتغير أي شيء. لا تزال تحبه. لطالما أحبته.  
لم تتوقف أبداً عن حبه، لكنها لم تعد تزيد العيش معه. لا يزالها حتى إن  
كان يخرج مع قتيات في العقد الثاني من عمرهن. يصعب تحديد علاقتهما.  
لكن، أياً كانت هذه العلاقة، ومهما بدت غريبة، فإنها تتناسبهما.

أوقف لها البواب سيارة أجرة حين خرجت من المبنى. وبينما كانت  
تتجه نحو شقتها، فكّرت كم كان اليوم لطيفاً. شعرت بالغرابة لأن المنزل  
بدا هادئاً ومعتساً حين دخلته. أنارت المصابيح، وتوجهت إلى غرفتها،  
وفكرت في بلايك وأولادها في شقته القضة. بدت لها الشقة التي تعيش فيها  
أفضل من أي وقت مضى. لم تعد ترغب بأي جزءه أو نمط من حياته.  
ليست بحاجة إلى هذا النوع من الإفراط وتدليل الذات. كانت سعيدة معه،

«تعافت بأعجوبة في المرة الأخيرة، إنها فتاة قوية جداً»، عقلت  
ماكسين.

«عليها أن تكون كذلك. يبدو وكأنها تناولت كوكيتلاً. هير وبين،  
وكوكا بين، ومنشطات، ويظهر تحليل الدم سم جرد. يبدو أنهم يستبدلون  
هير وبين الشوارع ببعض المواد الأكثر إيذاء هذه الأيام. مات ولدان هنا  
بسبب ذلك خلال الأسبوع الماضي. ماكسين... لا تتخلي عن الأمل، لا  
أريد أن أبدو سلبية بشأن ذلك، لكن إذا نجحت من هذه الحالة، لست واثقة  
من أنها ستعود إلى حالتها الطبيعية».

«نعم، أعرف. شكرأ على الاتصال بي. سأرتدي ثيابي وأتي فوراً.  
أين هي؟».

«في غرفة العناية الفائقة في قسم الصدمات. سأكون بانتظارك هنا.  
والداها منزجان كثيراً».

«لا شك في ذلك». عانى المسكينان من هذا الوضع أربع مرات مع  
فتاة واجهت صعوبات منذ كانت في الثانية من عمرها. إنها فتاة لطيفة،  
لكن، بين مرض الشخصية ثنائية القطبين وإدمانها على الهيروين، سكتت  
الطريق السريعة نحو الكارثة منذ أن كانت في الثانية عشرة من عمرها.  
تعاينها ماكسين منذ عامين. إنها الفتاة الوحيدة لوالدين محبين ومخلصين،  
فما كل ما في وسعها لمساعدتها. لكن هناك بعض الأولاد الذين لا تستطيع  
مساعدتهم مهما حاولت معهم.

أدخلتها ماكسين المستشفى أربع مرات خلال العامين الماضيين، من  
دون أي جدوى تقريباً. لحظة خروجها من المستشفى، تعود للتعاطي مجدداً  
مع رفاق السوء أنفسهم. قالت لماكسين مراراً وتكراراً إنها لا تستطيع كبت  
نفسها. لا تستطيع ببساطة الابتعاد عن المخدرات، وقالت إن الأدوية التي  
تصفها لها ماكسين لا تعطيها أبداً المفعول الذي تريده مثل تلك المواد التي  
تشترها من الشارع. بقيت ماكسين خائفة من هذه النتيجة طوال العامين  
الماضين.

## الفصل الخامس

كانت ماكسين نائمة عند الساعة الرابعة فجراً حين رن الهاتف قرب  
سريرها. احتاجت إلى وقت أطول من المعتاد لتستيقظ، إذ كانت نائمة  
بعمق. تفرص غالباً في نوم أعمق حين لا يكون أولادها موجودين في  
المنزل. حين ألتفت نظرة سريعة على الساعة، أملت ألا يكون قد حصل  
خطب ما في شقة بلايك. تساءلت ما إذا عانى سام من كابوس، ويريد  
العودة إلى المنزل. أجابت على الهاتف بصورة تلقائية، قبل أن تستيقظ  
تماماً ومن دون تفكير.

قالت بسرعة: «دكتورة ويليامز». لأخفاء حقيقة نومها، بالرغم من  
أنه ما من أحد يتوقع أن تكون مستيقظة عند الرابعة فجراً.

«ماكسين، أنا أمعة للاتصال بك في هذه الساعة». إنها تيلما واشنطن،  
الطبيبة البديلة عنها في عطلة السكر وعطلات نهاية الأسبوع. «أنا في  
مستشفى نيويورك مع آل أندرسون. فكرت في أنك تريد أن أتصل بك.  
تناولت هيلاري جرعة مفرطة من المخدرات هذه الليلة. عثروا عليها عند  
الساعة الثانية بعد منتصف الليل». إنها فتاة في الخامسة عشرة من عمرها،  
و ذات شخصية ثنائية القطبين تواجه مشاكل مع الهيروين، وقد حاولت  
الانتحار أربع مرات خلال العامين الماضيين. أصبحت ماكسين فجأة  
مستيقظة تماماً. «أحضرتها إلى المستشفى بأسرع ما يمكن. أعطاهم رجال  
الإسعاف ثابوكسون، لكن الوضع لا يبدو تحت السيطرة».

«تياً، سأتي فوراً». كانت ماكسين واثقة فيما لفظت الكلمات.  
«ما زالت فاقدة الوعي، ولا يظن الطبيب المناوب أنها ستفعل».

يصعب قول ذلك. «أعطتها تيلما المعلومات».

ارتدت ثيابها في أقل من خمس دقائق، انتعلت حذاء مسطحاً، وارتدت كتزة وسروال جينز. أخرجت معطفاً سميكاً من الخزانة، وحملت حقيبتها، وطلبت المصعد. عثرت فوراً على سيارة أجرة، وكانت في المستشفى بعد خمس عشرة دقيقة من اتصال تيلما واشنطن، طبيبتها البديلة. ذهبت تيلما معها إلى هارفارد، وهي أميركية من أصول أفريقية وواحدة من أفضل الأطباء النفسيين الذين تعرفهم. بعد الجامعة، وعلى مرّ سنوات تعاظفهما المهني مع بعضهما، أصبحنا صديقين. تعرف أنها تستطيع الانكال دوماً على تيلما، على الصعيد الشخصي أو المهني. إنها متشابهتان في نواح عدة، ومتفانيتان كثيراً في عملهما. تشعر ماكسين بارتياح تام لترك مرضاها بين يديها. توجهت ماكسين صوب تيلما قبل أن تتحدّث إلى آل أندرسون، وأبلغتها تيلما بسرعة بأخر التفاصيل. كانت هيلاري في غيبوبة عميقة، ولم يتنج أي شيء أعطوها إياه حتى الآن في إعادتها إلى الوعي. تناولت كمية هائلة من المخدرات فيما كانت لوحدها في المنزل، بعد خروج والديها. لم تترك ملاحظة، لكن ماكسين عرفت أنها ليست بحاجة إلى ذلك. لطالما أخبرت ماكسين أنها لا تهتم لموتها أو لحياتها. بالنسبة إليها، وإلى العديد من الأشخاص مثلاً، يصعب كثيراً التعايش مع شخصية ثنائية القطبين.

بدت ماكسين منزعة حين رأت جدول المعلومات، ووقفت تيلما قربها. قالت ماكسين وهي تبدو حزينة: «يا الله، لقد تناولت كل شيء باستثناء بالوعة المطبخ». أومات تيلما برأسها.

«قالت أمها إن صديقها تخلى عنها الليلة الماضية، يوم مناسبة الشكر. أنا والقة من أن هذا أزعجها كثيراً». أومات ماكسين برأسها، وأغلقت جدول المعلومات. تم إنجاز كل الخطوات الصحيحة. وكل ما يمكنهم فعله الآن هو الانتظار لمعرفة ما سيحصل. لا يخفى على أي منهما، أو على والدي هيلاري، أنه إذا لم تستعد وعيها سريعاً، ثمة احتمال كبير أن تصاب إلى الأبد بضرر في الدماغ، إذا عاشت، وهذا لا يزال مشكوكاً فيه. ففاجأت ماكسين أنها لا تزال على قيد الحياة بعد كل ما تناولته.

«هل من فكرة لديك متى فعلت ذلك؟»، سألت ماكسين، فيما مدت

العرائس في الزواجر. بدت تيلما متعبة وقلقة. تكره مثل هذه الحالات. مهيتها أقل ضغطاً من مهنة ماكسين، لكنها تحب العمل نيابة عنها. فالعمل مع مرضاها هو دوماً بمثابة تحدّ.

«ربما قبل بضع ساعات من عثورهم عليها، وهذه هي المشكلة. تنسى للمواد السامة الوقت الكافي للتأثير في جسمها. لهذا السبب، لم يتنج النالكسون، بحسب المسعفين الذين أحضروها». النالكسون هو عقار يعكس تأثيرات المخدرات القوية، في حال أعطى في الوقت المناسب. إنه يحدث الفرق بين الحياة والموت في الجرعات المفرطة، وقد أنقذ هيلاري أربع مرات قبلاً. إلا أنه لم يحدث فرقا هذه المرة، وهذا دليل سيئ بالنسبة إلى الطبيبتين.

ذهبت ماكسين لرؤية هيلاري قبل أن تترى والديها. لقد وضع لها جهاز التنفس، وفريق قسم العناية الفائقة لا يزال يعمل على إنقاذها. كانت عارية على السرير، مغطاة بشرف رقيق. تنفّس بواسطة الجهاز عوضاً عن التنفس الطبيعي، وبدت جامدة بلا حراك، ووجهها رمادي اللون. وقفت ماكسين تنظر إليها لبرهة طويلة، وتحدّثت إلى الفريق الذي راقبها منذ وصولها إلى هنا، ثم تحدّثت إلى الطبيب المناوب. لا يزال قلبها صامداً، بالرغم من أن جهاز المراقبة أشار مراراً عدة إلى عدم انتظام في خفقان القلب. لا دليل على الحياة في جسد ابنة الخمسة عشر عاماً التي بدت أشبه بطفلة مستلقية هناك. كان شعرها مصبوغاً باللون الأسود، وملأ الرسم ذراعها. لقد تصرف هيلاري وفق أهوائها الخاصة، بالرغم من جهود أوبوها بإقناعها بعكس ذلك.

أومات ماكسين إلى تيلما، وذهبتا معاً لرؤية والديهن في قاعة الانتظار. بقيا مع هيلاري طوال الوقت في البداية إلى أن طلب منهما الفريق الطبي المغادرة. فمن المزعج أن يرى والداها ما يحصل. كما أن الأطباء والمرضات يحتاجون إلى مجال للتحرك.

كانت أنجيلا أندرسون تبكي حين دخلت ماكسين لروبتهما، ووضع قبل ذراعيه حولها، وبدا أنه كان يبكي هو الآخر. لقد عاشا مثل هذه المحنة

قبلاً، لكن الوضع لم يتحسن، وإنما بات أسوأ، وهما يندركان تماماً أن هيلاري قد بلغت كثيراً هذه المرة.

«كيف حالها؟»، سألا في الوقت نفسه، فيما جلست ماكسين معها، وغادرت تيلما الغرفة.

«تماماً مثلما كانت حين وصلت. رأيتها للتو. إنها تكافح بقوة. تفعل دوماً هذا». ابتسمت ماكسين لهما بحزن، إذ ألمها رؤية الخوف في عيونهما، وكانت حزينة هي الأخرى. هيلاري فتاة لطيفة جداً. مضطربة كثيراً، وإنما لطيفة. «هناك بعض السموم في العقاقير التي تناولتها»، شرحت ماكسين. «يحصل هذا في الشوارع. أظن أن مشكلتنا أساساً هي أن السموم أخذت كل وقتها للتأثير في جسمها قبل العثور عليها، وثمة مستوى معين يستطيع القلب تحمّله. لقد أخذت جرعة قوية جداً من بعض العقاقير القوية». ليس هذا جديداً بالنسبة إليهما، لكن عليهما إنذارهما بطريقة ما أن النهاية ربما لن تكون سعيدة هذه المرة. ما من شيء آخر تستطيع فعله. يبذل فريق العناية الفائقة كل ما في وسعه لإنقاذها.

أحضرت تيلما القهوة لهم جميعاً بعد دقائق قليلة، ثم عادت ماكسين لرؤية هيلاري مجدداً. لحقت بها تيلما، عندها طلبت منها ماكسين الذهاب إلى المنزل. لا جدوى من بقائهما معاً طوال الليل. سبتقي ماكسين. شكرت تيلما قبل مغادرتها، وذهبت للتحقق من حال قلب هيلاري. أصبح خفقانه أقل انتظاماً، وقال الطبيب المناوب إن ضغط دمها يتخفّض، وهذه ليست بالإشارات الجيدة.

في الساعات القليلة التالية، تنقلت ماكسين ذهاباً وإياباً بين آل أندرسون وابتئهما، وعند الساعة الثامنة والنصف صباحاً، قررت ماكسين إدخالهما إلى وحدة العناية الفائقة لرؤيتهما. أصبحت مدركة تماماً حينها أنها قد تكون المرة الأخيرة التي يشاهدان فيها ابنتهما على قيد الحياة. بكت والدة هيلاري بقوة حين لمسها، والحنن لتقبيلها، وبقي الوالد مع زوجته، لكنه بالكاد استطاع النظر إلى ابنته. لا تزال تنفّس عبر الجهاز، لكنه بالكاد استطاع إيقادها على قيد الحياة.

ما إن عادوا إلى قاعة الانتظار مجدداً، حتى جاء الطبيب المناوب وأشار إلى ماكسين، قلقت به. «لا يبدو الوضع جيداً».

قالت ماكسين: «نعم، أعرف». لحقت به إلى سرير هيلاري في قسم العناية الفائقة مجدداً، وما إن دخلا حتى أصدر جهاز المراقبة صوت إنذار. لقد توقف قلب هيلاري. أراد والداها فصل كل شيء ممكن، وبذل فريق القلب كل ما في وسعه لإعادة قلبها إلى العمل. تم إعطاء صدمة كهربائية، فيما راقت ماكسين وهي تبدو حزينة. دكّوا قلبها، ووضعوا عليها ألواح الصدمات الكهربائية مرات عدة، ولكن من دون جدوى. عملوا على إحياء حسد هيلاري الخالي من الحياة طوال نصف ساعة، إلى أن أشار الطبيب المناوب أخيراً إلى بقية الفريق. انتهى الأمر. لقد ماتت هيلاري. وقفوا جميعاً ينظرون إلى بعضهم بعضاً لبرهة طويلة ومؤلمة، ثم التفت الطبيب المناوب نحو ماكسين، وأوقفوا عمل جهاز التنفس، وأخرجوه من تم هيلاري.

قال بهدوء: «أنا أسف». وغادر الغرفة. لم يعد في وسعه فعل أي شيء آخر.

قالت ماكسين: «أنا أيضاً». ثم توجهت بحثاً عن آل أندرسون. عرفا لحظة دخولها، وبدأت والدة هيلاري بالصراخ. جلست ماكسين معهما نوقت طويل، وأمسكت والديها بين ذراعيها فيما بكت. عانقت فيل أيضاً. طلبا رؤية هيلاري مجدداً، فأخذتهما ماكسين إلى الغرفة. لقد وضعوها في غرفة لوحدها قبل أخذها إلى المشرحة. تركتهما ماكسين لوحدهما معها لمدة ساعة تقريباً. وأخيراً، عادا إلى منزلهما محطّمين.

وقّعت ماكسين على شهادة الوفاة وكل المستندات اللازمة. كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحاً حين غادرت أخيراً، وترلت إلى الأسفل. كانت تخرج من المصعد حين نادتها ممرضة تعرفها باسمها. التفتت ماكسين، وبدت عيناها حزبتين.

قالت الممرضة بلطافة: «أنا أسفة... سمعت للتو...». كانت موجودة

آخر مرة تم إحصاء هيلاري فيها إلى هنا، وساعدت على إنقاذ حياتها. كان فريق الإنقاذ جيداً مثل هذه المرة، لكن فرصة هيلاري في النجاة هذه المرة بدت أقل بكثير. فيما تحدثنا، لاحظت ماكسين أن رجلاً طويلاً برندي زيتي طبيب أبيض يقف قريباً، يراقبهما، ولم تعرف أبداً من يكون.

انتظر حتى انتهت ماكسين من التحدث إلى الممرضة، التي صعدت إلى الأعلى لمباشرة عملها في قسم العناية الفائقة، ثم اقترب.

«دكتورة ويليامز؟»، سأل بحذر. لاحظ أنها مشغولة، وبدت نوعاً ما غير مرتبة ومتعبة.

«نعم؟».

«أنا تشارلز ويست. الغبي الذي واجهك بشأن جايسون وكمليز قبل بضعة أسابيع. أردت فقط أن أقول لك مرحباً». لم تكن في مزاج للتحدث إلى أي كان، لكنها لم تشأ أن تكون قطة. كان لطيفاً كفاية للاتصال والاعتذار، ولذلك بذلت جهداً الآن للتحدث إليه.

«أسفة، كانت ليلة طويلة. فقدت للنو مريضة في قسم العناية الفائقة. فناء عمرها خمسة عشر عاماً تناولت جرعة مقرطة من المخدرات. لا تعاد أبداً على الأمر. يتحطم قلبك كل مرة». تذكرنا ما كان يمكن أن يحصل لجايسون لو أصغت إليه، وكانا مسرورين لأنها عرفت أفضل ولم تستمع إليه.

«أنا أسف. لا يبدو هنا عادلاً، أليس كذلك؟ أنا هنا لمعاينة مريضة في الثانية والتسعين، وركبها مكسور وتعاني من التهاب في الرئتين، وهي في حال جيدة. وأنت تخسرين فناء عمرها خمسة عشر عاماً. هل أقدم لك كوب قهوة؟».

لم تتردد ماكسين. «ربما في مرة أخرى». أوماً برأسه وشكرته مجدداً، ثم غادر. راقبها وهي تمشي في الرواق. ذهل بمظهرها. افترض أنها أكبر سناً مما تبدو عليه. توقع امرأة مشاكسة نوعاً ما. قرأ عنها عبر الإنترنت، لكن لم تكن هناك أي صورة فوتوغرافية لها. لم تضع يوماً

واحدة. لم يكن هذا مهماً لها. معلوماتها وسيرتها الذاتية كافية.

دخل تشارلز ويست المصعد وهو يفكر فيها، وفي الليلة التي أمضتها. فالنظرة في عينيها عبرت عن كل شيء. ذهل حين سمع الممرضة تتأدبها، وثمة شيء أجبره على الانتظار والتحدث إليها. كل ما استنطاع التفكير فيه في أثناء خروجه من المصعد هو أن القدر وضعها في طريقه مرة جديدة.

كان تشارلز ويست آخر من خطر في بال ماكسين فيما أوقفت سيارة أجرة، وتوجهت إلى المنزل. لا تزال تفكر في هيلاري وآل أندرسون، وفي الخسارة الكبيرة التي منيأ بها، والألم الكبير لخسارة شابة في مثل سنّها. تكره ماكسين مثل هذه اللحظات، لكن مأساة كهذه تجعلها دوماً أكثر عزماً على إنقاذ كل الآخرين من أنفسهم.

## الفصل السادس

لم تكن ماكسين في مزاج جيد للخروج مع بلايك والأولاد ليلة الجمعة. اتصل بها بعد الظهر، وأخبرته بما حصل معها في الليلة الفائتة. كان متعاطفاً معها ومدحها مجدداً على ما تقوم به. لم تشعر أنها تستحق المدح في هذا الوقت. قال إنه سيأخذ الأولاد للتسوق بعد الظهر، ودعاها للقدوم. أصرت على أنهم سيقومون حفلة، لكنها أصرت على عدم الذهاب، وشعر أنها محبطة. كان يخطط لأخذ الأولاد لشراء هدية الميلاد لها، وكان متجراً تيفاني وكارتيه على اللاتحة، لكنه لم يذكر الأمر لها. دعاها بدلاً من ذلك للقاءهم على العشاء، ورفضت هذا أيضاً. شعر بالأسف على انزعاجها الشديد لموت مريضتها، وطلب من الأولاد أن يكونوا في غاية اللطف معها، حين مرر لهم الهاتف للتحديث إليها.

تحدثت إلى سام وكان سعيداً وعلى ما يرام. حين توصلها سام للانضمام إليهم، وعنده بالذهاب معهم إلى العشاء في الليلة التالية. سيحتفلون مع بلايك. أخذهم إلى مطعم 21 لتناول الغداء، وهم يحبون ذلك دوماً، واصطحبهم بجولة في المروحة هذا الصباح، وهذه تلبية مفضلة معه. وعدتهم بالانضمام إليهم في اليوم التالي، وشعرت بالقليل من التحسن بعدما أفلتت الخط.

اتصلت بتيلما واشنطن، وأخبرتها عما أنت إليه الأمور، ولم تتفاجأ صدقتها. شكرتها ماكسين على مساعدتها، ثم اتصلت بوالدي هيلاري أندرسون. كانوا في حال سيئة، ولا يزالان مصدومين. عليهما إجراء ترتيبات الدفن، والاتصال بالأصدقاء والأقارب، وكل الأمور المزعجة التي يعيشها الإنسان عند خسارة ولد، عبرت لهما ماكسين مجدداً عن أسفها الكبير، وشكرها على مساعدتها. وبالرغم من معرفتها بأنها فعلت

كل ما يمكن فعله، إلا أن ماكسين ما زالت مغمورة بإحساس الهزيمة والفسارة.

اتصل بها بلايك مجدداً، بينما كانت ترتدي ثيابها للخروج في نزهة. أراد التحقق من أنها بخير، لم يخبرها، لكنه اشترى لها للتو مع الأولاد سواراً جميلاً من الياقوت.

طمأنته أنها بخير، وتأثرت لإتصاله. بالرغم من أنه ليس محط ثقة بالنسبة إليها، يبقى دوماً حنوناً ويفكر فيها ويتصرف معها مثلما تصرف الآن.

«يا الله، لا أعرف كيف تتجحن في ذلك، أذهب إلى مصح للأمرض النفسية لو فعلت ما تعلبينه كل يوم». عرف أنها تساء كثيراً حين يموت أحد مرضاها، وهذا يحصل أحياناً نظراً إلى طبيعة عملها.

اعترفت له «لقد اعتدت على ذلك، لكن هذا يحصل أحياناً. أشعر بأسى كبير على الوالدين لأنها ابنتهما الوحيدة. أظن أنني قد أموت إن حصل أي شيء لأولادنا». فقد عاشت كثيراً هذا النوع من الحزن الكبير الناتج عن خسارة ولد. وهذا أكثر ما تخشاه في حياتها، وهو الأمر الوحيد الذي تدعو الله كي لا يحصل أبداً في أسرتها.

«هذا مريب». قلق بشأنها. فبالرغم من تعاطفها الجيد مع المسألة، عرف أنها لا تعيش حياة سهلة نوعاً ما. إنه يريد فعل أي شيء ممكن لها الآن. لكن ليس هناك الكثير الذي يستطيع فعله. هيلاري هي مريضتها، وليست ابنتها.

تنهدت وقالت: «أظن أنني أحاج إلى يوم إجازة، سأستمتع برؤيتك أنت والأولاد غداً». سيصطحبهم إلى افتتاح مسرحية هذه الليلة، وسيذهبون جميعاً لتناول العشاء في الليلة التالية. «بالإضافة إلى ذلك، عليك تمضية وقت لوحدهم معهم، من دون وجودي أنا». إنها حريصة دوماً على ذلك.

قال وهو يتسهم: «أحب وجودك». بالرغم من أنه هو الآخر يحب التواجف لوحده مع أولاده. يبتكر دوماً أشياء مريحة ليقوموا بها. إنه ينوي

أخذهم للتزلج على الجليد في اليوم التالي، وقالت إنها قد تفعل ذلك معهم. لكن اليوم، وبما أن الأولاد مشغولون وفي أيدي أمينة، أرادت أن تكون لوحدها. طلب منها بلايك الاتصال به إذا بذلت رأبها، ووعده بأن يفعل ذلك. من الجميل وجوده في المدينة، بحيث يمتحها فرصة للتغيير.

ذهبت للقيام بنزهة في الحديقة العامة، ثم بقيت في المنزل طوال فترة بعد الظهر، وحضرت الحساء بنفسها للعشاء. اتصل بها سام قبل أن يذهبوا إلى المسرحية، وكان متحمساً لمشاهدتها مع والده.

«استمتع مع بابا الليلة، وسأتي للتزلج معكم غداً»، وعدته. تتطلع بالفعل إلى ذلك، وشعرت بالتحسن، بالرغم من أن قلبها يعتصر ألماً كلما فكرت في السيد والسيدة أندرسون وخسارتهما الكبيرة. كانت تفكر فيها، فيما تناولت حساءها في المطبخ، حين دخلت زيلدا.

«هل كل شيء بخير؟». نظرت إليها زيلدا بعينين قلقتين. تعرفها جيداً.

«نعم، بخير، شكراً زيلي».

«تبدين وكأن أحدهم مات».

«بالفعل، ماتت مريضة من مرضاي. فتاة عمرها خمسة عشر عاماً. كان ذلك محزناً جداً».

قالت زيلدا بشدة: «أكره ما تفعلينه، بصيني ذلك بالاكثاب. لا أعرف كيف تفعلين ذلك. لماذا لا تفعلين شيئاً مرحاً مثل توليد النساء؟». ابتسمت ماكسين على ما قالته.

«أحب أن أكون طبيبة نفسية، وأنجح أحياناً في إبقاء بعضهم على قيد الحياة».

قالت زيلدا: «هذا جيد». وجلست قريباً إلى طاولة المطبخ. تعرف جيداً متى يجب التحدث إليها، ومتى تتركها لوحدها. «كيف حال الأولاد مع والدهم؟».

«بخير». أخذهم في رحلة في المروحية، وذهبوا للتسوق، وتناولوا

الغداء والعشاء خارجاً، وسيحضرون افتتاح مسرحية الليلة».

قالت زيلدا بدقة: «إنه سانتا أكثر مما هو والد». أوامات ماكسين برأسها فيما أنهت حساءها.

ردت بطريقة واقعية «عليه أن يكون كذلك للتعويض عن الأوقات التي لا يتواجد فيها معهم». لم يكن هذا انتقاداً وإنما حقيقة.

قالت زيلدا بحكمة: «لا يمكنك التعويض عن ذلك برحلة في المروحية».

«هذا أفضل ما يستطيع القيام به. لا يستطيع النواجد دوماً، لأي كان. كان هكذا حتى قبل أن يجني كل ذلك المال. لقد أصبح أسوأ حين باتت لديه الوسائل لتدليل نفسه. لطالما يُجد رجال مثله في العالم. في الأيام الغابرة، كانوا يصبحون بخارة، ومعامرين، ومستكشفين. ربما ترك كريستوفر كولومبوس مجموعة من الأولاد في المنزل. هناك بعض الرجال الذين لا يستطيعون التصرف كأزواج وآباء عاديين».

اعترفت زيلدا «كان والدي من هذا النوع تقريباً، تخلى عن أمي حين كنت في الثالثة من عمري. انضم إلى الأسطول البحري التجاري واختفى. اكتشفت بعد سنوات عدة أن لديه زوجة أخرى وأربعة أولاد في سان فرانسيسكو. لم يزرع نفسه أبداً ليطلقها، أو حتى ليراسلها. اختفى فقط، وتخلّى عنها، وعن أخي وعني».

«هل رأيت يوماً أقصد لاحقاً»، سألت ماكسين باهتمام. لم تخبرها زيلدا أبداً عن هذا الجزء من تاريخها. كانت كتومة نوعاً ما بشأن حياتها الخاصة، وتحترم كثيراً حياتهم الخاصة.

«لا، مات قبل أن أتأكد من فعل ذلك. أردت الذهاب إلى كاليفورنيا والتقاء به. فعل أخي ذلك، لم يتأثر كثيراً بزيارته. توفيت أمنا بعد أن حطّم قلبها. بدت وكأنها أرادت الموت حين كان عمري خمسة عشر عاماً. ذهبت للعيش مع خالتي، وماتت حين كان عمري ثمانية عشر عاماً. عملت كمربية منذ ذلك الحين». يبرر ذلك سبب ارتياحها للعمل ضمن عائلات. فالعائلات



توفر لها الاستقرار والحب اللذين لم تعرفهما أبداً حين كانت صغيرة. عرفت ماكسين أن أختها ماتت في حادث دراجة نارية قبل أعوام عدة. لقد أصبحت زليداً وحيدة مبدئياً، باستثناء العائلة التي تعمل لديها، والمربيات الأخريات اللواتي صادقتن على مر السنوات.

«هل التقيت يوماً بإخوتك؟». سألت ماكسين بلطافة.

«لا. تصورت نوعاً ما أنهم سبب موت أمي. لم أبدأ اللقاء بهم». عرفت ماكسين أنها عطلت مع العائلة السابقة طوال سبع سنوات، إلى أن التحق الأولاد بالجامعة. جعلها ذلك تتساءل ما إذا كانت زليداً نادمة على عدم إنجابها الأولاد، لكنها لم تجرؤ على سؤالها.

جلسنا إلى طاولة المطبخ، وتحدثنا قليلاً فيما تناولت ماكسين العشاء، ثم ذهبت كل منهما إلى غرفتها. نادراً ما تخرج زليداً في المساء، حتى في أيام العطلات. كانت ماكسين تحب البقاء في المنزل أيضاً. لقد ذهبت إلى السرير في وقت باكراً من تلك الليلة، وهي لا تزال تفكر في المريضة التي خسرتها هذا الصباح، والألم الذي يعيشه والداها. من المريح إبعاد المسألة عن تفكيرها والخلود إلى النوم.

شعرت بالتحسن حين استيقظت في صباح اليوم التالي، بالرغم من أنها لا تزال حزينة نوعاً ما، التفت ببلايك والأولاد في مركز روكفلر، وذهبت للتزلج على الجليد معهم. تناولوا بعد ذلك الشوكولاته الساخنة في المطعم الموجود إلى جانب حلبة التزلج، ثم عادوا إلى شقته. توجه الأولاد مباشرة إلى قاعة العرض لمشاهدة فيلم قبل تناول العشاء، وبدوا مرتاحين تماماً معه في المنزل. يتكيفون دوماً بسرعة حين يظهر في حياتهم. اتصلت دافني بالثنين من صديقاتها لدعوتهمما للمجيء. تحب عرض منزله الفخم والرائع، والتباهي بوالدها الريم.

تحدثت ببلايك وماكسين لبعض دقائق، ثم انضمنا إلى الأولاد لمشاهدة الفيلم. إنه فيلم لم يُعرض بعد في الصالات. يعرف بلايك أشخاصاً في كل مكان، ولديه امتيازات لا يملكها سوى عدد قليل غيره. بات يعتبر ذلك

معياراً الآن، وأخير ماكسين أنه تذهب إلى لندن بعد نيويورك. سيلتقي بأصدقاء لحضور حفلة روك هناك. يعرف أيضاً التجوم الذين سيشاركون في الحفلة. يبدو أحياناً، حتى لماكسين، وكأنه يعرف الجميع في العالم. لقد عزف أولاده مرات عدة إلى ممثلين معروفين ونجوم روك مشهورين، وتتم دعوتهم إلى الكواليس في كل مرة.

حين انتهى الفيلم، دعاهم بلايك جميعاً لتناول العشاء. حجز في مطعم سوشي جديد تم افتتاحه قبل بضعة أسابيع، وهو المكان الجديد الأكثر رواجاً في المدينة. لم نسمع به ماكسين من قبل، لكن دافني تعرفت كل شيء عنه. جرت معاملتهم كأشخاص بالقي الأهمية حين وصلوا. دخلوا المطعم الرئيسي، وتم منحهم غرفة طعام خاصة. كان العشاء معتزلاً، وأعضوا جميعاً وقتاً جيداً. أوصلوا ماكسين بعد ذلك إلى منزلها، وذهب بلايك مع الأولاد إلى شقته. سيعيدهم إلى ماكسين عند الساعة الخامسة من اليوم التالي قبل أن يغادر. وكالعادة، حين تبقى لوحدها، تعضي نهارها في العمل. كانت جالسة أمام الكمبيوتر، تعمل على كتابة مقالة، حين عادوا إلى المنزل. لم يأت بلايك معهم لأنه تأخر على المطار، وكان الأولاد يطيرون من الحماسة حين دخلوا المنزل، سعد سام كثيراً لرؤية والدته. أعلن سام «سأخذنا إلى أسين خلال عطلة رأس السنة، وقال إنه باستطاعة كل منا إحضار صديق له. هل أستطيع اصطحابك بدلاً من ذلك، أمي؟». ابتسمت ماكسين على العرض.

«لا أظن ذلك حبيبي. قد يرغب بابا بإحضار سيدة معه، وسيكون الموقف غريباً نوعاً ما».

صرخ سام بطريقة عملية «قال إنه ليس لديه صديقة في الوقت الحاضر». وقد خاب أمله لأن أمه رفضت العرض.

«لكن قد يصبح لديه صديقة حينها». لا يحتاج بلايك أبداً إلى وقت طويل للعثور على امرأة جديدة. تقع النساء بين يديه مثل الفاكهة عن الشجرة.

أصر سام «ماذا لو لم يفعل؟».

«ستحدث عن الأمر حينها». استمتع بتناول العشاء مع بلايك حين يكون موجوداً في المدينة، وتذهب للتزلج معه ومع الأولاد. لكن الذهاب في رحلة مع زوجها السابق هو أكثر مما تريده، وطبعاً أكثر مما يريد هو منها. فحين يعبرها يخته كل سنة، لتمضية عطلات الصيف، لا يكون موجوداً. بالإضافة إلى ذلك، يكون هذا وقته ليمضيه مع أولاده. إلا أنه لطف من سام سؤالها عن ذلك.

أخبروها عن كل الأشياء التي فعلوها وشاهدوها معه خلال الأيام الثلاثة الماضية، وكانت معنوياتهم جميعاً جيدة. لم يكونوا حزبيين كما هي حالهم غالباً حين يغادر المدينة، لأنهم عرفوا هذه المرة أنهم سيرونه بعد شهر واحد في أسبن. إنها مسرورة ومشروعه، وأملت ألا يخيب أمهم إذا حصل شيء ما أو صرف شيء آخر انتباهه. يجب الأولاد الذهاب معه إلى أسبن، وإلى أي مكان آخر. فهو يفعل أي شيء قد يكون مصدر مغامرة ومرح بالنسبة إليهم.

خلال العشاء، قالت دافني إن والدها أخبرها بإمكانية استعمالها لشقته في أي وقت، حتى لو لم يكن موجوداً، وبدت أمها متفاجئة بالعرض. لم يقل ذلك أبداً من قبل، وتساءلت ماكسين ما إذا كانت دافني أساءت فهمه. قالت بخسر: «قال إنني أستطيع دعوة صديقاتي لمشاهدة الأفلام في غرفة العرض».

قالت ماكسين بحذر: «ربما لحظة تذكري ميلاد، أو شيء مميز، لكن لا أظن أنه يجدر بك الذهاب إلى هناك». لم تحب الفكرة على الإطلاق، مجموعة من الفتيات في الثالثة عشرة من عمرهن يلهون في شقته، ولا تشعر بالارتياح بالذهاب هي إلى هناك إذا لم يكن موجوداً، لم يتم التطرق أبداً إلى الموضوع من قبل. وبدت دافني متزعجة من إجابتها.

قالت دافني وهي تنظر بغضب إلى أمها: «إنه والدي، وقال إنني أستطيع الذهاب، وهذه شقته».

«هذا صحيح. لكنني لا أظن أنه يجدر بك الذهاب إلى هناك حين لا يكون موجوداً». قد تحصل الكثير من الأمور في تلك الشقة، وشعرت بالقلق لأن بلايك متساهل جداً حيال ذلك. أدركت فجأة أن وجود مراقبين مع والد مثل بلايك قد ينحول إلى نكد كبير. لا تتطلع إلى ذلك. لم تحصل أي مشكلة حتى الآن، لكن ذلك قد يحصل. بدت دافني وكأنها تريد الكفاح للفرار بالعرض التي عرضه عليها والدها. قالت ماكسين ببساطة: «سأحدث إليه بشأن ذلك»، فيما توجهت دافني بتذمر إلى غرفتها. ما كانت ماكسين تنوي قوله لبلايك هو تحذيره بعدم التلاعب مع أولاده، أو تحضيرهم للكثيرة من خلال منحهم الكثير من الحرية فيما هم في بداية مرحلة المراهقة. أملت فقط أن يكون راضياً بالتعاون معها، وإلا، ستكون السنوات القليلة المغفلة بمثابة كابوس. كل ما كانت تحتاج إليه هو أن يعطي بلايك مفاتيح الشقة إلى دافني. مجرد التفكير في ذلك وفي نوع الأشياء التي قد تحصل هناك جعلها ترتعد. ستقول له حقاً شيئاً ما بشأن ذلك. ولا شك في أن دافني لن تحب ذلك. كالمعتاد، يتوجب على ماكسين أن تكون صارمة مقابل تساهل بلايك مع الأولاد.

أنهت ماكسين مقاتلتها تلك الليلة، وشاهد الأولاد التلغاز في غرفهم، كانوا متعبين بعد ثلاثة أيام من الإثارة المستمرة مع والدهم. فالتواجد معه أشبه بالتحديق في الهواء في مناطق كبيرة، هم الثلاثة مع بعضهم في الوقت نفسه. يحتاجون دوماً إلى بعض الوقت كي يهدأوا.

كان الفطور في صباح اليوم التالي قوضي بشكل كبير. استيقظ الجميع متأخرين، أوقع جاك بعض جنوب الذرة على الطاولة، ولم تستطع دافني العثور على هاتفها الخليوي، ورفضت الذهاب إلى المدرسة قبل أن تعثر عليه. انفجر سام في البكاء حين اكتشف أنه نسي حذاءه المفضل في شقة والده، وعانت ريلدا من ألم في الأسنان. نجحت دافني في العثور على هاتفها في اللحظة الأخيرة، وودعت ماكسين سام بأنها ستشكري له الحذاء نفسه في ساعة الغداء. ودعت لأن تتمكن من العثور على واحد مثله، غادرت إلى العيادة لمعالجة المرضى بينما كانت ريلدا تتصل بطبيب أسنانها. إنه واحد من الصياحات الذي يدفع المرء إلى الرغبة بشد شعره والانطلاق

بصعوبة في النهار - اصطحبت زيلدا سام إلى المدرسة في طريقها إلى طبيب الأسنان، وبدأ المطر ينهمر، بينما ذهبت ماكسين سيراً على القدمين إلى العمل. كانت مبتلة تماماً حين وصلت إلى هناك، وكان مريضها الأول في انتظارها، وهذا أمر لا يحصل أبداً معها تقريباً.

تجست في التعويض عن الوقت، وعانيت كل مرضى الصباح، وعثرت على الحذاء المناسب لسام في متاجر نارك، ما عني ثوبتها وجبة الغداء. اتصلت زيلدا للقول إنها ستعالج ضررها هذا اليوم، وكانت ماكسين تحاول إجراء اتصالها حين أخبرتها سكرتيرتها أن تشارلز وست على الخط. تساءلت ماكسين عن سبب اتصاله، وما إذا كان يحول لها مريضاً. أخذت الاتصال وهي تبدو متزعجة وغاضبة قليلاً. إنه أحد الأيام الصعبة من بدايته وحتى نهايته.

قالت بسرعة: «دكتورة ويليامز».

«مرحباً». لم تكن هذه هي التحية التي تتوقعها منه، لم تكن في مزاج للثرثرة على الإطلاق. لقد حان موعد مريضها الأخير، وأمامها خمس عشرة دقيقة لانتهاء من إجراء اتصالاتها.

«مرحباً. كيف أستطيع مساعدتك؟». سألت بفظاظة، مدركة أنها تخفّت قليلاً حدود اللياقة فيما فعلت ذلك.

«أردت فقط أن أعبّر لك عن أسفي بشأن مريضك حين رأيتك يوم الجمعة».

قالت وهي تبدو مذهولة: «أه، هذا لطف منك. كان الأمر مزعجاً جداً. تفعل كل شيء ممكن لتفادي ذلك، وتخسر الرهان أحياناً في كل الأحوال. شعرت بالأسى الكبير على والديها. كيف حال مريضك التي تبلغ الثانية والتسعين من عمرها وتعاني من مشكلة في وركها؟». تأثر لأنها تذكرت. لم يكن واثقاً من أنه كان ليتذكر.

«ستعود إلى المنزل غداً، شكرأ على السؤال. إنها مذهلة. لديها صديق في الثالثة والتسعين من عمره».

قالت ماكسين، وهي تضحك: «إنها أفضل حالاً مني». - مما أعطاه الفرصة التي يريد بها.

«نعم، أنا أيضاً. تعرّف إلى صديق جديد كل سنة. يتهاقون عليها مثل الذباب، وأقسم إنها تعثر على واحد جديد كل بضعة أسابيع. يقترض بالمرء أن يكون محظوظاً كفاية ليعيش مثل هذه الشيفوخة. قلت عليها قليلاً حين أصيبت بالتهاب الرئتين، لكنها ثقلت عليه. أحيها. أتمنى لو كان كل مرضاي مثلها». كانت ماكسين تتبسم لوصفه لها، وبقيت تتساءل عن سبب اتصاله بها.

«هل من شيء أستطيع فعله لك، حضرة الطبيب؟». سألت وهي تبدو رسمية قليلاً، لكنها كانت مشغولة.

قال لها، وهو يبدو غريباً: «في الواقع، تساءلت إذا كنت تودين تناول الغداء معي في وقت ما. ما زلت أشعر أنني أدين لك باعتذار على حادثة وكسليير». إنه العذر الوحيد الذي استطاع التفكير فيه.

قالت وهي تلقي نظرة سريعة على ساعتها: «لا تكن سخيفاً. لديه كل الأيام ليتصل بها، إنها تتسابق مع الوقت منذ الصباح». «كانت غلظة صريحة. انتحار المراهقين ليس من اختصاصك، صدقني أنني ما كنت لأعرف ماذا أفعل مع امرأة في الثانية والتسعين من عمرها، وركها مكسور، وتعاني من التهاب في الرئتين، ولديها صديق».

أصرّ «هذا لطف منك. ماذا عن الغداء؟».

«لست مضطراً إلى فعل ذلك».

«أعرف ذلك، لكنني أودّ ذلك. ماذا تفعلين غداً؟». توقفت عقلها عن التفكير عند سماعها السؤال. ماذا يفعل هذا الرجل بدعوتها إلى الغداء، ولماذا؟ شعرت بالسخافة. لا تحذف أبداً أي وقت من جدول مواعيدها لتناول غداء عمل مع أطباء آخرين.

قالت وهي تبحث عن سبب لرفض الدعوة: «لا أعرف... لدي... ربما لدي مريض».

«إذًا، ماذا عن اليوم الذي بعده؟ عليك تناول الغداء في وقت ما» .  
«حسنًا، نعم، أفعل ذلك. . . حين يكون لديّ الوقت لذلك، ولا يحصل ذلك غالباً». شعرت بالعمالة حين قالت إن لديها وقتاً يوم الخميس. ألفت نظرة على جدول مواعيدها فيما قالت ذلك. «لكنك لست مضطراً إلى فعل ذلك».

قال وهو يضطك: «سأنتذكر ذلك». اقترح عليها مطعماً قرب عيادتها، لتسهيل الأمر عليها. إنه مطعم صغير وجميل، وتتناول الغداء هناك بين العين والأخر مع أمها. مضت أعوام عدة على تخصيصها بعض الوقت لتناول الغداء خارجاً مع صديقاتها. تتصلّ معاينة المرضى، وفي الليل تبقى في المنزل مع الأولاد. معظم النساء اللواتي تعرفهن مشغولات بقدرها هي. لم تعيش حياة اجتماعية مهمة منذ أعوام.

حدا موعداً ظهر يوم الخميس، وبدت ماكسين مذهولة حين وضعت الساعة. لم تكن واثقة ما إذا كان هذا موعداً غرامياً، أو لباقة مهنية، لكنها شعرت بالسخافة في كلتا الحالتين. بالكاد تتذكر شكله. فقد كانت منزوعة جداً بشأن هيلاري أندرسون صباح الجمعة، وكل ما تتذكره هو أنه طويل، وأنه ذو شعر أشقر يغرّوه الشيب. أما بالي مظهره فهو مشوش، ولا يبهج ذلك. دوّنت ملاحظة في دفترها، وأجرت اتصاليين بأسرع ما يمكن، وعيّنت مريضها الأخير.

توجب عليها تحضير العشاء بنفسها لأولادها تلك الليلة، لأن زيلدا كانت في السرير بعد أن تناولت مسكّنات الألم. انتهى النهار مثلما بدأ، بغوضى وتوتر. وأحرقت طعام العشاء فطلبوا البيتزا،

شهد اليومان التاليان الكثير من التوتر أيضاً، وحلّ صباح يوم الخميس حين تذكرت فجأة موعد الغداء مع تشارلز ويست. جلست إلى مكتبها تنظر إلى جدول مواعيدها بكتابة. لا تعرف ما الذي جعلها تفعل ذلك، فهي لا تعرفه، ولا تريد ذلك. آخر شيء تحتاج إليه هو تناول الغداء مع غريب. ألفت نظرة على ساعتها، وأدركت أنها تأخرت خمس دقائق تقريباً، فأمسكت

بمطفئها، وخرجت مسرعة من المكتب. لم يكن لديها حتى الوقت لوضع أحمر الشفاه أو تمشيط شعرها، إنها لا تهالي بذلك.

حين وصلت ماكسين إلى المطعم، كان تشارلز ويست ينتظر جالساً إلى طاولة. وقف حين شاهدها تدخل، وتعرفت إليه. إنه طويل، مثلها تتكرر، وحسن المظهر، ويبدو وكأنه في أواخر العقد الرابع من العمر. ابتسم ووقف فيما اقتربت من الطاولة.

قالت وهي مرتبكة قليلاً: «أسفة لأنتي تأخرت». ولاحظ الحذر في عينيها. يعرف ما يكفي عن النساء لإدراك ذلك، وعلى عكس مريضته ذات الأصوام اللاتيين والشميين، ليست امرأة تبحث عن صديق. بدت ماكسين ويليامز بعيدة ومتحفظة. ثم أضافت «علت أسبوعاً مجتوئاً في العيادة».

قال بسرور: «وأنا أيضاً، أظن أن العطلات تصيب الأشخاص بالجنون. يصاب كل مرضاي بالتهاب الرئتين بين الشكر والميلاد، وأنا رافق من أن حالتك ليست أفضل خلال العطلات أيضاً». بدا مرتاحاً جداً، وسألها النادل إذا كانا يودان طلب شراب. اعتذرت، وطلب تشارلز كوباً من الشراب الفرنسي.

«والسدي جراح عظام، ويقول دوماً إن الجميع يكسرون أوراكم بين الميلاد ورأس السنة». بدا تشارلز محتاراً حين قالت ذلك، وسألت عنّ يكون والدها.

«أرثر كونورز»، أضافت، وتعرّف تشارلز فوراً إلى الاسم. «أعرفه. إنه رجل مذل. سبق وحزّلت إليه المرضى». بدا تشارلز من نوع الرجال الذين يوافق عليهم والدها.

«الجميع في نيويورك يحاولون له أصعب الحالات. يدير أهم عيادة في المدينة».

«وما الذي جعلك تختارين الطب النفسي بدلاً من التخصص مثله؟» نظر إليها تشارلز باهتمام فيما ارتشف شرابه الفرنسي.

«أنا مقنونة بالطب النفسي منذ كنت صغيرة. ما يفعله والدي بدا لي

دوماً أشبه بالتجارة. عذراً، من المريع قول ذلك. أحب ما أفعله أكثر. وأحب العسل مع المراهقين. يبدو وكأنك تحقق هدفاً أفضل عند إحداث فرق. حين يكبرون في السن، يصبح كل شيء منظمًا. لا أستطيع أبداً أن أتخيل نفسي في عيادة للطب النفسي في بارك أفنيو أستمع إلى مجموعة من سيدات المنزل العصبيات والضجرات، أو إلى الرجال المقامرين والمدمنين على المشروبات والذين يخونون زوجاتهم». هذا هو الشيء الوحيد الذي تستطيع قوله لطبيب آخر. «أنا أسفة». شعرت فجأة بالإحراج. فيما ضحك. «أعرف أن هذا يبدو مريباً، لكن الأولاد أكثر صراحة، ويستحقون الإنقاذ أكثر».

«أوافقك الرأي. لكنني لست واثقاً من أن المقامرين الذين يخونون زوجاتهم يذهبون إلى أطباء نفسيين».

اعترفت له «ربما هذا صحيح، لكن زوجاتهم يفعلن ذلك. يورثني هذا النوع من العمل».

«آه، ولا يفعل ذلك انتحار المراهقين؟»، تحداها، وترددت قيل الإجابة..

«يسببون لي الحزن، ولكن ليس التوتر. أشعر أنني مفيدة في معظم الأوقات. لا أظن أنني أحدث فرقاً كبيراً في حياة الراشدين العاديين الذين يزيدون فقط أن يصغي شخص ما إليهم. الأولاد الذين أراهم يحتاجون فعلاً إلى المساعدة».

«هذه نقطة جيدة». سألتها حينها عن عملها في معالجة الصدمات، وأشار إلى أنه بالفعل قد اشترى أحدث كتاب لها، مما أثار فيها، وأخبرها أنه مطلق. قال لها إنه بقي وزوجته معاً طوال واحد وعشرين عاماً، لقد تركته قبل عامين من أجل شخص آخر. ذهلت ماكسين لأنه يبدو واقعياً جداً حيال ذلك. أخبرها أنه لم يتفاجأ كثيراً، لأن زواجهما عانى المشاكل طوال أعوام.

قالت ماكسين بتعاطف: «هذا مؤسف جداً، هل لديك أولاد؟». هز

رأسه وقال إن زوجته لم ترغب بالإنجاب.

«هذا هو تدمي الوحيد. عاشت طفولة صعبة، وقررت في النهاية أنها غير مؤهلة لإنجاب الأولاد. وقد تأخر الوقت لأبداً مجدداً الآن». لم يبدو محمّط الفواد، لكنه يشعر بالأسف لأنه فوت ذلك عليه، مثل رحلة مثيرة. «هل لديك أولاد؟»، سألتها فيما وصل الغداء.

قالت مبسمة: «لديّ ثلاثة أولاد». لا تستطيع تخيل حياتها من دونهم.

«لا بد من أنهم بيوتك مشغولة. هل يشاركك أحد في الرعاية؟». فمعظم الأشخاص يفعلون ذلك، حسبما يعرف. ضحكت ماكسين على السؤال.

«لا. يسافر والدهم كثيراً. يراهم فقط مرات قليلة في السنة. يكون معي طوال الوقت، وهذا أفضل بالنسبة إلي».

سأل باهتمام «ما هي أعمارهم؟». لاحظ كيف أشرق وجهها حين بدأت تتحدث عن أولادها.

«ثلاثة عشر عاماً، واثنا عشر عاماً، وستة أعوام. الكبيرة فتاة، والآخرا صبيان».

قال بإعجاب: «لا بد من أنك تتعبين كثيراً لوحدك، كم مضى على طلاك؟؟».

«خمس أعوام، نحن متفان كثيراً. إنه شخص رائع. لا يشبه الزوج أو الوالد كثيراً، وإنما هو أشبه بولد. أعجب أحياناً من كوني الشخص الوحيد الناضج. إنه مثل عتر عريب ومجنون بالنسبة إلى الأولاد. لا يكبر أبداً ولا أظن أنه سيفعل يوماً».

قالت ذلك مع ابتسامة، وراقبها تشارلز، مختاراً. إنها ذكية ولطيفة وتأثر بالعمل الذي تقوم به. فهو يستمتع بقراءة كتابها.

«أين تعيش؟».

«في كل أرجاء العالم. لندن، ونيويورك، وأسين، وسان بارتس».

اشترى للتو منزلاً في مراكش. يعيش حياة أسطورية نوعاً ما». أو ما تشارلز برأسه، متسائلاً عن الرجل الذي تزوجت به، لكنه لم يشأ السؤال. إنه مهتم لأمرها وليس لأمر زوجها السابق.

حدثنا بارتياح طوال الغداء، وقالت إنه عليها العودة لمعاينة المرضى، وكذلك هو. أخبرها كم استمتع بصحبها، وقال إنه يودّ رؤيتها مجدداً. لا تزال لا تعرف ما إذا كان هذا موعداً عاطفياً، أو لباقة مهنية بحيث يلتقي طبيباً طبيياً آخر. لم أوضح لها الأمر من خلال دعوتها إلى العشاء. بدت مذهولة حين طلب منها ذلك.

قالت ماكسين وهي تتورد خجلاً: «أنا... آه... آه... عذرت أنه مجرد عشاء... تعرف... بسبب آل وكسليير». ابتسم لها. بدت مفاجئة جداً بحيث تساءل ما إذا كانت تقيم علاقة مع شخص ما وتتوقع منه معرفة ذلك أو الإحساس بذلك.

سألها بحذر «هل تواعدين أحداً؟». بدت أكثر إحراجاً. كانت تتورد خجلاً.

«تقصد كما في اللقاءات العاطفية؟».

«نعم، كما في اللقاءات العاطفية». كان يضحك.

«لا». لم تعش لقاء عاطفياً منذ أكثر من عام. التفكير في الأمر بهذه الطريقة يصيب فعلاً بالآكئاب، وتحاول معظم الوقت ألا تفعل ذلك. ثم تلتقي برجل يعجبها منذ وقت طويل، وتساءلت أحياناً ما إذا كانت هي التي تمنع. خرجت مع عدد من الأشخاص بعد انفصالها عن بلايك، وسئمت من خيبات الأمل. بدا لها تسيان الأمر أكثر بساطة، اللقاءات العاطفية المدبرة التي ذهبت إليها، بنصيحة من صديقاتها، كانت مريحة فعلاً، ولم يكن الأشخاص الآخرون الذين التقت بهم صدفة أفضل؛ قالت بغرابة: «لا أظن أنني أواعد أحداً، ليس منذ فترة على أي حال. بدا الأمر عديم الجدوى».

تعرفت عدداً من الأشخاص الذين التقوا عن طريق تواصلهم مع بعضهم عبر الإنترنت، ولا تستطيع تخيل نفسها وهي تفعل ذلك، ولذلك توقفت عن

المحاولة، وألقت عن اللقاءات العاطفية. لم تخطط للأمر بهذه الطريقة، لكن هذا ما حصل، وهي مشغولة كثيراً.

سال بلطافة «هل ترعين بنناول العشاء؟». يصعب التصديق أن امرأة يطلتها، وفي عمرها، لا تواعد رجلاً. تساءل ما إذا كانت مصدومة من زوجها، أو ربما من علاقة ما.

قالت كما لو أنه اقترح عليها لقاء: «سيكون ذلك جيداً». ونظر إليها بعدم تصديق وسرور.

«ماكسين، فلنوضح شيئاً هنا، أشعر وكأنك تظنين أنني أدعوك إلى لقاء من نوع ما بين الأطباء. أظن أنه من الرائع أن تكون نحن الاثنان طبيين. لكن كي أكون صريحاً، لا أبايها إذا كنت راقصة أو مصففة شعر. تعجبيني. أرى أنك امرأة جميلة. من الممتع التحدث إليك، ولديك حنن بالدعابة، ولا يبدو أنك تكرهين الرجال، وهذا نادر هذه الأيام. سيرتك الذاتية تجعل معظم الأشخاص يشعرون بالخجل، سواء أكانوا رجالاً أم نساء. أظن أنك جذابة وجميلة. دعوتك إلى الغداء لأنني أردت التعرف إليك، كامرأة. وأنا أدعوك إلى العشاء لأنني أريد التعرف إليك بصورة أفضل. هذا موعد عاطفي. تناولنا العشاء وتحدثنا وتعرفنا إلى بعضنا. موعد عاطفي. ثمة شيء يقول لي إن هذا ليس على جدول مواعيدك. لا أعرف لماذا، وإذا كان هناك سبب جدي لذلك، ربما يجدر بك إخباري. وإلا، فأنا أسألك الخروج معي في موعد عاطفي، وتناول العشاء. هل توافقين على ذلك؟». كانت تبسم له، ولا تزال تتورد خجلاً، بينما شرح المسألة.

«نعم. حسناً. أنا غير معادة على ذلك قليلاً».

«لا أستطيع أن أتخيل لم تكونين هكذا إلا إذا كنت تعرفين فيعة كبيرة». رأى أنها فائتة، ويواقفه معظم الرجال الرأي. نجحت نوعاً ما في إبعاد نفسها عن أجواء اللقاءات العاطفية، وهي تخفي نورها تحت مشعل.

«إذاً، متى توذين تناول العشاء؟».

«لا أعرف. أنا حرة تماماً. لدي عشاء للجمعية الوطنية للطب النفسي

يوم الأربعاء من الأسبوع المقبل، ولبست لثدي أي مشاريع أخرى غير ذلك».

«ماذا عن الثلاثاء؟ لم لا أمرُ لاصطحابك عند الساعة السابعة، وتذهب إلى مكان جميل؟». بحب المطاعم الجميلة وأنواع الشراب الفرنسي الجديدة. إنها سهرة لم تعرف مثلها منذ أعوام، إلا مع بلايك والأولاد، وهذه سهرات غير ناضجة كثيراً. حين تريد روية صديقاتها المتزوجات، لا يذهبن إلى المطاعم، بل تذهب إلى منازلهن لتناول العشاء. وبانت فعل ذلك يتواتر أقل. جعلت حياتها الاجتماعية تخفتي نتيجة قلة الانتباه والاهتمام. ذكرها تشارلز، من دون أن يقصد ذلك، بأنها كسولة جداً في مسألة الخروج. لا تزال مذهولة بدعوته، لكنها وافقت على يوم الثلاثاء. لم تدون ملاحظة بشأن برنامج العشاء، لأنها عرفت أنها ستتذكر، وشكرته فيما نهضاً وغادرا. «أين تسكنين بالمناسبة؟». أعطته العنوان، وقالت إنه سيتعرف إلى الأولاد حين يأتي لاصطحابها، فأجابها أنه يود فعل ذلك. أوصلها إلى عيادتها، فأحبت المشي بقرية. منحها صحبة جيدة خلال الغذاء. ثم شكرته مجدداً، ونخلت عيادتها وهي تشعر بالدوار. لديها موعد عاطفي. عشاء عاطفي صريح مع طبيب جذاب، عمره تسعة وأربعون عاماً. أخبرها عن عمره خلال الغذاء. لا تعرف ما يجب قطه، بالرغم من أنها أدركت، أن والدها سيكون مسروراً على الأقل. عليها إخباره بذلك حين تتحدث إليه في المرة التالية. أو ربما بعد اللقاء العاطفي.

اختفت بعدها كل الأفكار المتعلقة بتشارلز وبست من رأسها. كانت جوزفين تنتظر في عيادتها. نزلت ماكسين معطفها، وأسرعت لبده جلسة العلاج.

## الفصل السابع

كانت عطلة نهاية الأسبوع حافلة جداً بالنسبة إلى ماكسين. شارك جاك في مباراة لكرة القدم، وعليها توفير وجبات الطعام لكل الفريق. ذهب سام إلى حفلي ميلاد، وتولت توصيله إليهما بالمسيارة بنفسها. ودعت دافني عشر صديقات لتناول البيتزا. إنها المرة الأولى التي تدعو فيها صديقات إلى المنزل بعد الحظة المشؤومة سائلة الذكر، ولذلك راقبتهم ماكسين عن كثب، ولكن لم يحصل أي شيء غريب. عادت زيلدا لتقف على قدميها مجدداً، لكنها أخذت عطلة في نهاية الأسبوع. تريد الذهاب إلى معرض فني وتتوي روية صديقات لها.

عملت ماكسين على كتابة مقالة أخرى في وقت فراغها في ساعة متأخرة من الليل. وتم إدخال اثنين من مرضاها إلى المستشفى خلال عطلة نهاية الأسبوع، واحد بسبب جرعة مفرطة من المسكدرات، وآخر بغية مراقبته كونه معرضاً للانتحار.

توجب عليها زيارة ستة أولاد في مستشفيات مختلفين يوم الاثنين، وعابنت بعض المرضى في عيادتها. وحين وصلت إلى المنزل، كانت زيلدا مريضة كثيراً بسبب الأنفلونزا وارتفاع الحرارة. وبانت أسوأ حالاً صباح الثلاثاء. طلبت منها ماكسين عدم التلق بشأن ذلك والبقاء في السرير. تستطيع دافني إحضار سام من المدرسة إلى المنزل، إذ يتوجب على جاك المشاركة في مباراة لكرة القدم، وسينتقل مع أصدقائه. يستطيعون تدبّر الأمر. وعليهم فعل ذلك، إلا إذا تأمر الحظ ضد ماكسين.

عابنت ماكسين المرضى الواحد تلو الآخر طوال اليوم. الثلاثاء هو اليوم الذي تعانين فيه المرضى الجدد، وتدوّن سجلاتهم، علماً أن لقاءاتها الأولى مع المراهقين تكون في غاية الأهمية، ولذلك عليها أن تكون في

وكانها تدير مستشفى، فيما تحققت من وضعه هو وزيلدا، وطلبت من جاك أخذ حمام دافئ. كان ميلاً كبيراً وبدأ يعطس.

قالت لدافني فيما رأتها خلال توجيها إلى غرفة سام: «كيف حالك؟ أتمنى ألا تكوتي مريضة».

«أنا بخير، لكن عليّ تحضير بحث علوم للغد. هل تستطيعين مساعدتي؟». عرفت ماكسين أن السؤال الحقيقي هو ما إذا كانت أمها تستطيع إنجازها لها.

سألها ماكسين وقد بدت متوترة «لماذا لم تحضره خلال عطلة نهاية الأيوغ ٤».

«نسيت ذلك».

«قصة محتملة»، تمتمت ماكسين، فيما رنّ جرس المبنى الداخلي أمام المرحل. إنه البواب، قال إن الدكتور تشارلز ويست ينتظرها في المرحل، فانسعت عينا ماكسين وامتلأتا بالذعر. تشارلز! لقد نسيت. إنه الثلاثاء، لديهما موعد لتناول العشاء، ويفترض به المجيء عند الساعة السابعة. وصل في الوقت المحدد، فيما كان أفراد أسرتها كلهم تقريباً يعانون من المرض، ويتوجب على دافني تحضير بحث علوم ويفترض بماكسين مساعدتها. ستلغى موعد العشاء، لكن هذا سيكون خطأً جداً في الدقيقة الأخيرة. لا تستطيع تخيل نفسها وهي خارجة للسهل، وكانت ترندي الثياب التي ارتدتها في العيادة. زيلدا مريضة جداً لتترك الأولاد لها. إنه كابوس. بدت مصعوفة حين فحّثت الباب لتشارلز بعد ثلاث دقائق، وبدا مذهولاً لروزييتا يسروال وكثرة، فيما شعرها ميكل ووجهها من دون ماكياج.

قالت لحظة رآته: «أنا أسفة جداً، إنه يوم كارثي. أحد أولادي مريض، فيما الثاني قوّت سيارة العودة إلى المنزل بعد مباراة كرة القدم، وتحاج ابنتي إلى تحضير بحث علوم للغد، وتعاني المريبة من ارتفاع في الحرارة، سأصاب بالجنون. تفضل أرجوك». دخل عبر الباب الرئيسي،

كامل يغطئها وانهاها. عند الظهور، اتصلت بها مدرسة سام. لقد تلقى مرسين خلال النصف ساعة الماضية، ولم تكن زيلدا في حالة تسمح لها بالذهاب لإحضاره. يتوجب على ماكسين فعل ذلك. لديها استراحة لعشرين دقيقة بين مواعيد المرضى، فأخذت سيارة أجرة، وذهبت لإحضار سام من المدرسة. بدأ مريضاً جداً، وتقياً عليها في سيارة الأجرة. انتاب السائق غضب شديد، ولم يكن لديها أي شيء لتنظيف القسي، فأعلت السائق عشرين دولاراً كيقضيشن. اصطحبت سام إلى المنزل، ووضعتها في السرير، وطلبت من زيلدا الانتباه إليه بالرغم من حرارتها المرتفعة. الأمر أثبه بترك الأعرج مع الكسيح، لكن لم يكن أمامها أي خيار آخر. استحمّت، وبدلت ثيابها، وتوجب عليها العودة إلى العيادة. تأخرت عشر دقائق على مريضتها، مما وّد انطباعاً سيئاً، وتدمرت والدة الفتاة من ذلك. شرحت لها ماكسين أن ابنها مريض، واعدت كثيراً.

بعد ساعتين، اتصلت زيلدا لتقول إن سام تقياً مجدداً، وأصبحت حرارته مثنة ودرجة فهرنهايت. طلبت منها ماكسين إعطاءه تايلنول، وذكرتها بضرورة أخذها القليل منه هي الأخرى، وعند الخامسة بدأ المطر ينهمر. وصلت مريضتها الأخيرة، واعترفت أنها دُخنت مادة الحشيشة بعد ظهر ذلك اليوم، ولذلك بقيت ماكسين بعد السوام لمناقشة المسألة معها. كانت الفتاة تتردّد على مجموعة تعاطى الماريجوانا، وهذه بقوة كبيرة بالنسبة إليها، وفكرة سيئة جداً لأنها تتناول الأدوية.

كانت مريضة ماكسين قد غادرت للتو حين اتصل بها جاك مذعوراً. لقد فاتته سيارة الأم التي كانت ستقلهم جميعاً وهو يقف وحيداً في زاوية الشارع، في منطقة سيئة من أبر ويست سايد. أرادت قتل الأم التي تركته. سيارتها معطلة وفي المرأب، فاحتاجت إلى نصف ساعة للعثور على تاكسي. كانت الساعة قد تجاوزت السادسة حين وصلت أخيراً إلى جاك، الذي وقف يرتجف تحت المطر أمام محطة للباصات، وكانت الساعة السابعة إلا ربعاً حين وصل إلى المنزل نتيجة زحمة السير. كانا مبللين ويشعران بالبرد. بدأ سام مريضاً ويكي حين دخلت ماكسين غرفتها. شعرت



فيما وصل سام إلى العمر وهو يبدو شاحب اللون. «هذا هو ابني سام»، شرحت له فيما تقياً سام مجدداً، وحقق إليه تشارلز مذهولاً.

ثأوه، ونظر إلى ماكسين بحذر.

«أنا أسفة. لم لا تدخل إلى غرفة الجلوس وترتاح؟ سأكون معك في غضون دقيقة». أدخلت سام بسرعة إلى حمامها، حيث تقياً مجدداً، ثم عادت مسرعة إلى المدخل، ونظفت القسي بمندريل. وضعت سام في سريرها، فيما دخلت دافني إلى الغرفة.

«متى نستطيع إنجاز بحث العلوم؟».

قالت ماكسين: «أه، يا الله»، وهي على وشك البكاء أو الانهيار، «لا تهتمي أبداً بلحلك. ثمة رجل في غرفة الجلوس. اذهبي وتحديتي إليه. اسمه الدكتور ويست».

«ومن يكون؟». بدت دافني متفاجئة، وبدت أمها مجتونة. كانت تغسل يديها، وتحاول تمشيط شعرها في الوقت نفسه. لكن الأمر لم ينجح.

«إنه صديق. لا. إنه غريب. لا أعرف من يكون. سأتناول العشاء معه».

«الآن؟». بدت دافني مذعورة. «ماذا عن بحثي؟ إنه الامتحان النصف نهائي لهذا الفصل».

«إذا، كان يجدر بك التفكير فيه أولاً. لا أستطيع إنجاز البحث بالكتابة عنك. لدي موعد عاطفي، وأخوك تقياً، وزيلدا تموت، وجاك سيصاب على الأرجح بالتهاب في الرئتين نتيجة وقوفه تحت المطر أمام محطة الباصات لمدة ساعة».

حدقت إليها دافني «لديك موعد عاطفي؟ متى حصل ذلك؟».

«لم يحصل. ولن يحصل أبداً إذا استمر الوضع على هذا المنوال، هلا ذهبت من فضلك وتحديثت إليه». فيما قالت ذلك، قال سام إنه يريد التقياً مجدداً، فأسرعت به إلى الحمام، وذهبت دافني للقاء تشارلز مع نظرة استياء. نعمت وهي في طريقها قائلة إنه إذا رسبت في الامتحان، فلن تكون

هذه غلظتها لأن أمها لن تساعدها في البحث. «لماذا هذه غلظتي؟»، صرخت عليها ماكسين من باب الحمام.

أعلن سام «أشعر أنتي أفضل»، لكنه لم يكن يبدو كذلك. أعادته ماكسين إلى السرير، ووضعت المناشف حوله، وغسلت يديها مجدداً، وتركت شعرها. كانت على وشك مغادرة الغرفة لرؤية تشارلز، حين نظر إليها سام بحزن من السرير. «كيف حصل أن لديك موعداً غرامياً؟».

«حصل. دعاني لتناول العشاء».

«هل هو لطيف؟». بدا سام قلقاً. لا يستطيع حتى أن يتذكر متى خرجت أمه آخر مرة، ولا هي تتذكر أيضاً.

قالت بصراحة: «لا أعرف بعد، ليست مسألة مهمة، سام. مجرد عشاء». أو ما برأسه. «سأعود خلال دقيقة»، طمأنته، لا مجال لأن تخرج لتناول العشاء.

أخيراً، وصلت إلى غرفة الجلوس في الوقت المناسب لسماع دافني تخبر تشارلز عن بخت والدها، وطاقيرته، وشقته الفخمة في نيويورك، ومنزله في أسبن. لم يكن هذا هو بالضبط ما تريد ماكسين أن تتحدث عنه خلال الموعد الأول، بالرغم من أنها شعرت بالامتنان لأن دافني نسيت لندن، وسان بارتس، والمغرب، والبنديقية. وجهت نظرة غاضبية إلى دافني، وشكرتها على تسليية تشارلز. التقت إليه ماكسين حينها، واعتذرت كثيراً عن تصرف سام عند وصوله. لكن ما أرادت فعلاً الاعتذار عنه هو تبجح وتياهي دافني بوالدها. حين لم تظهر دافني أي إشارة للنهوض، قالت لها ماكسين إنه يجدر بها الشروع في بحثها العلمي. رفضت دافني المغادرة، لكنها فعلت ذلك في النهاية. شعرت ماكسين وكأنها ستصاب بالهستيريا.

«أنا أسفة جداً. لا يكون منزلي بهذا الجنون عادة. لا أعرف ماذا حصل. كان كل شيء يسير على غير هدى اليوم.. وأنا أسفة بشأن دافني».

«أنت أسفة على ماذا؟ كانت تحدث فقط عن والدها. إنها فخورة جداً به». شككت ماكسين في أن ذاقني تحاول إزعاج تشارلز عن قصد، لكنها لم تشأ قول ذلك. إنه تصرف طفولي من قبلها، وهي تعرف ذلك جيداً. قال لها وقد بدأ مذهولاً نوعاً ما: «لم أكن أعرف أنك كنت متزوجة بيليك وويليامز».

«نعم»، قالت ماكسين، متمنية لو أنهما يستطيعان إنهاء السهرة، من دون حصول مشهد فيلم The Exorcist. كان من الأفضل أيضاً لو أنها تذكرت موعدهما على العشاء. لم تدون الموعد، ونسيت الأمر تماماً. هذا هو من تزوجته، هل تودّ شرب شيء ما؟». أدركت حين قالت ذلك أنها لا تملك شيئاً في المنزل باستثناء بعض الشراب الفرنسي الأبيض الذي تستعمله زيلدا في الطهو. أرادت ماكسين شراء بعض أنواع الشراب الفرنسي ذات الجودة العالية خلال عطلة نهاية الأسبوع، لكنها نسيت فعل ذلك.

«هل سنذهب إلى العشاء؟»، سألت تشارلز بفضاضة. لا يبدو الأمر محتملاً له، مع ولد مريض، وأخرى تحتاج إلى إنجاز بحثها، وماكسين تبدو مضطربة أكثر من اللزوم.

سألت بصراحة «هل سكرهني إذا لم نذهب؟ لا أعرف كيف حصل ذلك، لكنني نسيت. مررت بيوم غير اعتيادي اليوم، وأهملت نوعاً ما تدوين الموعد على تقري حين حددناه». كانت على وشك اليكاه، وشعر بالأسف عليها. كان ليغضب عادة، لكنه لم يقرّ على ذلك. بدت المرأة المسكينة مرهقة جداً. «لهذا السبب ربما لا أواعد الرجال. لست جيدة كثيراً في ذلك». على الأقل.

اقترح عليها «ربما لا تريد أن تراعي الرجال». فكرت في ذلك أيضاً، ورأت أنه محق. بدا لها الأمر مثل مشكلة كبيرة أو أمر يصعب تدبيره. فبين عملها وأولادها، كانت حياتها مثيثة. لا مجال لدخول أي شخص آخر، وليس لديها الوقت والجهد الضروريان لموعد عاطفي.

«أنا أسفة، تشارلز. لست هكذا عادة. أسيطر تماماً على حياتي».

«لا يسعك فعل أي شيء إذا مرض ابنك ومربيك. هل تدوين التجربة مجدداً؟ ماذا عن مساء الجمعة؟». لم تشأ إخباره أن زيلدا تكون في إجازة حينها، إذا اضطرت إلى ذلك، تطلب منها العمل. فبين معالجة الضرس في الأسبوع الفائت ومرضاها الثانية، تدبّر لها زيلدا بيوم على أي حال، وهي تتحلى بروح رياضية في مثل هذه الأمور.

«سيكون ذلك رائعاً. هل تريد البقاء؟ سأحضّر العشاء للأولاد على أي حال». لقد حجز لهما في مطعم لا غروتوي، لكنه لم يشأ جعلها تشعر بالاستياء ولم يذكر الأمر أمامها. كان خائب الأصل، لكنه قال لنفسه إنه ناضج، ويستطيع تدبير أمر موعد فاشل إذا اضطرت إلى ذلك.

عرض عليها بلطافة «سأبقى لبعض الوقت. أنت مشغولة كثيراً. لست مضطرة إلى تحضير العشاء لي. هل تريد أن ألقى نظرة على ابنك والمربية؟».

ابتسمت له بامتنان. «سيكون ذلك لطيفاً منك. إنها مجرد أفلونزا. لكن هذا اختصاصك أكثر مما هو اختصاصي. إذا مالوا إلى الانتحار، أ تدخل». ضحك. وبدأ هو يشعر بعيل إلى الانتحار وهو يراقب الفوضى في منزلها. ليس معتاداً على الأولاد، والفوضى التي تحيط بهم. لقد عاش حياة هادئة ومنظمة، وبفضلها بهذه الطريقة.

راقبت تشارلز عبر المرآة إلى غرفة نومها، حيث كان سام مستلقياً على سريرها يشاهد التلفاز. بدا أفضل حالاً مما كان طوال فترة بعد الظهر. ونظر إلى الأعلى حين دخلت أمه. تفاعلاً لروية رجل معها.

«سام، هذا تشارلز. إنه طبيب، وسيلقي نظرة عليك». كانت يتشم لانبتها، ولاحظ تشارلز كم تحب أولادها يشغف. يصعب عدم الانتباه إلى ذلك.

سأل سام بارتياح «هل هذا هو موعدك العاطفي؟» قالت ماكسين وهي تبدو محرجة: «نعم، إنه هو، اسمه الدكتور

ويست».

«تشارلز»، صحح لها مع ابتسامة رقيقة فيما اقترب من السرير.  
«مرحبا سام - يبدو أنك تشعر ببعض سوء. هل تقيأت طوال النهار؟»  
قال سام بفخر: «سب مرات، تقيأت في التاكسي وأنا عائد إلى المنزل  
من المدرسة». ألقى تشارلز نظرة على ماكسين مع ابتسامة متعاطفة.  
استطاع تخيل المشهد.

«لا يبدو هذا جميلاً جداً. هل أستطيع لمس بطنك؟». أو ما سام برأسه  
ورفع القسم العلوي من ثوب نومه، فيما دخل أخوه الغرفة.  
بدا جاك قلقاً على الفور «هل طلبت طبيباً له؟».

شرح سام فيما بدا جاك مرتبكاً «إنه موعدها العاطفي».  
سأل جاك «من هو موعدها العاطفي؟».

«الطبيب»، قال سام لأخيه فيما قامت ماكسين بتعريف جاك إلى  
تشارلز، الذي استدار للابتسام له.

«لا بد من أنك لاعب كرة القدم». أو ما جاك برأسه وهو يتساءل من  
أين جاء الطبيب/الموعد العاطفي الغامض، ولماذا لم يسمع عنه قبلاً. «في  
أي موقع تلعب؟ كنت ألعب كرة القدم في الجامعة. كنت أفضل في كرة  
السلة، لكنني أعتقد أن كرة القدم أكثر متعة».

قال جاك فيما راقبتهما ماكسين: «وأنا أيضاً. أريد لعب الكورس  
السنة المقبلة».

قال تشارلز: «الكورس رياضة خشنة. تعرض في الكورس  
لإصابات أكثر مما يحصل ذلك في كرة القدم». بينما وقف بعد معاينة  
سام، ثم نظر إلى الصبي الصغير مع ابتسامة، «أظن أنك ستتغلب على  
المرض سام. أراهن أنك ستشعر بالتحسن غداً».

بدا سام قلقاً «هل تظن أنني سأفتأ مجدداً؟».

«أتمنى ألا تفعل ذلك. هون على نفسك الليلة. هل تؤد شرب بعض  
الكولا أو شراب الزنجبيل؟». أو ما سام برأسه وهو يقيم تشارلز باهتمام.  
وبينما راقبتهما ماكسين، أدركت كم أن وجود رجل بينهما هو أمر غير

مأنوف بالنسبة إليهم جميعاً، لكنه لطيف. ولديه طريقة جميلة في التعاطي  
معهم. لاحظت أن جاك كان يتعمق فيه هو الآخر. وبعد دقيقة، دخلت  
دافني، كانوا يقفون جميعاً في غرفة نوم أمهم، التي بدت فجأة صغيرة جداً  
مع وجود الكثير من الأشخاص فيها، سألتها تشارلز «أين تخيلين المريضة  
المریضة؟».

قالت ماكسين: «سأرشدك إليها». وأخرجته من الغرفة، فيما ضحك  
سام، وبدأ يقول شيئاً فوضع جاك إصبعاً على شفتيه لإسكاته. استطاع  
تشارلز وماكسين سماعهم يضحكون ويتهايمسون فيما مشيا بعيداً، والتفتت  
ماكسين إلى تشارلز مبتسمة ابتسامة اعتذار. «الأمر غريب قليلاً عليهم».  
قال ببساطة: «الذالك أستوعب. إنهم أولاد لطفاً». فيما دخل المطبخ  
ثم اجتاز الممر. طرقت ماكسين على باب غرفة زيلدا، وفتحته ببطء،  
وعرضت على تشارلز إلقاء نظرة عليها. عرّفتها إلى بعضهما بعضاً من  
الباب. بدت زيلدا مرتبكة على الفور. لا تعرف من يكون الدكتور ويست  
أو لماذا هو هنا.

قالت وقد بدت محرجة: «لست مريضة إلى هذا الحد». ظناً منها أن  
ماكسين استدعته خصيصاً لها. «إنها مجرد أنفلونزا».

«كان هنا على أي حال، وعابن سام للتو». تساءلت زيلدا ما إذا كان  
طبيب أطفال جديداً لا تعرفه. لم يخطر لها أبداً أن تكون ماكسين ضربت  
موعداً معه على العشاء. وأخبرها بالشيء نفسه الذي قاله لسام.

بعد دقائق قليلة، كان تشارلز وماكسين يقفان في مطبخها، وقدمت  
له كوب كولا وبعض رقائق البطاطا المقلية والقليل من الفواكه التي  
عشرت عليه في البارد. قال إنه سيفادر بعد دقائق قليلة ويتركها لتهم  
بأولادها. لديها ما يكفي. جلست معه إلى طاولة المطبخ، وتحدثا لدقائق  
قليلة. لا شك في أن تجربته كانت مميزة، وقد التقى بهم جميعاً. فتقوى  
سام فيما كان يدخل المنزل هو طريقة لتعريف تشارلز بأولادها، بالرغم  
من أنها ليست الطريقة التي كانت لتختارها. وفي ما يتعلق بماكسين، كان

اللقاء بها مميزاً فعلاً، لم تكن واقفة من شعوره، لكنه تخلى من دون شك بروح رياضية. فهذا الموعد ليس بلا شك موعداً عاطفياً قياسياً. إنه بعيد جداً عن ذلك.

اعتذرت مجدداً «أنا أسفة بشأن القوضى».

«سارت الأمور على ما يرام»، قال ببساطة وهو يفكر لبرهة في العشاء الذي كانا سيحظيان به في مطعم لا غروثوي. «ستمضي وقتاً جميلاً ليلة الجمعة. أظن أنه يجب عليك التحلي بالمرونة عند وجود أولاد».

«ليس بقدر هذه المرونة عادة. أنا منظمة جداً معظم الوقت. لكن الأمور أفلتت عن السيطرة اليوم. معظم ذلك بسبب مرض زيلي أيضاً. أنا أعتمد عليها كثيراً». أوما برأسه. بدا جليلاً أنها تحتاج إلى الاعتماد على شخص ما، وزوجها السابق غير متوافر أبداً. بعد ما أخبرته به دافني، يستطيع فهم السبب. لقد قرأ الكثير عن بلايك ويليامز على مر السنوات. إنه شخصية مشهورة في عالم الأعمال، ولا يبدو مثل رجل يهتم بالأمور المعالية. قالت ماكسين الشيء نفسه خلال الغداء.

ذهب تشارلز ليودع الأولاد قبل مغادرته، وقال لمام إنه يأمل تعافيه قريباً.

شكره سام، ولوّح له. بعد برهة قليلة، أوصلت ماكسين تشارلز إلى الباب.

«سامز لاصطحابك عند الساعة السابعة من يوم الجمعة»، وعد تشارلز، وشكرته مجدداً على لطفاته الكبيرة الليلة. «لا تنلني. تعرّقت على الأقل إلى كل أولادك». لوّح لها فيما دخل المصعد، واستلقت بعد برهة على سريرها قرب سام مع تهيّئة، فيما دخل الوردان الأخران.

تذمر جاك «لماذا لم تخبرينا أن لديك موعداً عاطفياً؟».

«نسيت الأمر».

بدت دافني مشكلة «ومن يكون على أي حال؟».

قالت ماكسين وقد بدت مرهقة: «مجرد طبيب التفتيت به». لا تريد

تبريز الأمر لهم. فالليلة كانت سيئة كفاية. وقالت لابنتها: «لم يكن يجدر بك التفتيت والتباهي بوالدك هكذا. ليس هذا لطيفاً».

«ولم لا؟». بدت دافني فوراً وكأنها تريد التحدي.

«لأن التحدث عن يخته وطائرته ليس أمراً جميلاً. يمكن أن يشعر الأشخاص بعدم الارتياح». وهذا هو تحديد السبب الذي دفعها لفعل ذلك. هزت دافني كتفها، وخرجت من الغرفة.

قال سام: «إنه جيد».

قال جاك: «ربما نعم». وهو يبدو غير مقتنع. لا يفهم لماذا تحتاج أمه إلى وجود رجل. إنهم بخير كما هم الآن. لا يُسدّمون حين يخرج والدهم مع نساء أو بالأحرى الكثير منهن. لكنهم غير معادين على رؤية رجل في حياة أمهم، ولم يحب أي منهم الفكرة. من الجيد لهم أن تكرر أمهم نفسها لهم. وما من سبب لتغيير ذلك، برأيهم على الأقل. فهمت أمهم الرسالة بشكل واضح.

كانت الساعة الثامنة مساءً ولم يأكل أي منهم شيئاً، فذهبت ماكسين إلى المطبخ لتسرى ما الذي تستطيع تحضيره. وفيما كانت تخرج السلطة وبعض اللحوم الباردة والبيض، دخلت زيلدا في ثوب الحمام وهي تبدو مذهولة.

«من هو هذا الرجل المقنّع، تونتو؟»، سألت زيلدا، وضحكت ماكسين.

«أظن أن الجواب الصحيح على ذلك هو الجندي المجهول. إنه طبيب التفتيت به. كان لدي موعد عاطفي معه، ونسيت الأمر تماماً. تقياً سام أمامه في الردهة الأمامية ما إن دخل. كان المشهد مروعاً».

سألت زيلدا باهتمام «هل تظنين أنك ستريه مجدداً؟». رأت أنه يبدو لطيفاً، ووسيماً.

عرفت أن ماكسين لم تذهب إلى موعد عاطفي منذ وقت طويل، ويبدو هذا الرجل مناسباً لها. بدا من النوع المعالمة، ووسيم المظهر، ورأت أن

كونهما طبييين هو بداية جيدة لإنشاء أرضية مشتركة.

قالت ماكسين إجابة عن سؤالها: «يفترض أن يصطحبني ليلة الجمعة إلى العشاء، إذا تعافى من صدمة الليلة».

«هذا مثير»، عثقت زيلدا، وسكبت لنفسها كواباً من شراب الزنجبيل، ثم عادت إلى سريرها.

حصّرت ماكسين أنبساطاً، وشرائح اللحم الباردة، والبيض المخفوق وتناولوا البراونيز بعد العشاء. نظفت المطبخ، ثم ذهبت لمساعدة دافني على إنجاز بحثها. لم تنتهيا قبل منتصف الليل. كان يوماً مريعاً وليلة طويلة. وحين استلقت أخيراً على سريرها قرب سأم، تسوّت لها دقيقة للتفكير في تشارلز. لا تعرف أبداً ماذا سينتج عن هذه العلاقة، أو ما إذا كانت ستراه مجدداً بعد ليلة الجمعة، لكن الليلة لم تكن سيئة جداً. فلم يخرج من الباب وهو يصرخ. هذا شيء مهم. وبالنسبة إلى الوقت الراهن، هذا كافٍ.

## الفصل الثامن

ليلة الجمعة، حين جاء تشارلز لاصطحابها، كان كل شيء منقطعاً مثل الساعة السويسرية. المنزل مقفر. زيلدا في إجازة. دافني ستمضي الليلة مع صديقاتها، تماماً مثل سأم الذي تعافى من الأنفلونزا، وكان جاك في حفة في منزل صديق له قبل حضور حفلة دينية معه في الليلة التالية. اشترت ماكسين الشراب الاسكتلندي، والشراب الروسي، والشراب الخفيف. إنها جاهزة له. كانت ترتدي فستاناً أسود قصيراً، وقد عثقت شعرها في كعكة مرتبة، ووضعت فرطين ماسيين، وقلادة من اللؤلؤ. وكان المنزل هادئاً.

حين فتحت له الباب في تمام الساعة السابعة، دخل تشارلز مثل رجل متوجه إلى حفل الغام. نظرت من حوله، وأصغى إلى الصمت المهييب، وحدقت إليها مذهولاً.

سأل بعصبية «ماذا فعلت بالأولاد؟». قابضت له.

«أرسلتهم إلى الثبتي وطردت المربية. حزنت على ذهابهم، لكن عليك تحديث أولويات في الحياة. لا أريد إفساد أمسية أخرى. ذهبوا بسرعة». ضحك ولحق بها إلى المطبخ، حيث سكبت له الشراب الروسي بناء على طلبه، وحملت وعاء فصيماً من المكسرات إلى غرفة الجلوس. كان الصمت رهيباً. «أنا أسفة فعلاً بشأن أمسية الثلاثاء، تشارلز». كان الأمر أشبه بمشهد من فيلم سينمائي. أو حياة حقيقية. القليل من المبالغة.

«الأمر أشبه بالإرهاق أيام الجامعة». أراد منحها فرصة أخرى. هناك الكثير من الأمور التي يحبها في ماكسين، إنها امرأة جديّة وذكية، ذات مهنة لامعة في الحقل الطبي، وهي سيّدة محترمة كثيراً وجميلة أيضاً. إنه مزيج تصعب مقاومته. لكن الشيء الوحيد فيها الذي يوتر أعصابه نوعاً ما هو

أولادها. ليس معتاداً على هذا ولا يشعر بحاجة إلى الأولاد في حياته. تكلمهم جزء منها. وهذه المرة، على الأقل، أرسلتهم بعيداً ليتمكنوا من الاستماع بسهرة راشدة، وهذا ما يفضله.

قدم له مطعم لا غرونوي بكل لطافة جزءاً آخر لهذه الليلة عند الساعة الثامنة مساءً، ولم يأخذ عليه أي مأخذ بسبب إلغاء الحجز في الدقيقة الأخيرة من ليلة الثلاثاء. فهو يذهب غالباً إلى هناك وهو زبون جيد، غادر تشارلز وماكنين شقيقاً عند الساعة الثامنة إلا ربعاً، ووصلا إلى المطعم في الوقت المحدد، وتم إعطاؤهما طاولة ممتازة. لاحظ أن الأسمية ممتازة حتى الآن، لكن الأجواء ساذجة. لم يعد أي شيء يذهله الآن، بعد الطريقة التي تعرف فيها إلى حياتها قبل ثلاثة أيام. أراد الهرب لبرهة آنذاك. لكنه سرور لأنه لم يفعل. فقد أحب مماكنين كثيراً، ومن الرائع التحدث إليها.

خلال الفترة الأولى من العشاء، وفي أثناء تناول المحار ونحم السلطعون، وبعدهما لحم العيش وانشاتو بيربان، ناقشا عمليهما والمسائل الطبية الراهنة التي تهمهما معاً. أحب أفكارها، وتأثر بإنجازاتها. وكانا على وشك البدء بتناول السوفليه حين ذكر بلايك.

«تفاجأت لأن أولادك لا يتقدمونه كثيراً، خصوصاً أنك قلت إنه لا يعيش معهم ولا يتوافر أبداً». أدرك أن هذه شهادة حقيقية بالنسبة إليها، لأنها تستطيع بسهولة تحويلهم ضده، ومعظم النساء يفعلن ذلك. نظراً إلى المساعدة القليلة التي يقدمها لها.

قالت ببساطة: «إنه رجل لطيف مبدئياً، لا بل رائع. وهم يلاحظون ذلك. لكنه لا ينتبه كثيراً».

قال تشارلز: «بيدو أنانياً كثيراً، ومفرطاً في تدليل ذاته». اعترفت مماكنين أنه على صواب.

قالت مماكنين بهدوء: «يصعب ألا يكون كذلك، نظراً إلى التغيرات التي حصلت مع نجاحه. يستطيع عدد قليل جداً من الأشخاص مقاومة ذلك والحفاظ على اعتدالهم. لديه الكثير من الهوبات، ويحب اللهو طوال

الوقت. لا يفعل بلايك أي شيء غير ممنوع أو محفوف بالمخاطر. هذا هو أسلوبه ولطالما كان هكذا. المسار الآخر الذي كان يمكن أن يختاره هو التبرع بأمواله للأعمال الخيرية. في الحقيقة، إنه ينجز الكثير من الأعمال الخيرية، لكنه ليس منفرطاً عن كتب في أي نوع منها. يتصور باختصار أن الحياة قصيرة، وكان محظوظاً ويريد تضييع وقت جيد. إنه ولد للكفيل، ويالرغم من أنه حظي بالثدين الرائعين، كان دوماً غير واثق من الحياة، ومن نفسه. يريد الإمساك بكل شيء ممكن، قبل أن يأخذ أحد من طريقه، أو يخسره. هذه فلسفة صعبة للكفاح. الخوف الدائم من الخسارة، ولذلك يمسك بكل شيء بكلتا يديه، ويخسر في النهاية على أي حال. نوع من فلسفة إرضاء الذات».

قال تشارلز بحذر: «لا بد من أنه شعر بالأسف الكبير على خسارتك».

«ليس تماماً. نحن صديقان جيدان، أراه مع الأولاد حين يكون في المدينة. لا أزال جزءاً من حياته بطريقة مختلفة، كصديقة وكأم لأولاد. يعرف أنه يستطيع الاعتماد علي. على الدوام. ولديه الكثير من الصديقات، اللواتي هن أصغر مني ومتمعات أكثر مني، أو مما كنت قبلاً. لطالما كنت جديبة كثيراً بالنسبة إليه». وأما تشارلز برأسه، يحب ذلك فيها، وهي تلائمه تماماً. وجد علاقتها مع زوجها السابق غريبة. فهو لا يتحدث تقريباً إلى زوجته السابقة. من دون أولاد للربط بينهما، لم يبق أي شيء بعد الطلاق، باستثناء مقدار كبير من الحقد بينهما. عدا ذلك، لا يوجد أي شيء بينهما، وكأنهما لم يتزوجا أبداً. قالت مماكنين بهدوء: «حين يكون لديك أولاد، تصبح عالقاً مع الشخص الآخر إلى الأبد. وعلى الاعتراف أنه لو لم تكن كذلك، لكنت اشقت إليه. الأمر مريح لنا جميعاً، وخصوصاً الأولاد. سيكون محزناً لو كنا نكره بعضنا أنا والدم». قال تشارلز لنفسه ربما، فيما أصغى إليها، ولكن ربما أسهل على الرجل أو المرأة التالية في حياتها. بلايك هو نموذج صعب للحدو حذوه، بالنسبة إلى أي كان، وكذلك كانت هي، على طريقتها، بالرغم من أنها متواضعة جداً.

قالت ماكسين بصراحة: «تفاجأوا كثيراً، لم أواعد رجلاً منذ وقت طويل. إنهم معتادون على النساء في حياة والدهم، لكن لا أظن أنه خطر في بالهم أن يكون هناك رجل في حياتي يوماً ما». ولم تكفي هي مع الفكرة أيضاً. فالرجال الذين خرجت معهم لفترات قصيرة لم يثيروا انتباهها كثيراً، ولم يغروها بالتالي كفاية للتخلي عن مبدلها.

الأطباء الذين التفت بهم بدوا دوماً متبجحين بالنسبة إليها، أو لم تجد أي شيء مشترك معهم، فيما وجدوا هم منطلقات مهنتها وحياتها العائلية مرهقة جداً. فمعظم الرجال لا يريدون امرأة أو زوجة تذهب إلى المستشفى لمعالجة الحالات الطارئة عند الساعة الرابعة فجراً، ولديها الكثير من المتطلبات خارج العنزل. لم يحب بلاك ذلك أيضاً، لكن مهنتها الطبية كانت درماً مهمة بالنسبة إليها، وأولادها أكثر أهمية أيضاً. كانت حياتها مليئة، وأثبتت ليلة الثلاثاء، أن كوبيلا لا يحتاج إلى الكثير كي يفيض. لا يوجد مجال كبير لأي شخص آخر، ورأى أن هذا يلائم أولادها. بدأ ذلك جلياً على وجوههم حين التقى بهم، إذ يريدونها لأنفسهم وهو غير مرحب به بينهم. ليسوا بحاجة إليه. رأى أنها لا تحتاج إليه هي الأخرى. لا تتحلى بنلك الميزة الموجودة لدى معظم النساء في عمرها، أي المرأة التي تريد اللقاء برجل قبل أي شيء آخر. فما أوحنت به بدلاً من ذلك هو أنها امرأة سعيدة ومكفئة وبخير لو حدها. وهذا ما أعجبه أيضاً. لا يرغب أبداً بأن يكون مخلص أحد، بالرغم من أنه يريد أن يكون محور حياة المرأة. ومع ماكسين، لن يكون أبداً كذلك. ثمة إيجابيات وسلبيات في ذلك.

سأل بعفوية «هل تظنين أنهم سيتكثرون مع فكرة إقامة علاقة مع أحدهم؟»، وفكرت ماكسين في الأمر لبرهة.

«ربما. محتمل. يعتمد ذلك على الشخص ومدى تكيفه مع أولادي، فهذه الأمور تعمل في اتجاهين وتحتاج إلى القليل من الجهد من كلا الطرفين». وأما تشارلز براسه. إنه جواب منطقي.

«ماذا عنك؟ هل تظنين أنك تكثفين مع فكرة وجود رجل في حياتك مجدداً، ماكسين؟ تبتدين مكثفة ذاتياً».

ما من شيء متعجرف أو فظ في ماكسين، بالرغم من نجاحها الكبير في مهنة الطب النفسي، وحتى الكتب التي ألقتها. إنها متواضعة كثيراً وأحب ذلك فيها. إنه ليس مثلها، ويعرف ذلك تماماً. لدى تشارلز ويست ثقة كبيرة بنفسه، ولا يخجل أبداً من إنجازاته. لم يتردد في محاولة إجبارها على فعل الأشياء وفق طريقته مع الصبي من آل وكيلير، ولم يتراجع لاحقاً إلا بعدما اكتشف من تكون ماكسين، وكم هي خبيرة في مجالها. اعترف حينها أنها تعرف أكثر منه، خصوصاً بعد محاولة جايسون الثالثة للانتحار، مما جعل تشارلز متوتراً ويشعر بالحماقة. يكره الاعتراف عادة أنه غير مصيب، لكن لم يكن لديه أي خيار آخر في هذه الحالة. ماكسين قوية، وإنما قسي الوقت نفسه أنثوية ورفيقة. لا تحتاج إلى فرض نفسها على الآخرين، وتنادراً ما تفعل ذلك، إلا إذا كانت حياة مريض على المحك، ولكن ليس لأرضاء غرورها على الإطلاق. بدت في تواج عدة، بالنسبة إلى تشارلز، المرأة المثالية، ولم يلق بأي امرأة مثلها من قبل.

«ما هو رأي أولادك بشأن الموعد العاطفي؟»، سألتها فيما أنها العشاء. لم يجروا على سؤالها عما قالوه عنه، بالرغم من أنه تساهل في قرارة نفسه. كان واضحاً ليلة الثلاثاء أنهم تفاجأوا برويته. وبدأ جلياً أنها لم تحضرهم، لأنها تسمت موعدهما تماماً. ظهوره في المنزل فاجأ الجميع، بما في ذلك ماكسين. فسي المقابل، تفاجأ هو بهم جميعاً بعد كل ما حصل لاحقاً. أخبر صديقاً له بما حصل في اليوم التالي، فضحك كثيراً على وصف تشارلز للمشهد الفوضوي، وقال بعبارات واثقة إن هذا سيقيده ويحرره قليلاً من قيوده. «أما كان ليحصل ذلك لرجل أكثر لطافة» كان تعليقه. في الإجمال، يفضل تشارلز عدم الخروج مع نساء لديهن أولاد. يجد صعوبة في تمضية الوقت معهن حين يكنّ منهنمكات كثيراً في حياة أولادهن. لكن يوجد على الأقل أزواجهن السابقون للاهتمام بالأولاد نصف الوقت. ليس لماكسين أي شخص ليخفف العبء عنها، باستثناء المربية، التي هي إنسانة ولديها مشاكلها. هناك الكثير من الأمور المتقاة على كلفي ماكسين، ولذلك فإن التواجد مع ماكسين سيكون تحدياً له بسبب ذلك.

قالت بصراحة: «أنا هكذا». وهي تشرب القليل من الشاي بنكهة النعناع، الحشام المثالي لوجبة رائعة. كان المشاء لذيقاً وأنواع الشراب الفرنسي التي اختارها مذهلة. «للإجابة عن سؤالك، لا أعرف. أستطيع التكيف فقط مع الرجل المناسب. علي الاعتقاد فعلاً بأن العلاقة ستتحج. لا أريد ارتكاب خطأ آخر. أنا وبلايك مختلفان كثيراً. لا تلاحظ الأمر كثيراً حين تكون شايماً. لكن بعد مرحلة معينة، حين تتضح وتعرف من تكون، يصبح الأمر مهماً فعلاً. لا يمكنك المزاج في عمرنا والقول إن الأمر سينجح فيما هو لن ينجح أبداً. يصعب كثيراً الإدعاء أن الأمور ستتحسن لاحقاً، لأن المشاكل تزداد. يكون الأمر ممتعاً في سن صغيرة. لاحقاً، يصبح وكأنه قصة أخرى. وليس سهلاً العثور على الشريك المناسب، نظراً إلى التضاؤل عدد المرشحين المناسبين، وفي حال وجود الأشخاص الجيدين، يكون هناك الكثير من المشاكل. لذا، لا بد من أن يستحق الرجل الجهد لإجراء التعديل. كما أن أولادي يعطونني عذراً لعدم التجربة. إنهم يقولون مشغولة وسعيدة. المشكلة هي أنهم سيكبرون يوماً ما، وسأنهي وحيدة. لست بحاجة إلى مواجهة ذلك في الوقت الحاضر». إنها محقة، وأوما برأسه. إنهم مخرج للوحدة التي تعاني منها في حياتها، وعذر للتكامل في العثور على رجل في حياتها. شك في أنها تخشى التجربة مجدداً. لديه الانطباع بأن بلايك أخذ جزءاً كبيراً منها معه، وبالرغم من أنهما مختلفان كثيراً، مثلما تقول، لديه الإحساس بأنها لا تزال تحبه. قد تكون هذه مشكلة أيضاً. من يستطيع مناقشة أسطورة تحول إلى بليونير ويتعمق بالكثير من الجاذبية؟ إنه تحدٍ صعب جداً، تحدٍ يقل به عدد قليل من الرجال، ولم يفعل أحد ذلك حتى الآن.

انتقل بعدها للتحدث في موضوعات أخرى، مرتبطة بعملها، وحبها للترضى المراهقين المهددين بالانتحار، وتعاطفها مع أهلهم، وافتتاحها بالخدمات الناجمة عن أحداث عامة. وبعد العقارنة، انضح أن مهنته أقل إثارة من مهنتها. إنه يتعاطى مع الزكام العادي، ومجموعة من الأمراض والأوضاع الشائعة، والحرز الغرضي لمرضى مصاب بالسرطان يحزله

فوراً إلى اختصاصي ويقفد أي اتصال معه. مهنته لا تتمحور حول الأزمات كما هي مهنتها، بالرغم من أنه يخسر مريضاً بين العين والآخر، وإن كان ذلك نادراً.

عادا إلى الشقة بعدها، وتناول كوباً من الشراب من مشربها التي كانت قد خزنت فيه شتى أنواع الشراب حديثاً. أصبحت مجهزة تماماً الآن لتسليبة أي ضيف، حتى لو لم تراه مجدداً. ستكون جاهزة تماماً للرجل التالي. بعد خمس أو عشر سنوات. مازحتها زيلدا بشأن ذلك. أصبح لديها مشرب مجهز تماماً نتيجة موعدها معه، مما ألقها قليلاً مع وجود الأولاد. إنها تنوي إغلاق خزانة الشراب، وإخفاءها عنهم وعن أصدقائهم. لا تريد منحهم أي إغراء. ذكرتها دافني بذلك.

شكرته ماكسين على العشاء الرائع والأسمية المذهلة. عليها الاعتراف أنه من الجميل التمدن، وارتداء الثياب الجميلة، وتمضية السهرة في التحدث إلى شخص راشد. هذا جميل أكثر من الذهاب إلى بيرغر كينغ أو كيه أف سي مع نصف دزينة من الأولاد حولك، علماً أن هذا هو أسلوبها. لكن عند النظر إليها، في أناتها الرفاقية، رأى تشارلز أنها تستحق الذهاب إلى لا غرونوي بتوانز أكبر، وأمل أن تسخ له الفرصة لاصطحابها إلى هناك مجدداً. إنه مطعمه المفضل في المدينة، بالرغم من أنه يحب لو سيرك أيضاً. إنه ممتع كثيراً بالطعام الفرنسي المعتماز، والأجواء العراقلة له. يحب الفخامة والمظاهر أكثر منها، والمهزات الراشدة. تساءل فيما كان يتحدث إليها إذا كان الخروج مع أولادها ممتعاً أيضاً. هذا محتمل، لكنه غير مقتنع بعد، حتى لو كانوا أولاداً طرفاء. يفضل التحدث إليها من دون مصدر إلهاء، أو تقيؤ سام على قدميه. ضحكا على ذلك فيما غادر، ووقفا بتحدثان لبرهة في الزدمة نفسها حيث حصلت الحادثة.

قال بارتياح: «أود رؤيتك مجدداً ماكسين». برأيه، كانت السهرة ناجحة، وبرأيها أيضاً بالرغم من بدايتها الأولى الفظيعة. الليلة مختلفة تماماً. إنها مثالية.

قالت ببساطة: «أود ذلك أيضاً».



قال: «سأنتصّل بك». ولم يتحرك أبداً لتقبلها، كانت لتصدّم أو تصدّه لو فعل ذلك. لم يكن هذا أسلوبه. إنه يتحرك ببطء وتأنّ حين تعجبه امرأة، ويمتدّ الطريق للحصول الشيء لاحقاً، إذا اختاراً ذلك هما الاثنان. ليس على عجلة، ولا يحب أبداً دفع النساء بقوة أو بسرعة. لا بد من أن يكون القرار متبادلاً، وعرف أن ماكسين ليست أبداً قريبة من هذه المرحلة. إنها بعيدة عن ساحة المواعيد العاطفية منذ زمن بعيد، ولم تتخرط أبداً فيها بشكل جدي. فمبدأ إقامة علاقة مع رجل لم يخطر حتى في بالها. عليه إعادتها إلى هذا المجال ببطء، إذا قرر أن هذا ما يريده، لم يكن واقفاً من ذلك بعد. إنها امرأة لطيفة يحلو التحدث إليها وتمضية الوقت معها، وعليه مراقبة اليقظة، لا يزال أولادها عقبة كبيرة بالنسبة إليه.

شكرته مجدداً، وأغلقت الباب برفق، كان جالك نائماً في غرفته حينها، بعد عودته من الحفلة التي ذهب إليها، وكانت زيلدا في غرفتها. بدت الشقة هادئة فيما خلعت ماكسين ثيابها، ونظفت أسنانها، وتمددت على السرير وهي تفكر في تشارلز، كانت السهرة لطيفة، ولا شك أبداً في ذلك، لكنها شعرت بالغرابة لفكرة خروجها مع رجل. السهرة جميلة جداً ولطيفة جداً، وأحسّت خلالها بنضوجه وتهذيبه. لم تتخيل نفسها وهي تتجول معه بعد ظهر يوم الأحد، فيما أولادها حولها، مثلما تفعل حين يكون بلايك في المدينة. لكن بلايك هو والدهم، وحياته لا تتمحور حول هذا المنزل. إنه مجرد سائح يمز في حياتهم، لكنه سائح جذاب. بلايك هو مذئب في سمائهم.

تشارلز رجل صلب، وتجمعها به الكثير من الأمور المشتركة. إنه جدي كثيراً، وأعجبها ذلك فيه. لكنه لم يكن طائشاً أو لعباً أو مرحاً. اثنافت لبرهة إلى هذه الأمور في حياتها، ثم أدركت أنه لا يمكنها الحصول على كل شيء. إذا أقامت علاقة جديدة مع أي شخص كان، لطالما قالت إنها تريد شخصاً صلباً تستطيع الاعتماد عليه. ولا شك في أن تشارلز هو من هذا النوع من الرجال. ثم فكرت في نفسها مبتهمة، مذكرة لما تتنمناه. بلايك مجنون ومرح. تشارلز مسؤول وناصح. من المؤسف أنه لا يوجد

رجل في العالم يجمع هذه الصفات كلها، أي أن يكون رجلاً ناضجاً مثل بيتر بان، مع مبادئ جيدة. قد يكون هذا كثيراً، قالت لنفسها ربما لهذا السبب لا تزال وحيدة، وربما ستبقى دوماً كذلك. لا يمكنك العيش مع رجل مثل بلايك، وقد لا ترغب بأن تكون مع رجل مثل تشارلز. لا يهم الأمر ربما لأنه لن يطلب منها أحد القيام بهذا الاختيار. إنه مجرد عشاء في النهاية، مع طعام جيد ورجل ذكي. لا علاقة لذلك بالزواج.

## الفصل التاسع

كان بلايك في لندن، يجتمع بمستشاري الاستثمار بشأن ثلاث شركات جديدة يتوي شراءها، وهو يلتقي أيضاً بمهندسين معماريين، واحد لإجراء تعديلات في منزل لندن، والآخر لإعادة هندسة وتجديد القصر الذي اشتراه في المغرب. وهناك ستة مهندسي ديكور يتولون إنجاز المشروعين، وهذا مثير بالنسبة إليه. إنه يقيم ورشة. يتوي المكوث في لندن لمدة شهر. واصطحاب الأولاد إلى أسبن بعد الميلاد. دعا ماكسين للانضمام إليهم، لكنها قررت عدم المجيء، وقالت إنه يحتاج إلى وقت لوحده مع الأولاد، مما بدأ سخيلاً بالنسبة إليه. فهم يمضون دوماً وقتاً جيداً حين تأتي معهم.

في معظم الأوقات، تكتفي بالحضور ليوم هنا ويوم هناك حين يعيرها يفتحه أو أحد منازلهم. إنه كريم جداً، ويجب التأكد من أنها تمضي وقتاً جيداً مع أولادها. غالباً ما يعير منازلهم إلى الأصدقاء أيضاً، لا يستطيع أن يستعملها كلها طوال الوقت. ولا يفهم لماذا أحدثت ماكسين جلبة كبيرة بشأن السماح لدافني باستعمال شقة نيويورك مع صديقاتها فهي كبيرة كافية لعدم إحداث فوضى في الشقة، ويوجد أشخاص لتطبيقها إذا حصلوا وأحدثت فوضى. رأى أن ماكسين مصابة بجلوس الارتياب إذ تظن أن الفتيات سيوذهن أنفسهن هناك. عرف أن ابنته فتاة جيدة، وتساءل هو مقدار المشاكل التي يمكن أن تحصل في الثالثة عشرة من العمر. بعد خمسة اتصالات هاتفية بشأن الموضوع، أذعن أخيراً لرغبات ماكسين. لكن بدا الأمر مخزياً بالنسبة إليه. فشقة نيويورك تبقى فارغة معظم الوقت. يمضي معظم وقته في لندن، لأن الموقع مركزي بالنسبة إلى الأماكن الأخرى التي يحب تمضية وقته فيها. إنه يتوي الذهاب إلى عسانا للتزلج لبضعة أيام قبل العودة إلى نيويورك، استعداداً للذهاب إلى أسبن. فهو لم يتزلج منذ أن قام

برحلة سريعة إلى أميركا الجنوبية في شهر مايو.

خلال الأيام القليلة الأولى التي تلت عودته إلى لندن بعد رؤية أولاده في عطلة الشكر، دعي بلايك لحضور حفلة موسيقية للروينغ ستونز. هذه الفرقة هي إحدى فرق الموسيقى المفضلة، وكان هو وميك جاجر صديقين قديمين. عزف بلايك إلى عدد من العناصر الأخرى في عالم الروك، وإلى عدد من النساء المميزات. علاقة بلايك الوجيهة مع إحدى أهم نجومات الروك في العالم تصدرت العناوين في كل مكان، إلى أن أفسدت التهمة كل شيء، وتزوجت بشخص آخر. ليس هذا هدفه، وهو صادق بشأن ذلك. لم يزعم أبداً أمام أي امرأة أنه يريد الزواج، ولم يكن يوماً متفحفاً على الموضوع. أصبح يملك الكثير من الأموال الآن. الزواج خطير جداً بالنسبة إليه، إلا إذا تزوج بامرأة تملك مالا يقدره، لكنه لا يسعى أبداً وراء طئله هؤلاء النساء. يحب النساء الثابات والحيويات وغير المفيدات بأي شيء. كل ما يريده هو اللهو. لم يؤذي امرأة. حين تنتهي العلاقة مع المرأة، تتركه مع مجوهرات، وفرو، وسيارات، وهدايا وأفضل الذكريات الممكنة. ثم ينتقل إلى المرأة التالية، وتبدأ القصة مجدداً. حين عاد إلى لندن، كان حراً من دون أي علاقة. ما من امرأة ليصطحبها معه إلى حفلة الروينغ ستونز، فذهب لوحده ومن ثم ذهب إلى حفلة راقصة رائعة في قصر كينغستون. حضرتت كل الأميرات، وعارضات الأزياء، والممثلات، وسيدات المجتمع، والأرستقراطيات ونجمات الروك. هذا هو تماماً ما يحبه بلايك، وهذا هو عالمه.

تحدث إلى نصف دزينة من النساء تلك الليلة، والتقى ببعض الرجال المهمين، وكان يفكر في المغادرة حين طلب شرباً أخيراً أمام المشرب، وشاهد سيدة أنيقة ذات شعر أحمر يتشم له. كانت تضع ماسة على أنفها، وياقوتة حمراء بين حاجبيها ولترندي الساري، وتسنح شعرها تسريحة غريبة، وظهرت أوشام على طول ذراعها، وكانت تحديق إليه من دون حجل، لا تبدو هندية، لكن الياقوتة الحمراء بين حاجبيها أربكنه، والساري الذي ارتدته كان بلون سماء الصيف، تماماً مثل لون عينيها. لم يشاهد أبداً

امرأة هندية مع أو شام من قبل. أما أو شامها هي فكانت عبارة عن أزهار  
ممتدة صعوداً ونزولاً على ذراعها، مع وشم آخر على معدتها المسطحة  
التي كشف عنها الساري. كانت تشرب الشراب الخفيف، وتناول الزيتون  
من وعاء زجاجي موضوع على رف المشرب.

قال ببساطة: «مرحباً». وثلقت عيناه الزرقاوان الساحرتان بعينيها،  
فأسمعت ابتسامتها شيئاً فشيئاً. إنها المرأة الأكثر جاذبية التي رآها في حياته،  
واستحال عليه تخمين عمرها. يمكن أن تكون في أي عمر بين الثامنة عشرة  
والثلاثين، ولا يبالي لعمرها الحقيقي. إنها فائنة. «من أين أنت؟»، سألتها  
وهو يتوقع أن تقول له بومباي أو نيودلهي، بالرغم من أن شعرها الأحمر  
يبعد هذه الفرضية أيضاً. ضحكت لسؤاله، وكشفت عن أسنان بيضاء مثالية  
متراصة. إنها المرأة الأكثر جمالاً التي رآها في حياته.

قالت وهي تضحك له: «من نايسبريدج». رنّت ضحكها مثل  
الأجراس في أذنيه، وكانت رقيقة وعذبة.

«ماذا عن الياقوتة الحمراء؟»

«أحبها». عثت في جايور لستين. أحببت الساري والمجوهرات.  
ومن لا يفعل؟ بعد خمس دقائق من اللقاء بها، أصبح بلايك مجنوناً بها.  
سألته «هل ذهبت إلى الهند؟».

قال لها: «مرات عدة». «ذهبت في سفاري مذهلة، وثلقت صوراً  
للتصور العام الماضي، وكانت أفضل من أي شيء رأيته في كينيا». رفعت  
حاجبها حينها.

«ولدت في كينيا. عاشت عائلتي في روديسيا قبل ذلك، ثم عدنا إلى  
الوطن. الأمور متعبة هنا. أعود إلى هناك كلما أتحت لي الفرصة». إنها  
بريطانية، لكنّها كلكتة ونيرة الطبقات الراقية، مما جعله يتساءل من تكون،  
ومن يكون أهلها. لا يهتم لذلك عادة، لكن كل شيء في هذه المرأة حثيره،  
بما في ذلك أو شامها. «وأنت؟»، سألته. قد تكون المرأة الوحيدة في القاعة  
التي لا تعرف من يكون، وأحب ذلك فيها أيضاً. هذا مثير. وأحسن أنهما

انجذبا إلى بعضهما على الفور. بقوة كبيرة.

«بلايك ويليامز». لم يعطها أي معلومات أخرى، فأومات برأسها،  
وأنتهت كوب الشراب الخفيف. كان يشرب الشراب الروسي. إنه شرابه  
المفضل في مثل هذه العفلات. فالشراب الخفيف يجعله يتزعج في اليوم  
التالي، فيما الشراب الروسي لا يفعل ذلك.

قالت بطريقة بديهية: «أميركي، هل أنت متزوج؟». سألته باهتمام،  
فوجد السؤال غريباً.

«لا. لماذا؟».

«لا أتعامل مع الرجال المتزوجين. لا أتحدث حتى إليهم، خرجت  
مع رجل فرنسي مزيج كان متزوجاً وكذب عليّ. عشت التجربة مرة  
واحدة، وتعلمت إلى الأبد تقريباً. الأميركيون أفضل حالاً في هذا المجال  
عادة. لكن الفرنسيين ليسوا كذلك. لديهم دوماً زوجة وعشيقة مختبئة في  
مكان ما، ويخدعون الاثنين معاً. هل تخدع؟»، سألته، كما لو أنها تتحدث  
عن رياضة مثل الغولف أو التنس، فضحك.

«ليس عموماً. في الواقع لا. لا أظن أنني خدعت امرأة يوماً. ليس  
لدي سبب لذلك، فأنا لست متزوجاً، وإذا أردت امرأة أخرى، أنهي العلاقة  
مع المرأة التي أكون معها. يبدو لي الأمر أكثر بساطة هكذا. لا أحب  
الدراما أو التعقيدات.».

«ولا أنا. هذا ما أفصده عن الأميركيين. إنهم بسيطون ومستقيمون.  
الأوروبيون أكثر تعقيداً. يريدون كل شيء صعباً. يحاول أهلي المطلق  
منذ اثني عشر عاماً. يعودان إلى بعضهما ثم ينفصلان مجدداً. الأمر مزيج  
جداً بالنسبة إليّنا. لم أتزوج أبداً من قبل، ولا أريد ذلك. يبدو لي هذا  
مثل فرضي كبيرة». قالت العبارة ببساطة كبيرة كما لو أنها تتحدث عن  
الطقس أو عن رحلة، وسرّ لذلك. إنها امرأة شابة ممتعة جداً، وأنيقة جداً،  
«مختبئة جداً»، بحسب الوصف الذي يعتمده البريطانيون. إنها أشبه بنوع  
من حورية الغابات في ثوب الساري والياقوتة الحمراء والأوشام. لاحظ

حينها أنها تضع سواراً ضخماً من الزمرد ضاع بين أوشامها، وخاتماً كبيراً من الياقوت. إنها تملك الكثير من المجوهرات، كأنثاً من تكون.

«أراقك على فكرة القوضى التي يحدثها الأشخاص. أنا صديق ممتاز لزوجتي السابقة. تحب بعضنا البعض أكثر مما كنا أيام الزواج». هذا صحيح، بالنسبة إليه، وهو واثق من أن ماكسين تشعر بالشيء نفسه أيضاً.

سألته وهي تقدم له بعضاً من الزيتون «هل لديك أولاد؟». وضع حبتين في كوبه.

«نعم، لدي ثلاثة أولاد. فتاة وصبيان. ثلاثة عشر عاماً واثنان عشر عاماً وستة أعوام».

«كم هذا رائع. لا أريد أولاداً، لكنني أظن أن الآباء هم في غاية الشجاعة لإنجابهم. يبدو لي الأمر مخيفاً. كل تلك المسؤولية، فهم يمرضون، وعليك التأكد من حسن أدائهم في المدرسة، وتعليمهم السلوك الجيد. هذا أصعب حتى من تدريب الحصان أو تربية حيوان أليف، وأنا فاشلة في الاثنين. كان لدي حيوان أليف ذات مرة يثرز في كل أرجاء منزلي. أنا واثقة من أنني أسوأ حالاً مع الأولاد». ضحك على الصورة التي رسمتها، فيما وصل ميك جاجر، وألقى عليها التحية، تماماً مثل عدد من الأشخاص الآخرين. يبدو أن الجميع يعرفونها باستثناء بلايك، ولا يفهم سبب عدم لقائه بها من قبل. فهو يمضي الكثير من الوقت في لندن.

أخبرها حينها عن المنزل في مراكش، وتحسنت بوضوح لذلك، ووافقت معه على أن المشروع يبدو مثلاً. قالت إنها أوشكت على دراسة الهندسة المعمارية، ثم قررت عدم فعل ذلك، إذ لم تتمكن يوماً من استيعاب الرياضيات. قالت إنها كانت فاشلة جداً في المدرسة.

جاء نحوه عدد من الأصدقاء، وألقوا عليه التحية، مثلما فعل عدد من أصدقائها، والشيء التالي الذي عرفه حين التفت للنظر إليها هو أنها اختفت. شعر بلايك بالإحباط وخيبة الأمل. أحب التحدث إليها. إنها غريبة

الأنوار، وذكية، وصریحة، ومختلفة، وجميلة كفاية للفت نظره. سأل ميك جاجر عنها لاحقاً، فضحك على بلايك.

«ألا تعرفها؟». بدأ متفاجئاً. «إنها أرابيلا. إنها فيكونتيسة. يفترض أن يكون والدها أغنى رجل في دار اللوردات».

«ماذا تفعل؟». افترض أنها لا تفعل شيئاً، لكنه أحسن من حديثه معها أن لديها وظيفة أو مهنة معينة.

«إنها رسامة. ترسم الأشخاص. إنها ممتازة. يدفع لها الناس ثروة طائلة لترسمهم، ترسم أيضاً أحصنتهم وحيواناتهم الأليفة. إنها مجنونة تماماً، ولكنها في الواقع لطيفة جداً. إنها نموذج المرأة البريطانية غريبة الأنوار. أظن أنها كانت مخطوبة لرجل فرنسي، ماركيز أو ما شابه. لا أعرف ماذا حصل، لكنها لم تتزوج. سافرت إلى الهند بدلاً من ذلك، وأقامت علاقة مع ثري هندي مهم جداً، ثم عادت إلى هنا مع الكثير من المجوهرات الرائعة. لا أصدق أنك لا تعرفها. كانت في الهند ربما حين جلست إلى هنا. إنها ممتعة كثيراً»، أكد له.

قال بلايك: «نعم، إنها كذلك». وهو مذهول نوعاً ما مما قاله جاجر عنها. كل شيء فيها ممتاز. «هل تعرف كيف أستطيع العثور عليها؟ لم أحصل على رقم هاتفها قبل أن تغادر».

«طبعاً. اطلب من سكرتيرتك الاتصال بسكرتيري غداً. لدي رقم هاتفها. الجميع يملكه. تصف إنكلترا رسمت صورها عندها. يمكنك استخدام ذلك بمثابة عذر للاتصال بها». لم يكن بلايك واثقاً من أنه يحتاج إلى عذر، لكن هذا يبقى احتمالاً. غادر الحفلة حينها، وهو أسف لأنها غادرت قبله، وحصلت له سكرتيرته على الرقم في صباح اليوم التالي. لم يكن الأمر صعباً على الإطلاق.

جلس ينظر إلى قصاصة الورق لدقيقة، ثم اتصل بها بنفسه. أجابت امرأة، وتعرف إلى الصوت الذي سمعه الليلة الفائتة.

قال وهو يحاول أن يبدو واثقاً: «أرابيلا؟». شعر بالغرابة للمرة

الأولى منذ وقت طويل. إنها أشبه بزوجة أكثر مما هي امرأة، وأكثر تكلفاً من كل الفتيات اللواتي تعرّف إليهن.

قالت بكننهما البريطانية الراقية: «نعم، هي». تم ضحكت قبل أن تعرف حتى من يكون. إنه رئيس الأجراس نفسه الذي سمعه في الليلة الفائتة. إنها فاتنة.

«أنا بلايك وويليامز. التقيت بك الليلة الماضية في الحفلة في قصر كينغستون، أمام المشرب. غادرت قبل أن نتاح لي فرصة توديعك». «بدوت مشغولاً، ولذلك انسحبت. لطف منك أن تتصل». بدت صريحة ومسرورة لسماح صوته.

«أردت في الواقع أن أقول لك مرحباً وليس وداعاً. هل لديك وقت فراغ عند الغداء؟». تطرّق مباشرة إلى الموضوع، وضحكت مجدداً. قالت بأسف: «لا، أنا أرمم شخصاً، ولا يستطيع زبوني الحضور إلا في أثناء موعد الغداء. إنه رئيس الوزراء، وجدول مواعيده مزدحم جداً. ماذا عن الغداء؟».

«أودّ ذلك كثيراً». قال بلايك وهو يشعر أن عمره اثني عشر عاماً تقريباً. إنها في التاسعة والعشرين من العمر وشعر وكأنه ولد معها، بالرغم من سنوات الست والأربعين. «ماذا عن سانتا لوسيا في تمام الساعة الواحدة؟». كان المطعم المفضل لدى اللذيدي ديانا لتناول الغداء، وأصبح المطعم المفضل بالنسبة إلى الجميع بعد ذلك.

«مثالي. سأكون هناك»، وعدته. «أراك حينها». وقيل أن يدرك ذلك، أفضلت الخط. لا ثرثرة ولا محادثة إضافية. الكلمات الضرورية فقط لتحديد موعد للغداء. تساءل ما إذا كانت ستأتي مع اليافورة الحمراء والساري. كل ما يعرفه أنه لا يستطيع الانتظار لرويتها. لم يتعمس هكذا لأي امرأة منذ أعوام طويلة.

وصل بلايك إلى سانتا لوسيا في تمام الساعة الواحدة من اليوم التالي، ووقف أمام المشرب ينتظرها. بعد عشرين دقيقة، دخلت أرابيلا بشعرها

الأحمر الناعم، وهي ترتدي تنورة قصيرة ومعطفاً ضخماً من الفرو، وتنتعل جزمة بنية من الجلد السويدي عالية الكعب. بدت مثل شخصية في فيلم سينمائي، ولم يظهر أي أثر لليافورة الحمراء بين حاجبيها. بدت وكأنها آتية من ميلانو أو باريس، وتلألأت عيناها باللون الأزرق السماوي الذي نذكره. ابتسمت ابتسامة عريضة ما إن رآه، وعانقه بحماسة.

«لطف منك أن تدعوني إلى الغداء»، قالت كما لو أن هذا لم يحصل لها أبداً من قبل، لكن الحال ليست كذلك طبعاً. إنها ساحرة جداً، وفي الوقت نفسه غير مغرورة، وأحب بلايك ذلك فيها. شعر وكأنه جرو أمام قدميها، وهذا نادراً ما يحصل له، فيما اصطحبها النادل إلى طاولتهما، ورحب كثيراً بأرابيلا بقدر ما رحب ببلايك.

جرت المحادثة بسلاسة خلال الغداء. سأله بلايك عن عملها، وأخبرها عن تجربته في عالم الإنترنت والتكنولوجيا، الأمر الذي وجدته رائعاً. تحدثا عن الفن، والهندسة المعمارية، والإبحار بالمراكب الشراعية، والأحصنة، والحيوانات الأليفة وأولاده. تبادلوا الأفكار عن كل شيء يخطر في البال، وغادرا المطعم عند الساعة الرابعة. قال إنه يحب رؤية عملها، فدعته إلى الاستوديو في اليوم التالي، بعد انتهاء جلستها مع رئيس الوزراء. أخبرته أنها باستثناء ذلك فإن جدول مواعيدها غير ضاغط خلال الأسبوع، وستعادر إلى الريف يوم الجمعة. كل الذين يعيشون في إنكلترا يذهبون إلى الأرياف خلال عطلة نهاية الأسبوع، إلى منازلهم أو منازل أشخاص آخرين. وحين تركا بعضهما في الشارع، بالكاد استطاع الانتظار لرويتها مجدداً. أصبح فجأة مهووساً بها، وأرسل إليها الأزهار بعد الظهر مرفقة ببطاقة كتب عليها عبارة لطيفة. اتصلت به لحظة وصلت الأزهار. أرسل إليها أزهار الأوركيدة والورد، مع سوسن السوادي. فصد أفضل بائع زهور في لندن، وأرسل إليها كل شيء غريب خطر في باله، وبدل لها ذلك مناسباً. رأى بلايك أنها المرأة الأكثر إثارة التي التقاها، وهي جذابة على نحو يفوق التصديق.

ذهب إلى الاستوديو الخاص بها في وقت متأخر من صباح اليوم

التالي، مباشرة بعد مغادرة طوني بلير، وذلك تماماً لمظهر أرابيلا. إنها امرأة متعددة الوجوه، غريبة وفاتنة وطفولية وجذابة، فتكون ملكة جمال لبرهة وجنية صغيرة لبرهة أخرى. فتحت له باب الاستوديو وهي ترتدي جينزاً ضيقاً ملطخاً بالوان مختلفة، وقمصاناً قطنياً أبيض اللون، وتتعل حذاء كونفيرسن أحمر اللون، وقد وضعت سواراً كبيراً من الياقوت حول معصمها، وكانت تضع الياقوت الحمراء بين حاجبيها مجدداً. كل شيء فيها مجنون قليلاً، وإنما مذهل كثيراً بالنسبة إليه. أرته عدة صور متتالية، وبعض الصور القديمة التي رسمتها لنفسها. هناك بعض الصور الجميلة للخيل، ورأى أن صورة رئيس الوزراء جيدة جداً، إنها موهوبة جداً مثلما قال ميك جاجتر.

قال لها: «إنها رائعة، مذهلة جداً، أرابيلا». فتحت قنينة شراب خفيف للاحتفال بحسب قولها بزيارته الأولى إلى الاستوديو الخاص بها، وأملت أن تكون الزيارة الأولى في سلسلة من الزيارات. شرب كوبين معها، بالرغم من كرهه للشراب الخفيف، لكنه بدأ مستعداً لشرب السم كرمي لها، واقترح عليها العودة معه إلى شقته. أراد أن يريها كنوزه الآن. يملك بعض التحف الفنية المهمة، ومنزلاً رائعاً يحبه ويفخر به. عثرا على سيارة أجرة بسهولة، وبعد نصف ساعة، كانا يتجولان في منزله وهي تصرخ من شدة إعجابها بالفن الذي شاهدته. فتح لها قنينة شراب خفيف أخرى، لكنه شرب الشراب الترومي هذه المرة. أدار جهاز الموسيقى وأراها المسرح الذي أنشأه في المنزل، وأظهر لها كل شيء، وعند الساعة التاسعة كانا في السرير.

## الفصل العاشر

مساء يوم الجمعة، نجح تشارلز و ماكسين في تناول عشاء راقٍ في مطعم لا غرونوي. تناولوا الحمار ويخنة الكمأة بالأرز رائعة المذاق. كان العشاء ممتازاً. ومرة جديدة، استمتعت ماكسين بالوجبة، لا بل أكثر هذه المرة. أحببت حديثهما الذي يتم عن نضوج ذكاء، ولم يكن تشارلز جدياً كثيراً كما بدأ قبلاً. فهو يتمتع بحس الدعابة، لكنه يبقى كل شيء تحت السيطرة. لا يبدو أي شيء في تشارلز خارجاً عن السيطرة. قال إنه يفضل أن يكون كل شيء في حياته منظماً ومرتباً، ومعتدلاً ويمكن التوقع به. إنها الحجة التي لطالما أرادتها ماكسين، والتي استحالت عليها عيشها مع بلايك. ولم تكن مناسبة كثيراً لها أيضاً، مع ثلاثة أولاد والعناصر التي لا يمكن التوقع بها في حياتهم، ونوع المهنة التي تمارسها، حيث تحصل الأمور غير المتوقعة بشكل منتظم. لكن شخصيتيها تتناسبان. إنه أقرب إلى ما تريده مما كان عليه بلايك، وقالت لنفسها إنه لو كان تشارلز أقل عفوية، لكان هذا مطمئناً أيضاً نوعاً ما. تعرف ما يمكن توقعه منه. وهو شخص لطيف يروق لها أيضاً.

كانا في سيارة الأجرة في طريق عودتهما إلى المنزل، بعد عشاءهما الثاني في مطعم لا غرونوي. وعدنا بالذهاب إلى لو سيرك في المرة المقبلة، وربما إلى دانيال أو مقهى بولود بعد ذلك، وكلها مطاعم مفضلة لديه يريد أن يصطحبها إليها. رن هاتفيها الخليوي، وافترضت أنه أحد أولادها يبحث عنها. تتولى تيلما واشنطن الرد على اتصالات المرضى في عطلة نهاية الأسبوع. تبين أن الاتصال هو من المستشفى في محاولة للعثور عليها وإحالتها إلى الدكتورة واشنطن، وأدركت ماكسين أن الأمر خطير مع أحد مرضاهما. فهذا هو السبب الوحيد الذي يدفع تيلما واشنطن للاتصال

بها في عطلات نهاية الأسبوع . في بقية الحالات ، تعالج كل شيء بنفسها باستثناء الحالات التي تعرف أن ماكسين تريد الأطلاع عليها والمشاركة فيها . سمعت صوت تيلما عبر الهاتف بعدما حوّلته المستشفى .

قالت ماكسين بسرعة : « مرحباً . ماذا يجري ؟ » . وظن تشارلز أنه أحد أولادها . أمل ألا تكون حالة طارئة . لقد أمضيا أمسية جميلة جداً ، ولا يريد أن يعكّر صفوها أي شيء . كانت ماكسين تصغي بانتباه ، مقطبة حاجبيها ، ومغمضة عينيها ، ولم يجد تشارلز الأمر جيداً . « ما هو عدد وحدات الدم التي أعطيت لها ؟ » . ساد الصمت مجدداً فيما استمعت ماكسين إلى الجواب . « هل يمكنكم إحضار جراح قلب وصدر على الفور ؟ جربوا جونز . . . اللعنة . . . حسناً . . . سأتي على الفور » . التفتت إلى تشارلز مع نظرة قلقة . « أنا أسفة . أكره فعل ذلك معك . تم إدخال أحد مرضاي للتو إلى المستشفى ، والحالة خطيرة . هل أستطيع تحويل سيارة الأجرة إلى مستشفى كولومبيا بريسنثريان ؟ ليس لدي وقت للذهاب إلى المنزل وتبديل ثيابي . أستطيع إيصالك إلى المنزل في طريقي » . كان عقلها مشغولاً بما قالته لها تيلما . إنها فتاة في الخامسة عشرة من عمرها ، تعانها منذ بضعة أشهر فقط . لقد حاولت الانتحار ، وهي على شفير الموت . أرادت ماكسين أن تكون هناك واتخاذ القرارات الممكنة . بدأ تشارلز حزياً على الفور ، وقال إنها تستطيع طبعاً أخذ سيارة الأجرة .

« لمَ لا أذهب معك ؟ أستطيع الوقوف هناك وتوفير الدعم المعنوي على الأقل » . يستطيع تقدير صعوبة هذه الحالات ، وماكسين تتعامل معها باستمرار . لا يستطيع تخيل نفسه وهو يتعاطى مع مثل هذه الحالات بشكل يومي ، لكنه قدرها كثيراً على ذلك . من الناحية الطبية ، يمكن القول إن هذا المجال أكثر إثارة من مجال اختصاصه ، وإنما أكثر توتراً أيضاً وأكثر أهمية نوعاً ما .

« قد أبقى هناك طوال الليل . هذا ما أتفناه على الأقل » . فالسبب الوحيد الذي يدفعها لعدم البقاء هو موت مريضتها ، وهذا احتمال كبير في الوقت الحاضر .

« لا مشكلة . إذا تعبت من الانتظار ، أذهب إلى المنزل . أنا طبيب أيضاً ، وليس هذا غريباً عني » . ابتسمت له . تحب وجود هذا الأمر المشترك بينهما . فتشارك المهنة الطبية بولد رابطاً قوياً . أعطيا السائق عنوان المستشفى ، وانطلقا شمالاً بينما شرحت ماكسين الوضع أمام تشارلز . لقد حاولت الفتاة الانتحار ، فجرحت معصمها ، وطعننت نفسها في القلب بواسطة سكين مطبخ . فعلت شيئاً مريباً . وبمحض الصدفة ، اكتشفتها أمها بسرعة كافية لإحداث فرق بين الحياة والموت . وصل رجال الإسعاف إلى مكان الحادث في غضون دقائق قليلة ، أعطوها وحدثين من الدم حتى الآن ، ونوقف قلبها مرتين خلال الطريق إلى المستشفى ، لكنهم نجحوا في إنعاشها مجدداً . إنها على شفير الموت ، لكنها لا تزال على قيد الحياة . هذه محاولتها الثانية .

« يا الله ، لا يفعلون ذلك بطريقة جزئية ، أليس كذلك ؟ ظننت دوماً أن الأولاد يفعلون ذلك لجذب الانتباه ويقومون بمحاولات زالفة » . لكن لا شيء زائف في هذا . تحدثا عن الأمر بهدوء خلال الطريق ، وسارعت ماكسين إلى العمل فور وصولهما . كانت ترتدي قستان سهرة أسود اللون ، وتنتعل حذاء عالي الكعب . خلعت معطف السهرة الأسود ، وارتدت الثوب الأبيض فوق قستانها ، وعثرت على تيلما ، وقابلت فريق الطوارئ . عاينت مريضتها ، واتصلت بجراح القلب بنفسها ، وتحدثت إلى الطبيب المناوب والطبيب المسؤول . أعيد تقطيب معصم مريضتها ، ووصل جراح القلب بعد خمس عشرة دقيقة ، فأدخل الفتاة التي أصبحت في غيبوبة إلى غرفة العمليات ، وتولت ماكسين طمأننة أهلها . وفيما فعلت ذلك ، كان تشارلز وتيلما يتحدثان بهدوء في المعمر .

قال تشارلز بإعجاب : « إنها مهمة ، أليس كذلك ؟ » . إنها أشبه بزوجة فعلية حين تعمل . عادت إليهما في المعمر بعد نصف ساعة . وافقت تيلما تماماً على آراء تشارلز ، وأعجبت بنأثره أيضاً باحترامه الكبير لعمل ماكسين .

« كيف حالها ؟ » . سألت تيلما ماكسين . بقيت في المستشفى لتوفير صحة

لتشارلز أكثر من أي شيء آخر. ماكسين هي المسؤولة عن الحالة الآن.  
قالت ماكسين وهي تدعو الله كي لا تخسرها: «بين الحياة والموت.  
إنها حالة صعبة».

بقيت إيلويس، مريضتها، في غرفة العمليات لأربع ساعات، وأوشكت  
الساعة على الخامسة فجراً قبل أن تعرف ماكسين شيئاً حاسماً. لكن ما أذهلها  
هو أن تشارلز بقي معها، ذهبت تيلما إلى منزلها قبل ساعات عدة.

دخل الجراح إلى غرفة الأطباء وهو يبدو منتصباً، فيما ابتسم ابتسامة  
عريضة لكل من تشارلز وماكسين. «أقسم إنه أحياناً تحصل أمور يعجز  
أي منا عن تفسيرها. لقد فوتت شيئاً كبيراً بعملها السخيف الأحمق. أخفقت  
فسي قتل نفسها. كما يمكن أن تحصل الكثير من المشاكل في الأيام القليلة  
المقبلة، لكنني أظن أنها ستجو». أصدرت ماكسين صرخة فرح، ووضعت  
ذراعها حول عنق تشارلز. عانقها وابتسم. كان مرهقاً، لكن على الصعيد  
الطبي، كانت إحدى أهم الليالي في حياته، لناعية الاطلاع على الحالة التي  
أمامهم، وما فعلوه لمعالجتها، وكانت ماكسين مسؤولة عن كل ذلك.

ذهبت لإخبار أهل إيلويس، وبعد الساعة السادسة بقليل، غادرت  
المستشفى مع تشارلز. ستعود ماكسين خلال ساعات قليلة. منتقل كثير  
خلال الأيام القليلة المقبلة، لكن الأسوأ قد انتهى. أعطيت إيلويس عدداً  
من وحدات الدم عوضاً عن الدم الذي نزفته، وعالجوا قلبها. كان أهلها  
مرتاحين جداً، وكذلك كانت ماكسين. لا يزال تغاولها مشوباً بالحذر، لكنها  
تشعر أنها ستكسب هذه الحالة، وانتشلت النصر من فكي الموت.

«لا أعرف كيف أخبرك عن مدى تأثري بما تقومين به»، قال تشارلز  
بهدهو. وضع ذراعه حول كتفيها، وكانت تتكى عليه خلال عودتهما إلى  
المنزل. لا تزال متبهجة كثيراً من العمل الذي أنجزته الليلة، لكنها متعبة  
أيضاً. عرف كلاهما أنه ستعني ساعات عدة قبل أن تخف سعادتها، وعطيتها  
العودة حينها إلى المستشفى، من دون نوم ربما. إنها معاندة على ذلك.

قالت وهي تبتسم له: «شكراً على بقائك معي. كان وجودك هناك

لطيفاً. أكون عادة لوحدني في مثل هذه الليالي. أتمنى أن تريح هذه الحالة.  
أشعر أننا سنفلح».

«وأنا أيضاً. جراح القلب بارع جداً». ظن تشارلز أنها هي الأخرى  
بارعة.

«نعم هو كذلك»، وافقت ماكسين.

توقفت سيارة الأجرة أمام مبناها، وأدركت فجأة كم هي متعبة فيما  
نزلت من السيارة. شعرت أن ساقها مثل الإسمنت، وألمها كثيراً الكعب  
العالي. لا تزال ترتدي الثوب الأبيض فوق قستان السهرة، وتحمل معطفها  
الأسود. كان تشارلز يرتدي بذلة داكنة رسمية حسنة المظهر، ومقبصاً  
أبيضن ويضع ربطة عنق كحلية. تحب طريقة اختياره لملابسه. لا يزال  
يبدو مرتباً جداً بعد الليلة الطويلة.

قالت له: «أشعر وكأن أحداً يجزني إلى الخلف عبر أجمة».  
قضحك.

«لا تبدين كذلك. كنت رائعة جداً الليلة».

«شكراً». كل هذا بفضل الفريق، وليس بفضل شخص واحد، والحظ  
الذي يحصل خلال الليل. لا تعرف أبداً كيف تجري الأمور. تبذل ما في  
وسعك، وتدعو كثيراً، أفعل دوماً ذلك».

نظر إليها بعينين مليئتين بالاحترام والإعجاب. كانت الساعة السادسة  
والنصف صباحاً، وتعني فجأة لو أنه يستطيع الذهاب إلى المنزل والنوم.  
يوذ النوم وذراعه تطوقانها، بعد الليلة التي تشاركاها. لكنه اتحنى بدلاً من  
ذلك، فيما وقف خارج المبنى معها، ولاست شفتاه ثقبتها. حصل الأمر  
أسرع مما توقعه كل منهما، لكن الليلة غيرت الكثير من الأمور بالنسبة  
إليهما. لقد أنشأوا رابطاً بينهما. قلبها مجدداً، بقوة أكبر هذه المرة، وقلته  
فيما وضع ذراعيه حولها، وأمسكها بالقرب منه.

«سأتصل بك لاحقاً»، همن لها. أومات برأسها، ودخلت المبنى  
حيث تسكن.



جلست في المطبخ لوقت طويل بعد ذلك، وهي تفكر في كل شيء، في مريضتها والليلة الطويلة وقبلة تشارلز. يصعب تحديد أي من الأمور الثلاثة أثر فيها أكثر. إنها بلا شك محاولة مريضتها للانتحار، لكنها شعرت وكأن ساعة أصابتها حين قبلها تشارلز. بدا ذلك جميلاً أيضاً. أحببت وجوده هناك كرمي لها، في العديد من النواحي، بدا تشارلز كل ما أرادته في حياتها. وبعد أن أصبح الآن هنا، بانت خائفة مما قد يحصل ومن طريقة ناعيتها مع المسألة. ليست واثقة من أنه يوجد مكان له ولأولادها في حياتها. إنها قلقة بشأن ذلك.

أخيراً، كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحاً حين توجهت إلى المرير. لا يزال أولادها نياماً وتأمل أن تحظى ببعض النوم قبل أن تضطر إلى النهوض للاهتمام بهم. ولم تكن مستعدة لهجوم دافني، حين نهضت أخيراً بعد ساعتين من النوم، وكانت تشرب كوب القهوة في المطبخ قرابة الساعة الحادية عشرة. كانت دافني تحدد إليها بغضب شديد. لم تعرف ماكسين لماذا، لكنها واثقة من أنها ستدرك السبب سريعاً.

«أين كنت الليلة الماضية؟»، سألتها دافني وقد بدت شاحبة اللون.  
«في المستشفى. لماذا؟». لم تفهم ماكسين السؤال. ما هي مشكلتها؟  
«لم تكوني هناك! كنت معه!». قالت ذلك مثل العاشق الغاضب.  
أفطع ما بغضب الولد أن يوضع أمام الحبيب الجديد لأخيه والديه، أو حتى الشك في ذلك.

قالت أمها يهذوه: «كنت معه لتناول العشاء، مثلما قلت، تلقيت اتصالاً وأنا في طريقي إلى المنزل، إذ حاولت مريضة من مرضاي الانتحار، وتوجب علي الذهاب. أظن أننا نجحنا في إنقاذها إذا لم تحصل أي مشكلة اليوم». تخبرهم غالباً عن الحالات الطارئة التي تعيها في الليل. «إذا، ما هي مشكلتك؟».

«لا أصدقك. أظن أنك كنت في شقته طوال الليل». لفظت الكلمات أمام أمها بغضب شديد، فيما نظرت إليها ماكسين مذهولة. لم تكن تتوقع

ذلك أبداً، لكن ماكسين أدركت أي نوع من المقاومة قد تواجهه من أولادها بسبب تشارلز. أو من دافني على الأقل.

«قد يحصل ذلك يوماً ما معه أو مع شخص آخر. وإذا أصبحت على علاقة جديدة مع أحد في حياتي، فسأطلعكم عليها، لكنني أؤكد لك دافني أنني كنت في العمل الليلة الماضية. وأظن أنك خارج الموضوع تماماً». بدت غاضبة هي الأخرى فيما التفتت بعيداً، وبدت دافني لبرهة هادئة ثم التفتت إليها مجدداً.

«ولماذا أصدقك؟»، سألت فيما تدخل سام إلى الغرفة، ونظر إلى أخته بقلق، بدت وكأنها تتصرف بحقارة مع أمهم، وهذه هي الحال فعلاً.  
قالت ماكسين بصراحة: «لأنني لم أكذب أبداً عليك، ولا أتوي الشروع في ذلك الآن. ولا أحب اتهامك. إنها قاسية وغير دقيقة وغير ضرورية. لذا، لا تقفي وأحسني التصرف». بعد ذلك، خرجت ماكسين من المطبخ من دون التلفؤ بأي كلمة أخرى أمام الولدين.

ويخ سام أخيه «والآن انظري ماذا فعلت، أثرت غضب أمي. وهي متعبية ربما من السهر طوال الليل، وستبقى الآن مرهقة لبقية اليوم! شكراً جزيلاً».

قالت دافني: «أنت لا تعرف شيئاً». وخرجت بسرعة من المطبخ أيضاً، فيما هزّ سام رأسه، وسكب لنفسه القليل من حبوب الذرة لتناول فطوره. بدا جلياً أن اليوم لن يكون سهلاً.

عادت ماكسين إلى المستشفى عند الظهر، وشكّرت لوجود إيلويس بصحة جيدة. لقد استعادت وعيها. واستطاعت ماكسين التحدث إليها بالرغم من أنها لم تسألها عن سبب محاولة انتحارها. أوصت ماكسين بإبقائها لفترة طويلة في المستشفى، ووافق أهلها على ذلك. لا يريدون المعازفة بإمكانية حصول ذلك مجدداً، مهما كلف الأمر.

عادت ماكسين إلى أولادها عند الساعة الثانية. خرجت دافني مع صديقاتها، للتسوق للميلاد بحسب ما ادعت، لكن ماكسين كانت واثقة من

أن ابنتها تتجنبها، وهذا يلائمها تماماً. لا تزال غاضبة من اتهامات دافني لها هذا الصباح. كالمعتاد، كان سام راعياً في التعويض عما أقرفته أخته، ذهباً معاً لمشاهدة جاك وهو يلعب كرة القدم. فاز فريق جاك بالمباراة، مما بعث فيهما السرور. في الوقت الذي عادوا فيه جميعاً إلى المنزل عند الساعة الخامسة، كانت معنوياتهم مرتفعة. كانت دافني قد عادت إلى المنزل حينها وبدت غاضبة جداً.

حين اتصل بها تشارلز عند الساعة السادسة، قال لها إنه استيقظ للتو، ودُهل لسماعها تقول إنها عملت طوال اليوم.

«أنا معنادة على ذلك»، ضحكت. «لا راحة للمرهق. على الأقل حين يكون هناك أولاد».

«لا أعرف كيف تتجحين في ذلك. أشعر وكأن باصاً صدمني. أنا مرهق تماماً. كيف حال مريضتك؟» بدا نساءً وجذاباً.

«بخير. الحمد لله أن هؤلاء الأولاد ما زالوا صغاراً. نتجح في معظم الأوقات في إنقاذهم، ولكن ليس دوماً».

«أنا مسرور لأن هذه الفتاة نجت». أصبح مهتماً جداً الآن. «ماذا ستفعلن الليلة؟»

«سنذهب لمشاهدة فيلم في السينما عند الساعة الثامنة، وربما نتناول البيتزا أو الطعام الصيني قبل ذلك». ثم خطرت لها فكرة. افترضت أنه متعب جداً للانضمام إليهم، وبدأت تشعر بالتعب هي أيضاً، لكنهم يتناولون دوماً ليلة الأحد عشاء أكثر احتفالية من بقية أيام الأسبوع. «ما رأيك في تناول العشاء معنا غداً؟»

«أنت وأولادك؟». بدا متزهداً، وأقل حماسة مما تمتعت. إنه مفهوم جديد بالنسبة إليه.

«نعم، هذه هي الفكرة. يمكننا طلب طعام صيني أو شيء آخر إذا كنت تفضل».

«أحب الطعام الصيني. لكنني لا أريد التطفل على عشاء عائلي».

«أظن أننا نستطيع تدبير الأمر. ما رأيك؟». كانت تبتسم، ولم يستطع التكبر في عذر مناسب لعدم قبول الدعوة.

«حسناً»، قال وهو يبدو وكأنه وافق للتو على التفز من أعلى مبنى الإمبراير ستايت، في الحقيقة، لقد فعل ذلك وفق معاييرهم. فذرت ماكسين رغبته ببذل الجهد. بدا واضحاً أنه خائف كثيراً.

«أراك غداً عند الساعة السادسة». قالت فيما وقفت دافني في الغرفة وحذفت إليها.

«هل دعوته لتناول العشاء غداً؟»، سألت دافني ما إن أفلتت أمها الخط.

«نعم، فعلت». ولن تطلب الإذن لذلك. فالأولاد يحضرون أصدقاءهم على الشوام، وترحب بهم ماكسين كثيراً. لديها الحق في دعوة أصدقائها أيضاً، حتى لو كانت تمارس هذا الحق نادراً.

قالت دافني بغضب: «إننا، لن نتناول العشاء معكم غداً».

قالت ماكسين بهدوء: «بلى، ستفعلن». وذكّرتها أن أصدقاءها مرحب بهم في المنزل أيضاً. «لا أعرف لماذا تضخمين هذه المسألة، دافني. إنه شخص لطيف جداً. أنا لا أهرّب معه. وتتعاطن مع صديقات والدك على الدوام».

«هل هو صديقك؟». بدت دافني مذعورة، فيما هزّت ماكسين رأسها.

«لا، ليس هكذا، لكن هذا لن يكون أسوأ شيء قد يحصل. الغريب أكثر هو أنني لم أواعد رجلاً منذ أعوام. لا داعي لأن تحدثني جلبة كبيرة حول هذا الموضوع». لكنها ربما فعلت. شعرت بوضوح أنها مهددة من تشارلز ومبدأ وجود رجل قرب أمها. ولم يحب جاك الأمر أيضاً. «لن يحصل أي شيء هنا، داف. هوّني عليك أرجوك. دعينا نتعاطى مع المسألة كما هي. صديق أت إلى العشاء. إذا تبين أن العلاقة تعدت ذلك يوماً ما، فأخبركم. في الوقت الحاضر، هذا مجرد عشاء. مفهوم؟». بينما قالت

ذلك، تذكرت قبله لها هذا الصباح. إذأ، لم تكن دافني نجافي الحقيقة تماماً. إنه أكثر من مجرد عشاء. لم تتفوه دافني بكلمة، وخرجت من غرفة أمها بصمت.

حين وصل تشارلز في اليوم التالي، كانت دافني في غرفتها، واضطرت ماكسين إلى تملقها، وتوسلها، وتهديدها لإقناعها أخيراً بالمشاركة في العشاء. دخلت المطبخ، لكنها أوضحت بلغة جسدها وسلوكها أنها موجودة هنا تحت الضغط. تجاهلت تشارلز تماماً، ونظرت إلى أمها بغضب. وحين قدموا العشاء الصيني عند الساعة السابعة، رقصت دافني تناول الطعام. إلا أن سام وجاك عوضاً عن ذلك، هنا تشارلز جاك على فوزه في المباراة في اليوم السابق، وسأله عن تفاصيل المباراة.

بعد ذلك، انخرط سام وتشارلز في محادثة حيوية، نظرت دافني إلى أخويها كما لو أنهما خائنن، وعادت إلى غرفتها بعد عشرين دقيقة. ذكر تشارلز الأمر أمام ماكسين فيما كانت تنظف المطبخ وترمي الفضلات، كان العشاء جيداً، وتصرف تشارلز بشكل جيد. بذل جهداً واضحاً للتحدث إلى الأولاد، لكنه حاول. الأمر غريب تماماً عليه.

قال وهو يبدو منزعجاً: «دافني نكرهني». فيما تناول قطعة حلوى أخرى بقيت على الطاولة.

«لا تتركه. لا تتركه. إنها فقط خائفة. لم اواعد أحداً أبداً من قبل، ولم أدخ أي شخص لتناول العشاء في المنزل. إنها خائفة مما قد يعنيه ذلك.»

«هل قالت لك هذا؟». بدا مختاراً، فضحكت ماكسين.

«لا، لكنني أم وأخصائبة في التعامل مع المراهقين. تشعر أنها مهددة.»

«هل قلت شيئاً أزعجها؟». بدا قلقاً.

«لا. كنت رائعاً». ابتسمت له ماكسين. «قررت فقط أخذ موقف. أنا شخصياً أكره الفتيات المراهقات»، قالت ماكسين بمرح، وضحك هذه

المره، نظراً إلى مهنتها. «في الواقع، يصبح عمر الخمسة عشر عاماً أسوأ. لكن الأمور تبدأ في عمر الثالثة عشرة. الهرمونات وكل تلك الأشياء. تستمر الحال على هذا المنوال إلى أن يبلغن السادسة عشرة أو السابعة عشرة من العمر.»

«من الفطيع أن تقول ذلك امرأة تقوم مهنتها على التعاطي مع فتيان وفتيات في مثل هذه السن.»

«على الإطلاق. أعرف عما أتحدث. كل الفتيات يترن المشاكل مع أمهاتهن في هذا العمر. أباهن هم الأبطال.»

قال بكآبة: «لاحظت ذلك». فقد نتجت وتباهت دافني كثيراً بوالدها في أول لقاء لهما. «وكيف نصرّفك مع الصبيين؟»

قالت مجدداً: «بشكل رائع». ونظرت إلى عينيه مبتسمة ابتسامة لطيفة. «شكراً على قيامك بذلك. أعرف أن هذا ليس من اهتماماتك.»

قال بلطافة: «لا، وإنما أنت من اهتماماتي، أفعل ذلك لأجلك.»

قالت بنعومة: «أعرف». وقبل أن يدركا ماذا حصل، كانا يقبلان بعضهما في المطبخ ودخل سام.

قال لحظة رأهما: «أه». وقفا بعيداً عن بعضهما، وهما يشعران بالذنب، وفتحت ماكسين البراد وحاولت أن تبدو مشغولة. قال لأمه: «ستتفك دافني إذا رأته تقيله». فضحكت وتشارلز.

قالت ماكسين: «لن يحدث ذلك مجدداً. أعدك. أنا أسفة، سام». هز سام بكفه، وأمسك بقطعتي حلوى، وخرج من الغرفة مجدداً.

قال تشارلز بحنان: «أحبه فعلاً.»

قالت بهدوء: «من الجيد لهم جميعاً وجودك معهم، حتى دافني، هذا حقيقي أكثر من وجودي أنا فقط معهم.»

قال تشارلز بتأوه: «لم أكن أعرف أنني هنا في مهمة تدريبية». فضحكت مجدداً.

جلسا في غرفة الجلوس، وتحذنا لبعض الوقت بعد ذلك، ثم غادر

تشارلز قرابة الساعة العاشرة - بالرغم من عدائية دافني خلال العشاء، كانت الأمسية ممتعة جداً. تصرف تشارلز كما لو أنه نجح في عبور شلالات نياغارا بواسطة برميل، وبدت ماكسين سعيدة حين دخلت غرفتها، ووجدت سام مستلقياً على سريرها، نصف نائم تقريباً.

«هل ستزوجينه أمي؟»، همس لها، وبالكاد استطاع فتح عينيه فيما قبّله.

«لا، لن أفعل. إنه مجرد صديق».

«إذاً، لماذا كنت تقبّله؟».

«هكذا، لأنه يعجبني. لكن هذا لا يعني أنني سأ تزوجه».

«هل تقصدين مثل بابا والفتيات اللواتي يخرج معهن؟»

«نعم، نوعاً ما. ليست مسألة مهمة».

«يقول لي دوماً ذلك أيضاً». بدا سام مرتاحاً، ثم خلد إلى النوم فيما نظرت إليه. لا شك في أن دخول تشارلز إلى الساحة أثر في الجميع، لكنها لا تزال تترى أنه أمر جيد. ومن المتعم لها وجود رجل تخرج برفقتها. ليست هذه جريمة، قالت لنفسها. عليهم الاعتقاد فقط على الأمر. وفي النهاية، بلاك يواعد النساء. فلن لا تفعل ذلك هي أيضاً؟».

## الفصل الحادي عشر

الوقت الذي أمضاه بلاك مع أرابيلا في لندن قبل الميلاد كان رائعاً تماماً. لم يكن يوماً سعيداً هكذا أو مقنوناً بأي كان في حياته. حتى إنها رسمت له صورة صغيرة. أحب كل لحظة أمضاها معها. أخذها إلى سان موريتز لتمضية عطلة نهاية الأسبوع، وتزلج معها على الجليد. ذهباً إلى باريس لثلاثة أيام لتسوق الهدايا للميلاد، وأقاما في الريتز. ذهباً حتى إلى البندقية وأقاما في القصر الذي يملكه هناك. إنها أكثر اللحظات رومنسية التي تشاركها مع أي امرأة. قسي النهاية، دعاها للمجيء معه إلى أسبن بعد الميلاد، لتمضية العطلة معه ومع أولاده. سيعضي مع أرابيلا ليلة الميلاد في لندن. تريده أن يتعرف إلى عائلتها، لكنه فضّل البقاء لوحده معها والاستمتاع بكل لحظة. لا يحب كثيراً التعرف إلى عائلة أي كان. فالأمور نقشل عادة حين يفعل ذلك، وتثار توقعات زائفة. في حالة أرابيلا، أرادها فقط أن تكون له، وهي راغبة كثيراً بذلك. فهي تقيم معه في منزله في لندن منذ النضيا، وظهرت صورهما معاً في المجلات مرات عدة.

لمحتهما دافني في مجلة بيبول، وعرضتها لأماها مع نظرة استياء. «بيدر وكان والذي واقع في الغرام مجدداً».

«امنحيه فرصة، دافني. لا تكون الأمور جدية أبداً معه. إنه يشتمع فقط». أصبحت دافني قاسية على والدها والديتها هذه الأيام، على بلاك وماكسين على حد سواء.

«قال إنه سيأتي لوحده إلى العطلة هذه المرة». هذا ما أرادته دافني فعلاً، أن تمضي الوقت لوحدها معه، وتكون الأنثى الوحيدة في حياته. ونظراً إلى من يكون بلاك، عرفت ماكسين أن هذا لن يحصل، ورأت أن المرأة الجديدة في حياته جميلة جداً. إنها سعيدة مع تشارلز، ولم يزجها

الأمر على الإطلاق. لم يحصل ذلك أبداً. «أمنى ألا يحضرها معه»، كررت دافني، وقالت ماكسين إنه سيفعل ذلك على الأرجح. بدأ من الأفضل تحذيرها وجعلها تعتاد على الفكرة.

قيلت أرابيلا دعوة بلايك إلى أسبن. لم تذهب إلى هناك من قبل، وأحببت فكرة تمضية العطلة مع أولاده الزارعين. شاهدت صورهم، وأخبرها عنهم جميعاً، ساعدته على شراء الهدايا لدافني، واختاراً معها سواراً ماسياً صغيراً جميلاً من غراف، أكدت له أرابيلا أنه سيباسها تماماً. قالت إنه ملائم لأميرة. عاد إلى المتجر، واختار هدية ملائمة ليكونتيسة، عبارة عن سوار مذهب من الباقوت. وحين قدمه لها، أعجبها كثيراً. احتقلا بليلة الميلاد، ثم توجهتا إلى نيويورك في طائرته الخاصة في اليوم التالي. وصلا إلى شقته في نيويورك في وقت متأخر من بعد الظهر يوم الميلاد. واتصل بماكسين ما إن وصلا. لقد عادت هي والأولاد للتو من احتفال مع أهلها. وكان الأولاد مستعدين للمغادرة في اليوم التالي. إنها توضع لهم الأغراض ليومين.

مازحته «أرى أنك مشغول، كنا نقرأ أنا ودافني عنك في مجلة بيبول». لم تخبره أن دافني لم تكن مسرورة.

«انتظري حتى نتقي بها. إنها مذهلة».

«بالكاد أستطيع الانتظار»، ضحكت ماكسين. لا تدرم النساء في حياتهم عادة لوقت كافٍ حتى تتلقي بهن. بدأت هذه العلاقة قبل بضعة أسابيع فقط، إنها تعرف بلايك، ولا تصدقه حين يقول إن هذه مختلفة. يقول دوماً ذلك، لا تستطيع تخيله على علاقة جدية مع أي كان، بالرغم من أن هذه المرأة أكبر سناً من خياراته الاعتيادية، لكنها لا تزال قط في التاسعة والعشرين من عمرها، وهي صغيرة برأي ماكسين. ثم أخبرته ماكسين عن أحوالها. قالت من دون مبالاة: «أنا أواعد شخصاً أيضاً».

«حسناً، هذا خبر جديد. ومن هو الرجل المحظوظ؟».

«طبيب أمراض داخلية، التقيت به عن طريق مريض».

«بيدو هذا مثالياً. هل هو لطيف؟».

«أظن ذلك»، لم تكن شاعرية، وعرف أن هذا هو طبعها. ماكسين تتحفظ في كل شيء.

«وما هو رأي الأولاد في ذلك؟». أصبح فضولياً الآن.

«آه...»، تهتدت. «هذه قصة أخرى. دافني تكرهه بقوة، وذاك ليس متحسناً، ولا أظن أن سام يبالي فعلاً».

«ولماذا تكرهه نافع؟».

«إنه رجل. يتصورون جميعاً أنه عليّ الاكتفاء بهم، وهذا صحيح. لكن التغيير جيد. أشعر بالفضوح للتحدث إلى رجل بين مواعيد المرضى ونقل الأولاد بالسيارة».

«بيدو لي هذا جيداً».

«لم رأيت ماكسين أنه يجدر بها تحذيره بشأن ابنته». «إنها غاضبة منك أيضاً».

«حقاً؟». بدأ متفاجئاً. «لماذا؟». لم يتخيل السبب. إنه ساذج جداً.

«علاقتك العاطفية الجديدة. بيدو أنها تحب الاستئثار بنا هذه الأيام». قالت إنك وعدتها بالذهاب إلى أسبن لرحلك هذه المرة. هل ستفعل؟».

تردد. «آه... لا... ليس تماماً. ستكون أرابيلا معي».

«تصورت ذلك. أخبرت دافني أن هذه هي الحال على الأرجح. قد تواجه ورطة كبيرة. كن مستعداً».

«رائع. من الأفضل إخبار أرابيلا. إنها تتطلع إلى لقائهم».

«سيكون الصبيان جديدين، إنهما معتادان على تسائك. أخبرها فقط ألا تأخذ موقف دافني على محمل الجد كثيراً. إنها في الثالثة عشرة من عمرها، وهذا عمر صعب».

قال لها: «هذا ما بيدو». لكنه كان واثقاً من أن أرابيلا تستطيع التغلب على أي كان، حتى دافني. لا يظن أن المسألة مهمة. قال لماكسين: «سأخذهم غداً صباحاً عند الثامنة والنصف».

«سيكونون جاهزين»، وعده. «أتمنى أن يحصل كل شيء على ما يرام». لم تتقبل دافني فكرة تشارلز بعد، لكنها رفضت بطريق عرضية، وبقي بعيداً خلال عطلة الأعياد. لا يحب الميلاد، ولم يعد لديه أي عائلة، لقد ذهب إلى منزله في فيرمونت. ستلتقي به ماكسين هناك بعد أن يذهب الأولاد مع بلايك. سندهب بسيارتها في اليوم التالي، وهي متوترة قليلاً بشأن ذلك.

جاء بلايك لاصطحاب الأولاد في الصباح متلماً وعد، ولم تنزل ماكسين إلى الأسفل لرؤيته. طلبت من الأولاد إبلاغه حينها. لا تظن أنه من الجيد التطفل عليه مع أرابيلا. تثبت سام بأمه لبرهة، وأخبرته أنه يستطيع الاتصال بها على هاتفها الخليوي في أي وقت، وحذرت الولدين الكبيرين بضرورة الانبساط إليه والتمسك به خلال الليل. كانت دافني متزعجة أصلاً، لأن أمها أخبرتها أن بلايك أحضر أرابيلا معه. «لكنه وعدني...»، قالت وهي تبكي اللثة الفاتنة، فيما طمأنتها ماكسين أن هذا لا يعني أنه لا يحبها أو لا يريد تمضية الوقت معها، وإنما يحب فقط وجود امرأة معه. وعرفت كلتاها أن أرابيلا، مهما بدت مهمة بالنسبة إلى والدها، قلن تبقى معه لوقت طويل. فهذه هي حال نساته، ولم تكن هذه المرأة استثناء على القاعدة! عانت دافني أمها، وركضت للحاق بالمصعد حيث انتظر جاك وسام.

بدت الشقة هادئة كثيراً بعدما غادروا. رقت ماكسين وزيلدا الأثاث معاً، وبذلت زيلدا أطقم الأسرة قبل أن تذهب إلى المسرح لحضور مسرحية. ثم اتصلت ماكسين بتشارلز في فيرمونت. إنه مثلهف لحضورها، وهي تتطلع لرؤيته، لكنها متوترة بشأن مشاريعهما. لقد اعتذر قليلاً عن كوخه في الجبال، متلماً وصفه، بعد أن عرف طبيعة القمامة التي عاشتها مع بلايك، قال إن منزله في فيرمونت بسيط وعادي جداً. إنه قريب من منتجع تزلج، وهو يتطلع إلى التزلج معها، لكنه أشار إلى أن المكان ليس شبيهاً أبداً بسان موريتز، أو أسبن، أو أي من الأماكن التي تعرفها جيداً.

طمأنته «توقف عن القلق بشأن ذلك، تشارلز، لو كان هذا مهما بالنسبة إلني، لبقيت متزوجة ببلايك. تذكر أنني أنا التي تركته. أريد فقط تمضية الوقت معك. لا أهتم لمدي بساطة البيت. أنا قادمة من أجلك، وليس من أجل العزل». وهي تصعد ذلك فعلاً.

ارتاح كثيراً لأن يكون وحيداً معها. لا يزال يشعر بالتوتر من تواجد مع أولادها. اشترى لهم جميعاً أسطوانات للميلاد، لفرق موسيقية اقترحها أمهم، وبعض الأفلام لسام. ليست لديه فكرة عما يحبونه، وشعر بالتوتر عند اختيار الهدايا لهم. اشترى لماكسين وشاحاً رسمي المظهر من شانيل، ورأى أنه جميل، وأعجبها. أعطهاها إيّاه في آخر مرّة تناولوا العشاء معاً قبل مغادرته إلى فيرمونت، قبل أربعة أيام من الميلاد. يفضل مغادرة المدينة قبل أن يصاب الناس بجنون العطلات. ليس هذا أسلوبه، ورأت هي أن هذا مؤسف فعلاً. لكنه أكثر سهولة عليها بهذه الطريقة مع وجود الأولاد. كانت دافني لتصاب بانهايار عصبي لو كان موجوداً خلال الميلاد، وتوقع تمضية الوقت معهم، ولذلك عملت كل الأمور لمصلحتها.

قدّمت له ماكسين ربطة عنق من هيرمس مع وشاح جيب متناغم. وضعهما خلال العشاء تلك الليلة. إنها علاقة مريحة بالنسبة إليهما، غير جدية كثيراً، مع الكثير من المجال لكل منهما للاستمرار في مهنته وحياته. لا تعرف ماكسين كم ستغير الأمور. لا تستطيع تخيل بقائه في المنزل مع أولادها، وقال تشارلز قبل أن يذهب ذلك أبداً. قال إنه يخاف أن نقله دافني خلال توم.

غادرت المدينة عند الظهر، وكانت تنوي البقاء بعيداً عنها حتى يوم رأس السنة. توقعت أن تصل إلى فيرمونت عند الساعة السادسة من تلك الليلة. اتصل بها تشارلز وهي في طريقها إليه مرتين، للتأكد من أن كل شيء على ما يرام. الثلج يتساقط شمال بوسطن، لكن الطرقات مفتوحة، بالرغم من أن الثلج أصبح أكثر كثافة حين وصلت إلى نيوهمبشاير، وتلقت حينها اتصالاً من أولادها. اتصلت بها دافني لحظة وصلوا إلى أسبن، وبدت مسعورة.

«أكرهها أمي»، هسنت لها. أصغت ماكسين وحزكت عينها. «إنها مريعة!».

«كيف مريعة؟». حاولت ماكسين إبقاء عقلها متفتحاً بالرغم من أنه عليها الاعتراف بأن بعض نساء بلايك مزيقات فعلاً. أصيحت ماكسين تنظر إلى المسألة بطريقة فلسفية خلال الأعوام الخمسة الماضية. لا تدوم علاقته طويلاً على أي حال، ولا تستحق بالتالي أن يثور غضب دافني أو غضب ماكسين بشأنها، إلا إذا فعلت النساء شيئاً خطيراً للأولاد. لكن الأولاد كبروا الآن كفاية على ذلك على أي حال، ولم يعودوا أملاًلاً.

«لديها أو شام صعوداً ونزولاً على ذراعها!». ابتسمت ماكسين على الصورة.

«هكذا كانت المرأة الأخيرة، وعلى سابقها، ولم يزعجك ذلك. هل هي لطيفة؟». ربما تنصرف بفضافة مع الأولاد. أملت ماكسين ألا تفعل ذلك، لكنها لا تظن أن بلايك يسمح بحصول ذلك. إنه يحب أولاده، حتى لو كان يحب نساءه.

قالت دافني بقر: «لا أعرف. لن أحدث إليها».

«لا تكوني قطة، داف. ليس هذا لطيفاً، وسينزعج والدك. هل هي لطيفة مع أخويك؟».

«أخذت بعض الصور التافهة لسام. إنها رسامة أو ما شابه. وهي تضع ذلك الشيء القبي بين عينها».

«أي نوع من الأشياء؟».

«تعرفين، مثل النساء الهنديات. إنها زائفة جداً».

«نقصدون مثل الياقونة الحمراء؟ ها، داف. لا تكوني قاسية عليها، إناء، إنها غريبة قليلاً. امتحنيها فرصة».

«أكرهها». عرفت ماكسين أن دافني تكره تشارلز أيضاً. إنها تكره الكثير من الأشخاص هذه الأيام، حتى والديها. هذا هو عصرها.

«ربما لن تربتها أبداً بعد هذه العطلة، لذلك لا تتددي الكثير من العلاقة

عليها. تعرفين كيف يحصل ذلك».

قالت دافني وقد بدت مكتئبة: «هذه مختلفة، أظن أن والذي مغرم بها».

«أشك في ذلك. يعرفها والدك منذ بضعة أسابيع فقط».

«تعرفين كيف هو. يُجنّ قيهن جميعاً في البداية».

«نعم، ثم يختفين مثل الدخان وينسى أمرهن. لذلك استرخي». لكنها تساءلت بعدما أفلتت الخط ما إذا كانت دافني محقة وستكون هذه المرأة الاستثناء. كل شيء ممكن. لا تستطيع تخيل بلايك وهو يتزوج مجدداً أو يبقى مع المرأة نفسها لوقت طويل، لكن، لا أحد يعلم. قد يفعل ذلك يوماً ما. تساءلت ماكسين كيف ستشعر حين يحصل ذلك. قد لا يكون الأمر رائعاً. تماماً مثل أولادها، تحب الأمور مثلها هي الآن. ليس التغيير سهلاً أبداً، لكنها قد تضطر إلى مواجهته يوماً ما. في حياة بلايك وحياتها هي. هذه هي الحال مع تشارلز. التغيير. الأمر مخيف جداً بالنسبة إليها.

استغرقت الرحلة وقتاً أطول مما توقعت بسبب الثلج، ووصلت إلى منزل تشارلز عند الساعة الثامنة مساءً. إنه منزل صغير ومرتب مع سقف مائل وسور ريفي حوله. بدا مثل منزل على بطاقة بريدية. خرج لإلقاء التحية عليها ما إن وصلت، وحمل حقائبها إلى الداخل. ثمة شرفة أمامية مع أرجوحة عليها، وفي الداخل توجد غرفة نوم كبيرة، وغرفة جلوس مع موك وسجادة عتيقة، ومطبخ ريفي حميم. خاب أملاً حين لاحظت أنه لا يوجد مكان لأولادها، إذا حصل وأتوا. لا توجد حتى غرفة للضيوف حيث تستطيع وضعهم هم الثلاثة في سرير واحد. إنه منزل ملائم لشخص عازب، أو على الأكثر لثلاثين، ولا شيء آخر، وهذه هي طريقة عيشه. وهو يحب حياته بهذه الطريقة، أوضح لها ذلك.

كان المنزل دافقاً حين دخلت، وضع حقائبها في غرفة النوم، وأرأها الخزانة حيث تستطيع تعليق أغراضها. إنه لشعور غريب أن تتواجد لوحدها هنا معه. شعرت فجأة أنها شجاعة كفاية للتدوم، وانتابها الخجل فيما رافقها في

المنزل وهو يربها مكان الأشياء، مناقف، شرافف، الغسالة، الحمام، علماً أنه يوجد حمام واحد فقط. وكان كل شيء في مطبخه نقيماً ومرتباً. حضر لها الدجاج البارد وبعض الحساء، لكنها بعد الرحلة الطويلة شعرت بتعب كبير لتناول الطعام. سعدت بالجلوس قرب الموقد معه ويشرب كوب شاي.

سأل بنهذيب «هل الأولاد بخير؟».

«إنهم بخير. اتصلت دافني حين وصلوا إلى أسبن. إنها غاضبة قليلاً لأن والدها أحضر صديقته الجديدة معه. وعد ألا يفعل ذلك هذه المرة، لكنه التقى مؤخراً بامرأة جديدة فأحضرها معه. يتحسس أكثر من اللازم قليلاً في البداية».

«إنه رجل مشغول»، قال تشارلز وهو يبدو غير موافق. لطالما شعر بالانزعاج كلما ذكرت بلاكه.

«سيعتاد الأولاد. يفعلون ذلك دوماً».

«لست واثقاً كثيراً من أن دافني ستعتاد علي». لا يزال قلقاً بشأن ذلك، ولم يكن معتاداً على الغضب الشديد للفتيات المراهقات. لم تتأثر ماكسين كثيراً.

«ستكون بخير. تحتاج فقط إلى بعض الوقت».

جلسا وتحذنا قرب الموقد لوقت طويل، وكان المشهد في الخارج رائع الجمال. وقفا على الشرفة الخارجية، ونظرا إلى الثلج حولهما. كان المشهد رائعاً فيما وضع تشارلز ذراعيه حولها وقبّلها. ما إن فعل ذلك، حتى رنّ هاتفها الخليوي. إنه سام يتصل بها ليقول لها تصيحين على خير. أعطته قبلة، وودعه، ثم التفتت إلى تشارلز مجدداً ولاحظت أنه متوتر.

علق بطريقة جافة «يبدو أنهم يعثرون عليك، حتى هنا، ألا تحصلين أبداً على وقت فراغ؟».

قالت بهدوء: «لا أريد ذلك، إنهم أولادي. إنهم كل ما أملك. إنهم حياتي». هذا هو تماماً ما يخشاه، ولهذا السبب يخاف منهم كثيراً. لا يتخيل نفسه وهو يبعدهم عنها.

قال بهدوء: «تحتاجين في حياتك إلى شيء أكثر منهم». بدا وكأنه يتطوع لأداء المهمة، وتأثرت. قبلها مجدداً، ولم يتصل أحد هذه المرة، ولم يزعجها أحد. لحقت به إلى الداخل، وتناوبا على الاستحمام. كان الأمر مرحجاً قليلاً ومضحكاً نوعاً ما، فيما قهقهت ماكسين عند ذهابها إلى السرير. كانت ترندي ثوب نوم طويلاً من الكشمير مع رداء متقاعم فوقه، وجوربين. بالكاد بدت رومنسية، لكنها لم تستطع تخيل نفسها وهي ترندي شيئاً آخر. كان هو يرتدي ثياب نوم مخططة، وشعرت وكأنها مثل والديها في غرفة نومهما فيما استلقت وتشارلز جنباً إلى جنب على السرير المزدوج.

«يبدو هذا غريباً قليلاً»، اعترفت له بهمس، ثم قبلها ولم يعد الأمر غريباً أبداً.

أسمكا ببعضهما بقوة بعد ذلك، وأخبرها كم هي جميلة وقال لها إنه يحبها، وهدمت لسماع الكلمات. تساءلت ما إذا كان مجبراً على قولها لها. قال إنه وقع في غرامها منذ التقيا. وأخبرته بلطف أنها تحتاج إلى المزيد من الوقت قبل أن تعرف ذلك. هناك الكثير من الأشياء التي تعجبها فيه، وتأمل أن تشعر بالكثير من الأمور تجاهه حين تتعرف إليه بصورة أفضل. شعرت بالأمان معه، وهذا مهم لها. إنها تثق به، تهامس في الظلام، و... بعد ذلك، نامت بين ذراعيه، وكانا سعيدين ومرتاحين وراضيين وفي سلام تام.



## الفصل الثاني عشر

في صباح اليوم التالي، ارتدى تشارلز وماكسين ثيابهما، وذهبا في نزهة طويلة في الثلج. حضر لها الفطور فكان عبارة عن فطائر مقلية مع رفاقات هشة من اللحم المقدد. نظرت إليه بحنان، وفتلها عبر الطاولة. هذا ما كان يحلم به منذ النفا، كان يصعب حدوث مثل هذا الأمر في حياتها. اتصل أولادها مرتين قبل الفطور. أعلنت دافني الحزب المفروحة على الحب الحديد لوالديها. وقبما أصغى تشارلز إلى جانب ماكسين من المعاداة، فطَب حاجبيه. وضمت بما قاله لها حين أفلتت الخط.

«أعرف أن هذا قد يبدو مجنوناً لك ماكسين، لكن ألا تظنين أنهم كبيروا كفاية ليبقوا في المنزل؟»

«كنتُ أفكر ربما في أنه يجدر بهم الالتحاق بالمارينز أو الدخول باكراً إلى الجامعة؟»، ففي النهاية، لا يزال جاك ودافني في الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمرها.

«كنتُ في مدرسة داخلية حين كنت في عمرها. كانت أفضل تجربة عشتها. أحببتها، وحضرتني للحياة». أصيبت ماكسين بالذعر لمجرد سماعه يقول ذلك.

قالت بصراحة: «أبدأ، لا أفضل ذلك أبداً مع أولادي. لقد خسروا بلايك تقريباً. ولن أتخلى عنهم أنا أيضاً. ولماذا؟ كي أعيش حياة اجتماعية أفضل؟ من يهتم لذلك؟ هذه هي السنوات التي يحتاج فيها الأولاد إلى أهل، ويحتاجون إلى تعلم القيم، وإعادة المشاكل عنهم. لا أريد من أستاذ في مدرسة داخلية أن يعلم أولادي هذه الأمور. أريدهم أن يتعلموا ذلك مني». إلا أنها ضمت.

«لكن ماذا عنك أنت؟ هل تريدن تأجيل عيشك الحياة إلى أن يذهبوا

إلى الجامعة؟ هذا ما يعنيه بقاؤهم حولك طوال الوقت».

قالت بهدوء: «هذا ما وقعت عليه حين أنجبتهم، لهذا السبب وجد الأهل. أرى النتائج في مكتبي كل يوم حين لا يكون الأهل متفرغين لأولادهم. وحتى لو كانوا متفرغين لهم، فقد تسلك الأمور المسار الخطأ. إذا غادرت ووضعتهم في مدرسة داخلية في هذه الأعمار، فأنت بالتأكيد تبحث عن المشاكل».

قال بنبرة دفاعية: «لكنني على ما يرام».

قالت بفضاضة: «نعم، لكنك قررت عدم إنجاب الأولاد، هذا يثبت شيئاً أيضاً. لقد قوّتت ربما شيئاً في طفولتك. انظر إلى البريطانيين. إنهم يرسلون أولادهم بعيداً في عمر السادسة أو الثامنة، ويحرف بعض الأولاد بسبب ذلك ويتحدثون عن الأمر لاحقاً حين يكبرون. لا يمكنك إرسال ولد بعيداً في هذا العمر، وعدم تحل أي نتيجة على الإطلاق. يواجه الناس مشاكل في الارتباط بعد ذلك. وأنا لا أشق بمسألة إرسال أولاد مراهقين إلى مدرسة داخلية. أريد أن أكون موجودة لأرى ماذا يفعلون ولأشارك ميادتي معهم».

قال بصراحة: «تبدو لي هذه تضحية كبيرة».

قالت له: «علي الإطلاق». مسائلة ما إذا كانت تعرفه فعلاً. لا شك في أنه يوجد جزء ناقص في شخصية تشارلز، في ما يتعلق بالأولاد، ورأت أن هذا مؤسف جداً. قد يكون هذا هو الجزء الذي جعلها تتردد بشأنه حتى الآن. أرادت أن تحبه، لكنها تحتاج إلى التأكد من أنه يستطيع حب أولادها أيضاً. وليس إرسالهم بعيداً إلى مدرسة داخلية. مجرد التفكير في ذلك جعلها ترتعد. لاحظ ذلك، وتراجع على الفور. لا يريد إزعاجها، بالرغم من ظنه أنها ستكون فكرة رائعة، لو رغب بذلك. لكنها لا تريد. هذا واضح.

ذهبت للتزلج بعد ظهر ذلك اليوم في شوغاربوش، وكان التزلج معه سهلاً ومتعةً. لم تكن يوماً محترقة بقدر بلايك، لكنها تجيد التزلج، وكانت هي وتشارلز بالمستوى نفسه، واستمتعاً بالجولات نفسها. شعرا بالاسترخاء

والسعادة بعد ذلك، ووضعت جانباً أخلاقهما البسيط ذلك الصباح بشأن المدرسة الداخلية. يحق له التعبير عن وجهة نظره، طالما أنه لم يجبرها على المسألة، لم تسمع شيئاً من أولادها تلك الليلة، وشعر تشارلز بالارتياح من التجميل نمضية وقت غير منقطع معها. أخذها لتناول العشاء خارجاً، وحين عادوا إلى المنزل، دُهلّت لمدى الارتياح والاسترخاء اللذين تشعرا بهما معه. بدا وكأنهما مع بعضهما منذ زمن. كان الثلج يتساقط خارجاً، وشعرت ماكسين كأن الوقت توقف، وكأنها لو حدهما في عالم غريب.

في منزل بلايك في أسبن، كانت الأمور أقل هدوءاً مما هي في فيرمونت. السريو يصنح بصوت عالٍ. جاك وسام يلعبان ألعاب البينيتدو، وجاء أصدقاء للزيارة، وقد صمعت دافني على جمل حياة أرابيلا تعيسة قدر المستطاع. أصدرت تعليقات فظة وقاسية وملاحظات لئيمة بشأن الثياب التي ارتدتها أرابيلا. وكلما حضرت أرابيلا الطعام، رفضت دافني الأكل. سألتها إذا فحصت نفسها لمرض الأيدز بسبب الأوشام على ذراعها وجدها. لم تعرف أرابيلا كيف تتعاطى معها، لكنها أخبرت بلايك أنها مصعبة على الصمود. أصرّ على أنهم أولاد جيدون.

أراد أن ينجح الأمر مع أولاده. تبذل دافني كل شيء، ممكن كي لا ينجح الأمر. كانت تحاول تحريض الصبيين ضد أرابيلا، لكن خططها لم تنجح حتى الآن. رأيا أنها جيدة، بالرغم من أن أوشامها وتسريحة شعرها وطريقة لباسها غريبة نوعاً ما.

لم يكثر جاك أبداً لأرابيلا تقريباً، وكان سام مهذباً. استفسر سام عن اليافوثة الحمراء بين العاجيين، وأخبره واثقه أن أرابيلا تضعها لأنها عاشت في الهند، ورأى أنها جميلة فعلاً. اعترف سام أنه يراها جميلة هو الآخر. هزت دافني كتفها استهجاناً، وأخبرت أرابيلا أنهم رأوا الكثير من النساء اللواتي يظهرن ويختفن من حياة والدهن ولذلك لم يعودوا يتكلمون عنهن التعرف إليهن. طمأنت أرابيلا في أنه سيتخلص منها خلال الأسابيع القليلة المقبلة. كان هذا التعليق الوحيد الذي أثار فعلاً في أرابيلا، ووجدتها بلايك في حمامها تبكي.

«حبيبي... صغيرتي... بيلا عزيزتي... ما القصة؟». كانت تبكي وكان قلبها سيتوقف عن الخفقان، والشه الوحيد الذي لا يستطيع تحمله هو النساء اللواتي يكنين، ولا سيما النساء اللواتي يحتهن. «ماذا حصل؟». أرادت أرابيلا أن تقول له إن ابنته هي المسؤولة، لكنها كبقت نفسها، بسبب حبها له. إنها مغرمة فعلاً به، وهو مجنون بها أيضاً.

أخيراً، كررت أرابيلا العبارة التي قالتها لها دافني وجعلتها تنفجر في البكاء. «لقد خفت كثيراً، وتساءلت فجأة إذا كنت ستتخلص مني حين تعود إلى لندن». نظرت إلى بلايك بعينين كبيرتين، وبدأت تبكي مجدداً فيما وضع ذراعيه حولها.

طمأنها بلايك «لن يتخلص أحد من أحد هنا، أنا مجنون بك. لن أذهب إلى أي مكان، ولا أريد قول أي شيء عن ذلك، ولا أنت، ولوقت طويل. أكره قول ذلك، لكن ابتني نغار منك». تحدث إلى دافني عن الموضوع في وقت لاحق من بعد الظهر، وسألها عن سبب تصرفها بغفظة مع أرابيلا. ليس هنا عادلاً فعلاً، ولم تفعل هذا مع أي من صديقاته السابقات.

«ما الأمر، داف؟ تعرضت إلى الكثير من النساء، ولكن صريخين، كانت بعضهن في قمة الغباء». ضحكت دافني على صراحته. كانت هناك بعض النساء الغبيات فعلاً، جميلات وإنما غبيات، ولم تطاردن دافني أبداً أو حتى تسخر منهن.

قالت دافني على مضض: «أرابيلا مختلفة».

«نعم، إنها أكثر ذكاء ولطافة من البقية، وفي عمر أكثر حكمة. إذا، ما هي مشكلتك؟». أنزعج منها، وبدأ عليه ذلك. إنها تجعل حياة أرابيلا يائسة من دون سبب.

أجابته دافني «هذه هي النقطة، بابا، إنها أفضل من البقية... ولذلك أكرهها...».

«اشرحي ذلك لي». كان مذهولاً تماماً.

تحدثت دافني بصوت هادئ، وبدت فجأة مثل طفلة مجدداً. «أخشى

أن تبقى ملتصقة بك».

«إذاً؟ ماذا سيحصل طالما أنها لطيفة معك؟».

«ماذا لو تزوجتها؟». بدت دافني ممتزجة من الفكرة، وبدا والدها مذهولاً.

«أتزوجها؟ ولماذا أفعل ذلك؟».

«لا أعرف. يفعل الأشخاص ذلك».

«أنا لا أفضل. فعلت ذلك قبلاً وعشت التجربة. تزوجت بأملك. لدي ثلاثة أولاد رائعون. لا أحتاج إلى الزواج مجدداً. أنا وأرابيلا نستمتع فقط. هذا كل شيء. لا نتخفى الأمور كثيراً. لن نتزوج، ولم تفعل ذلك؟».

«تقول إنها تحبك، بابا». كانت عينا دافني مقوحتين على وسعهما.

«وقد سمعتك تقول لها إنك تحبها أيضاً. الأشخاص الذين يحبون بعضهم يتزوجون، ولا أريدك أن تتزوج بأحد، باستثناء ماما».

قال بطريقة بديهية: «حسناً، لن يحصل هذا، لا نريد أنا وأملك أن نتزوج، لكننا نحسب بعضنا بهذه الطريقة. وهناك مجال كبير لامرأة في حياتي، لا أريد الزواج بها، وهناك أيضاً مجال لكم جميعاً. لا حاجة إلى القلق بشأن ذلك. أقسم لك داف. لن تتريني أبداً متزوجاً. بأي كان. هل هذا أفضل؟».

«نعم، ربما». لا تزال تبدو غير واثقة. «ماذا لو بدلت رأيك؟».

عليها الاعتراف أن أرابيلا جميلة المظهر وذكية ومضحكة. تبدو نوعاً ما مثل المرأة المثالية له، وهذا ما أخاف دافني كثيراً.

«إذا بدلت رأيي، سأناقش الأمر معك أولاً. أعطوك إذن لفعل ما تشائنه لإقناعي بالعدول عن الفكرة. هل اتفقنا؟ لكن لا حاجة إلى أن نتصرفي بطريقة مزعجة مع أرابيلا الآن. ليس هذا عادلاً. إنها ضيقنا، وهي تمضي وقتاً مريعاً».

قالت دافني بإشمامة منتصرة: «أعرف». عملت بكثرة للوصول إلى ذلك.

«أنهي الموضوع. كونى لطيفة معها. إنها فتاة لطيفة. وأنت أيضاً».

«هل أنا مجبرة على ذلك بابا؟».

قال بصرامة: «نعم». بدأ يتساءل ما إذا كانت دافني ستفعل هذا مع كل نساته من الآن وصاعداً. فقد أعطت عدة ملاحظات مزعجة عن تشارلز، صديق أمها، أيضاً. يبدو أنها تريد أن يبقى والدها عازبين هذه الأيام، وليس هذا واقعياً جداً. كان بلايك سعيداً لأن ماكسين عثرت أخيراً على أحد. تستحق القليل من الراحة والصحة في حياتها. لا يكرهها أبداً على ذلك. لكن دافني تفعل من دون شك، وهي مستعدة لفعل أي شيء حيال ذلك. لا يجب أن يراها تتصرف بهذه الطريقة. لقد تحولت إلى فتاة صغيرة مزعجة بين ليلة وضحاها، وتساءل ما إذا كانت ماكسين محقة بشأن العسر. لا يتطلع أبداً إلى مواجهة الكثير من ذلك. سيصبح من الصعب جداً اصطحابها في العطلات، لأنه يحضر دوماً امرأة معه، ولا ينوي أبداً الامتناع عن ذلك.

«أريدك أن تبدلي جهداً معها الآن. من أجلي أنا». توصل إليها، ووافقت دافني على مضمض.

لم تظهر نتائج حديثه معها بصورة بديهية في الليلة الأولى. وإنما تحسنت قليلاً بعد يومين. باتت تحبب حين تتحدث أرابيلا إليها، وتوقفت عن إعطاء الملاحظات بشأن أوشامها وشعرها. هذا إنجاز على الأقل. ولم تترك أرابيلا منذ أيام. تبين له أن الرحلة باتت مصدر توتر. ولا يحصل ذلك أبداً حين يكون مع الأولاد، وشعره بالأسف تقريباً لأنه أحضر أرابيلا معه، من أجلها هي وليس من أجل أولاده.

كان يفرح بسلام مع أرابيلا بعد ظهور أحد الأيام، وتوجب عليه الاعتراف أنه من الجميل الابتعاد قليلاً عن الأولاد. توقفاً مرات عدة لالتقاط أنفاسهما في المنعطفات الصعبة، وانحنى صوبها وقبّلها. اعترفت له أرابيلا أنها بالكاد تستطيع الانتظار للعودة إلى لندن، بالرغم من أنها سعيدة

«ليس تماماً». توقفت عن إعطاء التعليقات المقتبة مثلما فعلت في البداية، لكنها نجحت في جعل حياة أرابيلا تعيشة في كل طريقة ممكنة. «أنا متفاجئ لأنها بقيت».

«أفهما إذا لم يكن لديهما أولاد. هذا مفيد دوماً»، قالت ماكسين وهزّ رأسه.

قال وهو يضحك: «ستربط أنا بيها على الأرجح بعد هذه العطلة. لا الوها. لكن هذا يناسيتي أيضاً». وأرهت ماكسين تعاطفاً معه.

«امرأة مسكينة. لا أعرف ماذا نستطيع أن نفعل. تشتهر القليات في الثالثة عشرة من عمرهن بهذا التوع من السلوك. سيؤوه الأمر كثيراً قبل أن يتحسن مجدداً».

قال بلايك فيما كان يستعد للمغادرة: «اتصلي بي حين تنتهي دراستها الجامعية». توقف أمام غرف أولاده لرويتهم جميعاً، وقبّلهم قبلة الوداع، ثم وقف أمام الباب لدقيقة مع ماكسين.

«اعتني بنفسك، ماكس. أتمنى أن يكون هذا الرجل جيداً لك. إذا لم يكن كذلك، قل لي له إنه سيضطر إلى مواجهتي».

قالت وهي تعاقبه: «قل هذا لأرابيلا أيضاً». شعرت بالأسف لأن دافني أزعجتها كثيراً خلال العطلة. «إلى أين ستذهب الآن؟».

«إلى لندن لبضعة أسابيع، ومن ثم إلى مراكش. أريد مباشرة العمل في المنزل. وهو في الواقع ليس منزلاً وإنما أئبه بقصر. عليك أن تذهبي لرويته في وقت ما». لكنها لا تعرف متى سيحصل ذلك. «ربما سأكون في سان بارتس في نهاية شهر يناير. سأخذ البخت من هناك وأجول فيه قليلاً». تعرف القصة. لن يراه الأولاد ربما قبل وقت طويل. ليس قبل العطلة الصيفية على الأرجح. إنهم معتادون على ذلك، لكنها تشعر بالحزن عليهم. فهم يحتاجون إلى رؤية بلايك أكثر مما يفعلون حالياً. «سأبقى على اتصال بكم». يفعل ذلك أحياناً ولا يفعل أحياناً أخرى، لكنها تعرف أين تجده، إذا اضطرت إلى ذلك.

بلقاء أولاده. لكنها لم تحزّ تقدماً باهراً معهم، وتشعر وكأنها تنظم لهم الأمور باستمرار. بدا جلياً أنها لا تستطيع أبداً أن تكون وداقي صديقتين. أفضل ما يمكن أن تتمناه هو هدنة صعبة، وهذا ما توصلت إليه حتى الآن. إلا أن ذلك يبقى تحسناً كبيراً في سلوك دافني نسبة إلى البداية. بلايك لا يحسد زوجته السابقة إذا كانت مضطرة إلى مواجهة ذلك كلما تواجد صديقها الحالي معها. دهل بقدره الرجول على تحمل ذلك. شك في أن أرابيلا لن تستطيع الصمود طويلاً، لو لم تتراجع دافني أخيراً.

للمرة الأولى في حياته، شعر بالارتياح لإعادتهم إلى ماكسين في نيويورك. لقد عادت من فيرمونت في ذلك اليوم، ووصلت إلى المنزل مباشرة قبل أن يوصلهم بلايك. كانت أرابيلا تنتظره في شقته، وسيفادان إلى لندن هذه الليلة.

ألقى سام فوراً بذراعيه حول امه مع صرخة فرح وكاد يوقعها أرضاً. وبنا جاك ودافني سعيدين يعودتهما إلى المنزل أيضاً.

«كيف كانت العطلة؟»، سألت بلايك بنظرة مسترخية. لاحظت في عينيه أن العطلة كانت أقل من مثالية، وانتظر حتى غادرت دافني الغرفة لإجابته.

قال منبسماً ابتسامة حزينة: «لم تكن سهلة كالمعتاد، احذري من داف، ماكس، وإلا ستحولين إلى عانس عجوز». ضحكت على التحدير. هذا آخر ما بينهما، لقد أمضت وقتاً رائعاً مع شارلز في فيرمونت. لقد عادت مسترخية وسعيدة، وأقرب إليه مما كانت إلى أي رجل منذ أعوام. إنهما متشابهان في العديد من التواحي، وهما الثنائي المثالي. فمبتاهما تتسجمان تماماً، ويحيان التدقيق في التفاصيل والترتيب والتنظيم. مع عدم وجود أي شخص آخر معهما، بدا الأمر مثالياً. سيكون التحدي في رؤية ما سيحصل حين يعود الجميع إلى المنزل مجدداً.

«هل أفسدت كل شيء؟»، استصرت ماكسين عن ابنتها. وهزّ بلايك رأسه.

قالت وهي تعانقه أمام المصعد: «اعتن بنفسك».

قال لها وعانقها: «وأنت أيضاً». ثم غادر. إنه شعور غريب بالنسبة إليها حين تقول له وداعاً. يجعلها ذلك تتساءل أحياناً ما إذا كانت الحياة ستكون هكذا لو بقيا متزوجين. كان سيقفي غائباً طوال الوقت، مثلما هي الحال الآن. ليس هذا كافياً بالنسبة إليها، أن يكون لها زوج بالاسم فقط. فما تحتاج إليه هو ما عثرت عليه أخيراً، أي رجل مثل تشارلز يبقى موجوداً على الدوام. إنه رجل ناضج تماماً.

## الفصل الثالث عشر

حين عاد بلايك وأرابيلا إلى لندن، توجب عليهما القيام بالكثير من الأشياء. لديه اجتماعات، ومسألة الاهتمام بمنزله، وعليها إنجاز رسم لشخص ما. سيمضيان أسبوعين كاملين قبل أن يتمكنوا من الخروج من المدينة. وحين فعلا، شعر بلايك بالارتياح. الطقس بارد جداً في لندن، وهو متعب من الشتاء. الطقس بارد في أسبن ونيويورك أيضاً، لكنه يستطيع التزلج على الأقل في أسبن. إلا أنه يتوق إلى الذهاب إلى المغرب. لم تذهب أرابيلا أبداً إلى هناك من قبل، ولا يستطيع الانتظار لمشاركتها الرحلة. كانت متحمسة بقدره يوم غادرا. سيقمان في لا مامونيا، وسيصطحب مهندس المعماري معه. بات لديه مخططات للمنزل، وبدت رائعة بالنسبة إليه. سيستغرق المشروع ستة كاملة على الأقل، وهذا ملائم لبلايك. القسم الأفضل هو التخطيط، وحمامة مشاهدة إنجاز العمل. ومع الفن الفني لأرابيلا، ستكون مشاركة الأمر معها ممتعة جداً. تحدثا بحماسة عن الموضوع طوال الرحلة. وضمت بحمال المكان لحظة حطت الطائرة. وصلا عند غروب الشمس، مع وهج ناعم فوق جبال الأطلس حين حلقا فوقها.

ثمة سيارة في انتظارهما لاصطحبهما إلى الفندق، وكانت أرابيلا مذهولة حين تجولا في المدينة. منارة كوتوبيا الرائعة كانت أول علامة في مراكش لفتت نظرهما، وعبيراً أمام المساحة المركزية، عند الشفق. بدا المشهد مثل ديكور لفيلم سينمائي. حتى في رحلاتها إلى الهند، بالكاد شاهدت شيئاً رائع الجمال بقدر هذا. فهناك راقصون، وبهلوانيون، وتجار يبيعون أشياء للشرب، وبغال يقودها أصحابها، ورجال في أثواب ملونة في كل مكان. إنه مشهد من ألف ليلة وليلة. أخبرها بلايك أنه يريد اصطحابها

إلى الأسواق، ولا سيما سوق الزربية، والمدينة المسورة، وحدائق المنارة، التي قال إنها أكثر مكان رومسي في العالم. ثمة جو رائع حولهما، وفيما أخفضت النوافذ الملونة لروية المشاهد بصورة أفضل، شئت رائحة القوابل والأزهار والأشخاص والحيوانات التي اجتمعت مع بعضها لتوليد هالة لها خصائصها. كانت زحمة السير حولهما مجنونة. ثمة درجات نارية وهوائية تنتقل بين السيارات، وزحمة السير خانقة وغير منظمة، فيما الأبواق تصفر، والناس يصرخون، وأضاف موسيقو الشوارع المزيد من الضجيج إلى تناثر الأصوات. التفتت أرابيلا إلى بلايك مبتسمة ابتساماً عريضة وسعيدة وكانت عينها تتلألآن. المشهد هنا أفضل من المشهد في الهند بالنسبة إليها، لأنها تتشاركه معه.

قالت بحماسة: «أحب هذا!». فيما ابتسم لها. ولم يستطع الانتظار ليربها قصره. رأى أن مراكش هي المكان الأكثر رومسية الذي زاره، وواقفت معه أرابيلا. فبالرغم من أسفارها إلى الهند، أحببت المكان هنا أكثر. تستعيد أرابيلا حيويتها في الأماكن الغربية بطرائق لم يعدها بلايك من قبل.

عبراً بين أشجار النخيل العملاقة المحيطة بجانبتي الطريق، واقتربا من القرميد مشمسي اللون للفندق لا مامونيا. سمعت أرابيلا عنه طوال سنوات، ولطالما أرادت المجيء إلى هنا، وكان القيام بذلك مع بلايك أفضل ما يمكن على الإطلاق. ألقى التحية عليهما رجال يرتدون العباءات المغربية البيضاء مع الأحزمة الحمراء، وانتهت أرابيلا إلى الخشب المحفور ونقوش الصيفساء خارج الفندق، فيما ظهر المدير. جاء بلايك إلى هنا مرات عدة من قبل منذ شرائه القصر القديم، وحجز إحدى الفيلات الثلاث الخاصة والفخمة في الفندق، والتي ما زال يحتفظ بها حتى الانهيار من إعادة ترميم وزخرفة قصره.

دخل البهو الرئيسي للفندق حيث وقفا على أرض رخامية بيضاء، موطنة برخام أسود، وفوقها تريا ضخمة ومتكيفة. دخلت القاعة عبر الأبواب الزجاجية الملونة بالأحمر والأصفر والأزرق، فيما أحاطت بهما

مجموعة من الرجال الذين يرتدون العباءات البيضاء، والسفترات الرمادية ويعتصرون القبعات الحمراء، وألقوا التحية على أرابيلا وبلايك. هناك خمسة مطاعم فخمة وخمسة مشارب تليق أنواق الضيوف، وجماعات تركية، وكل وسائل الراحة الممكنة. وحين أخذهما المدير إلى فيلا بلايك الخاصة، كانت مجموعة من الموظفين في انتظارهما هناك. تشتمل الفيلا على ثلاث غرف نوم، وغرفة جلوس، وغرفة طعام ومطبخ صغير، ومطبخ كامل منفصل ليعذ فيه الطاهي الوجبات لهما إذا لم يرغباً بتناول الطعام في المدينة أو في أي من مطاعم الفندق. لذيها مدخل خاص، وحديقة، وجاكوزي، بحيث إذا لم يرغباً برؤية أحد خلال فترة إقامتهما هنا، يستطيعان ذلك أيضاً. لكن أرابيلا متشوقة لروية المدينة معه. طلب بلايك من السائق انتظارهما إذ يريد وأرابيلا الخروج والاستكشاف، بعد تناولهما وجبة هادئة في حديقتهما، التواجد هنا رائع وغريب.

استمحا، وبدلاً ثيابهما، وتناولوا وجبة خفيفة في الحديقة، ثم خرجا معاً بدأ بيدي. مشياً في الساحة الرئيسية، وبقياً يعيدان عن الرجال الذين يقيمون عروصاً مع الأفاعي، وركباً في عربة للتجول حول أسوار المدينة. إنه كل ما أمته أرابيلا، وبعد الجلوس في الجاكوزي في حديقتهما الخاصة، واستنشاق عطر الأزهار، وتوجها إلى غرفة نومهما حيث ناما أخيراً بين ذراعي بعضهما.

في صباح اليوم التالي، حضر لهما الموظفون في الفيلا فطوراً فاخراً. عرض لهما بلايك تصاميمه للقصر الذي يعيد ترميمه، وذهبا لرويته بعد تناول الفطور. كان القصر مثلهما أكثر مما توقعته. فهو يحتوي على أبراج صغيرة وقناطر، مع قناء داخلي ضخمة وفسيفاء قديمة جميلة مرصعة في الجدران، وكانت غرف المنزل عملاقة. إنه بالفعل قصر، وتلاوات عينها بلايك حين تمشى فيه مع المهندس المعماري وأرابيلا. قدمت بعض الاقتراحات المذهلة لاختيار ألوان الطلاء والنيكور. وقبالة، فيما كان يتجول فيه، عرف أنه يريد مشاركتها معها. شذها بين ذراعيه إلى شرفة مطلة على جبال الأطلس، وقبلها بالشفق الذي طبع علاقتهما منذ البداية.

«أريد أن يكون هذا عشّ حبنا. سيكون مثاليًا لنا. يمكنك الرسم هنا». رأى نفسه وهو يمضي أشهرًا هنا دفعة واحدة بعد الانتهاء من ترميمه. إنها قرية صغيرة مثالية، مع المطاعم والأسواق والمعارض الغربية، وجمال الطبيعة خلفهما. وثمة حياة اجتماعية حيوية أيضاً. فلأربابا العديد من الأصدقاء الفرنسيين الذين انتقلوا إلى مراكش، وتناولت العشاء معهم هي وبلايك قبل أن يغادرا. كانت رحلة مذهلة.

ترك المهندس المعماري في لندن، ثم طارا إلى الأزور، ومن هناك إلى سان بارتس. أحببت أربابا منزله هناك، وأبحرا بعد أسبوع على يخته. إنه أكبر يخته رأته في حياتها، وتوجها إلى جزر الغرنادين، شمال فيزويلا. توجب عليها إعادة تنظيم كل مواعيد جلسات الرسم لتكون معه، وتساfer معه، لكن الأمر يستحق العناء. استلقت على متن اليخته معه، فيما انزلقا بهدوء عبر المياه الزرقاء الشفافة. إنه شهر فبراير، ووافقا على أنها الحياة المثالية. الثلج يتساقط في كل مكان آخر في العالم لكن الصيف لانهائي هنا. والأفضل من كل ذلك أنه صيف جيها.

كانت ماكسين تسير عبر الثلج المقدس وهي في طريقها إلى عيادتها، وكانت مشغولة أكثر من أي وقت مضى. لديها عدد من الحالات الجديدة، ومجموعة من اللقائات المدرسية في أرجاء البلاد مما أجبرها على السفر إلى مدن عدة للتشاور مع العديد من الأطباء النفسيين والسلطات المحلية حول كيفية التعاطي مع الأولاد المتأثرين.

في حياتها الشخصية، كانت الأمور تجري على ما يرام مع تشارلز. الشئاء أوشك على الانتهاء. وحتى دافني بدأت تبتدأ. قد لا تصبح أبداً وتشارلز صديقين عزيزين، لكنها توقفت عن إصدار تعليقات قاسية بشأنه. حتى إنها سمحت لها ذات مرة بالبقاء معها في أثناء تواجده، وضحكا كثيراً. إنه يبذل جهداً فائقاً مع أولادها. الأمر أسهل عليه مع جاك وسام، وقد اصطحبهما إلى عدة مباريات لكرة السلة. كانت دافني مشغولة جداً في حياتها الاجتماعية للانضمام إليهما، بالرغم من أنه دعاها هي الأخرى.

كانت ماكسين حزينة كثيراً على عدم جعلهم يعرفون مدى تقدم

علاقتها مع تشارلز. فهو لا يبقى أبداً في الشقة، إلا إذا كان الأولاد جميعهم عند أصدقائهم. تحاول البقاء في شقته مرة أو مرتين أسبوعياً، لكنها تعود دوماً إلى المنزل قبل أن ينهض الأولاد للذهاب إلى المدرسة. يجعل ذلك الليالي قصيرة لهما، مع فترات نوم قليلة جداً لها، لكنها رأت أنه من المهم فعل ذلك، وبين الحين والآخر يذهبان بعيداً لتمضية عطلة نهاية أسبوع. هذا أفضل ما يمكنهما فعله.

في الرابع عشر من شباط كان قد مرّ على تواعدهما شهران ونصف، وحجز تشارلز طاولة لهما في مطعم لا غروتسوي. إنه مطعمها المفضل للعشاء، ويطلقان عليه اسم الكافيتريا الخاصة بهما ويصطحبها إلى هناك مرة على الأقل كل أسبوع. بات يشارك بانتظام في عشاءهم العائلي ليلة الأحد، حتى إنه يطهو لهم الطعام بين الصين والأخر.

تأثرت ماكسين حين تلقت منه دزيتين من الورد الحمراء في عيادتها يوم الرابع عشر من شباط. كتب على البطاقة ببساطة «أحبك. تشارلز». إنه رجل لطيف جداً. أحضرتها سكرتيرتها لها وهي تبتسم. إنها تحب تشارلز هي الأخرى. وارتدت ماكسين فستاناً أحمر جديداً لتناول العشاء معه تلك الليلة. قال لها إنها تبدو رائعة حين جاء لاصطحبها، وابتسم سام حين قبلها تشارلز عند وصوله، لكنهم أصبحوا معتادين على ذلك الآن.

كانت سهرة مثالية، وصعد تشارلز معها إلى المنزل بعد ذلك. سبكت له كوباً من الشراب، وجلسا في غرفة الجلوس، مثلما يفعلان غالباً، يتحدثان عما يجري في حياتهما. إنه مقنون بعملها، وبعد اللقاءات المدرسية الأخيرة، يقترض أن يتحدث أمام الكونغرس مجدداً. سيذهب معها هذه المرة. أخبرها أنه فخور بها، ثم اقترب منها وأمسك بيدها. كان الأولاد نياماً جميعاً.

قال لبطافة: «أحبك، ماكسين». فابتسمت له. لقد تخطت هذا الحاجز أخبراً هي الأخرى، خصوصاً بعدما شعرت أنه يبذل جهداً حقيقياً مع أولادها.

«وأنا أحبك أيضاً تشارلز. شكراً على يوم الرابع عشر من شباط  
الرائع». لم تعش مثل هذا اليوم منذ أعوام. علاقتها مثالية بالنسبة إليها.  
ليست علاقة مبالغاً فيها، فهو لا يحتكر وقتها، وتستطيع الاعتماد على رويته  
مرات عدة في الأسبوع. يبقى لديها الكثير من الوقت لعملها وأولادها. إنه  
تماماً ما تريده.

قال بهدوء: «كان الشهران الأخيران رائعين، الأفضل في حياتي  
حسباً أظن». إنه يتشارك معها أموراً أكثر من تلك التي تشاركها مع زوجته  
طوال واحد وعشرين عاماً. أدرك منذ وقت طويل أن ماكسين هي المرأة  
التي انتظرها طوال حياته. لقد حسم أمره خلال الأسبوعين الماضيين،  
وسيتشارك أفكاره معها الليلة.

«وهما رائعان بالنسبة إلي أيضاً». قالت فيما انصتت وقلته. تركا  
الأنوار مطفأة في غرفة الجلوس، بحيث كان الجو مريحاً ورومنسياً بهذه  
الطريقة، واستطاعت تذوق طعم الشراب عن شفتيه.

«أريد تمضية المزيد من الوقت معك، ماكسين. نحتاج إلى المزيد،  
لا يمكنك الاستمرار في التهرؤ عند الساعة الرابعة فجراً حين تمضي الليل  
معاً». في الواقع، قررا ألا يفعل ذلك هذه الليلة لأنها ستعابن مرضى باكراً  
في اليوم التالي، وكذلك هو. عند الإصغاء إليه، خافت فجأة من رغبته  
بالانتقال إلى منزلها. وعرفت جيداً أن هذا سيؤد صدمة عند أولادها.  
لقد اعتادوا أخيراً على مواعدها له. لكن العيش مع بعضهما سيكون كثيراً  
بالنسبة إليهم، وليس هذا أسلوبها. تحب أن تكون لديها شقتها، ولديه هو  
شققته.

قالت بهدوء: «أظن أن الوضع مناسب في الوقت الحاضر». فهز  
رأسه.

«ليس بالنسبة إلي. ليس على المدى الطويل. لا أظن أن أياً منا يجب  
أسلوب المواعدة، ماكسين. وأظن أننا كيرران كفاية لتعرف ما تريده ومتى  
يكون ذلك صحيحاً». فتحت عينيها فيما استمعت إليه. لا تعرف ماذا تقول،

أو حتى ماذا يقول هو لها. «عرفت الأمر معك على الفور... نحن مثل  
توأمن... كلانا طبيبان. لدينا الآراء نفسها بشأن العديد من الأمور. أحب  
سحبك. أصبحت معانداً على أولادك... ماكسين... هل تتزوجيني؟»  
شفتها فجأة لما قاله، وصممت لدقيقة طويلة فيما انتظرها، وهو ينظر إليها في  
الصوت النافذ إلى الغرفة من الشارع. لاحظت الخوف في عينيها الكبيرتين.  
«ستكون الأمور على ما يرام. أعدك. أعرف أن هذا صحيح». لم تكن  
واقعة مثله. الزواج هو إلى الأبد. ظنت أنه سيكون كذلك مع بلايك أيضاً،  
ولم يحصل. كيف يمكنها التأكد مع تشارلز الآن؟

«الآن؟ الوقت باكراً جداً، تشارلز... مضى شهران فقط».  
صحح لها: «شهران ونصف، أظن أننا نعرف أن هذا مناسب».  
تعرف ذلك هي الأخرى، لكن حتى لو كان كذلك، لا يزال الوقت باكراً  
جداً بالنسبة إلى أولادها. إنها أكيدة من ذلك. لا تستطيع إخبارهم بأنها  
ستزوج به. ليس بعد. سيجن جنونهم.

قالت بهدوء: «أظن أن الأولاد يحتاجون إلى المزيد من الوقت،  
ونحن أيضاً، إلى الأبد هو وقت طويل، ولا يريد أي منا ارتكاب خطأ.  
لقد فعلنا ذلك قبلاً».

قال بهدوء: «لكننا لا نريد أن نتنظر إلى الأبد أيضاً. أريد أن أعيش  
معك، بصفتي زوجك». هذا ما ترغب به العديد من النساء. رجل يعرض  
الزواج خلال أشهر، وهو جدي في ذلك. وعرفت أن تشارلز جدي. لكن  
يجب أن تكون جدياً هي الأخرى، وليست مستعدة بعد. «ماذا تريدن أن  
نفعل؟»

إنها تفكر بسرعة. فتأجأت حين أدركت أنها لا تريد خذله، لكنها ليست  
مستعدة للزواج به بعد. يجب أن تتأكد. «أود التزيت في إخبار الأولاد  
حتى شهر يونيو. تكون قد مضت ستة أشهر على بداية علاقتنا. هذا مقبول.  
يكونون قد انتبهوا من المدرسة حينها، وإذا أصيبوا بصدمة، يمكنهم التكيف  
معها خلال الصيف. لا يزال الوقت مبكراً لإخبارهم الآن».



بدا خائب الأمل قليلاً، لكنه مدرك تماماً أنها لم تخذله، وسُرَّ كثيراً بذلك. كان خائفاً من هذا. «ومتي تتزوج؟». حبس أنفاسه، منتظراً الجواب.

«أغسطس؟ يعطيه ذلك شهرين للاعتياد على الفكرة. وهو وقت كاف للتكيف، وإنما غير كاف تماماً لاستيعاب المسألة. وهذا وقت جيد لنا أيضاً، قبل أن يعودوا إلى المدرسة.»

«هل يتمحور كل شيء في حياتك حول أولادك، ماكسين؟ أما من شيء لك أنت أو لينا؟.»

قالت بئيرة اعتذار: «لا أعتقد، لكن من المهم أن يشعروا بالارتياح حيال ذلك، وإلا سيصبح الأمر أصعب علينا»، خصوصاً عليه هو إذا عارضوا. خشيت أن يبقوا معارضين، حتى في شهر يونيو. عرفت أنهم لن يتحمسوا للأمر. فيالكاد تقلّوه، ولا يخطر في بالهم أبداً أنها ستتزوج مجدداً. توقفوا عن التلق بشان ذلك منذ البداية، حين طمأنتهم بأنها لن تفعل، وكانت تعتقد ذلك حينها. وستقلب الآن كل شيء رأساً على عقب بهذا الإعلان. «أريد أن يكون أولادي سعداء أيضاً.»

قال بصرامة: «سيكونون هكذا في النهاية، حين يعتادون على الفكرة، أعتقد أنني أستطيع انتظار الزفاف حتى شهر أغسطس، وإخبارهم في شهر يونيو. كنت أتمنى لو نستطيع إخبار الناس على الفور». ابتسم لها. «هذا مشر جداً. لكنني أقبل الانتظار!». شدّها بالقرب منه حينها، واستطاع سماع قلبها يخفق. كانت تشعر بالخوف والحماسة في الوقت نفسه. إنها تحبه، لكن هذا مختلف كلياً عن الشعور الذي عاشته مع بلايك. لكن مرة جديدة، أصبحت هي وتشارلز أكبر سناً، وهذا منطقي أكثر. تشارلز هو الرجل الصلب والموثوق به الذي أرادته دوماً، وليس رجلاً مجنوناً مثل بلايك، مهما كان جذاباً، وإنما لا تستطيع أبداً الاعتماد عليه. تشارلز ليس نذلًا، وإنما هو رجل. وكان طلبه منطقيًا، حتى لو كان مفاجئًا. فقد ضدمت حين سألها.

بدت كل الأمور مستعجلة جداً بالنسبة إلى ماكسين، لكنها وافقت معه. في عمرهما، يعرفان ماذا ينفع وماذا يريدان. فلم تبتدي المزيد من الوقت؟.

همست له «أحبك». وقبلتها.

قال لها بعد ذلك: «وأنا أحبك أيضاً، أين تريدان أن تتزوج؟».

«ماذا عن منزلي في ساوثامبتون؟». خطر في بالها حين طرح السؤال. «إنه كبير كفاية لنقيم فيه جميعاً، ويمكننا وضع خيم في الحديقة.» فهما يعرفان معاً عدداً كبيراً من الأشخاص.

«بيدو هذا مثاليًا». ذهب إلى هناك لتعضبة عطلة نهاية الأسبوع مرتين، وأحبب السكان، لكنه بدا قلقاً فجأة. «هل علينا اصطحاب الأولاد معنا في شهر العسل؟»، سأل، وضحكت هي وهزّت رأسها.

«لا، لن نفعل». ثم خاطرت في بالها فكرة. «قد يعيرنا بلايك يخته. سيكون رائعاً لشهر العسل». قلبت تشارلز حاجبيه حين قالت ذلك.

قال بصرامة: «لا أريد تمضية شهر عسلي على يخت زوجك السابق، مهما كان كبيراً. ستكونين زوجتي الآن ولست زوجته». لقد غار من بلايك منذ البداية، وتراجعت ماكسين عن فكرتها على الفور.

«أنا أسفة. هذا غباء مني.»

قال بطريفة حاملة: «ربما البندقيّة». لطالما أحب المدينة. لم تقترح عليه استعارة قصر بلايك هناك. لا شك في أن تشارلز نسي وجود ذلك القصر.

«أو باريس، قد يكون ذلك رومسيًا». إنها إحدى المدن القليلة التي لا يملك فيها بلايك منزلاً.

«ستتدبر الأمر. أمامنا وقت حتى شهر يونيو لإعداد الخطط». أراد أن يقدم لها خاتم خطوبة أيضاً، وأرادها أن تساعد على انتقاله. لكنها لا تستطيع وضعه في إصبعها قبل شهر يونيو، لأنهما لن يخبرا الأولاد قبل ذلك. أسف على ذلك. لكنه أدرك أن شهر أغسطس سيحين قبل أن يستوعبا



كان شهر مارس ضاعطاً كثيراً بالنسبة إلى ماكسين . شاركت في محاضرتين في طرفي البلاد، واحدة في سان دييغو حول تأثيرات الأبحاث الوطنية الصادمة في الأولاد ما دون الثانية عشرة من العمر، حيث كانت المحاضرة الأساسية. وواحدة ثانية حول الانتحار عند المراهقين في واشنطن العاصمة. كانت ماكسين عضواً في هيئة افتتحت المؤتمر، وألقت محاضرة منفصلة خاصة بها في اليوم الثاني للمؤتمر. ثم توجب عليها العودة بسرعة إلى نيويورك لتمضية إجازة الربيع مع أولادها. أملت في إقناع بلايك برويتهم خلال عطلة الربيع، لكنه قال إنه في المغرب، يعمل على المنزل الجديد، وهو غارق حتى أنثبه في أعمال الترميم والخطط، ومشغول جداً لأخذ إجازة. يخيب أمل أولادها وتشعر بالوتر حين تأخذ إجازة لتمضية أسبوع معهم. نتمت تيلما بمرضاها حين تفعل ذلك.

اصطحبت ماكسين أولادها إلى القزلج في نيوهمبشاير لمدة أسبوع خلال الإجازة، ولسوء الحظ، لم يستطع تشارلز مرافقتهم. إنه مشغول في مهنته، ولذلك ذهبت ماكسين إلى نيوهمبشاير مع أولادها، وصديق واحد لكل منهم، فكانوا مجموعة كبيرة. حين أخبرت تشارلز بما تفعله، اعترف لها أنه مرتاح كثيراً لانشغاله الكبير وعدم الانضمام إليهم. ستة أولاد هم أكثر مما تستطيع أصابعه التحمل، ثلاثة أولاد يبدون كثيرين بالنسبة إليه. ستة أولاد يعني الجنون. أحببت ماكسين ذلك، واتصلت به من نيوهمبشاير مرات عدة في اليوم لإعطائه التقارير. وفي اليوم الذي تلا عودتهم، غادرت للمشاركة في محاضرة في واشنطن العاصمة. جاء تشارلز لزيارتها الليلة واحدة، أخيراً اتقيا في سريرها عند منتصف الليل. كان أسبوعاً ضاعطاً كثيراً.

يشعر بالقليل من التوتر حين تكون مشغولة كثيراً، لكنه يتفهم ميدنياً. إنها امرأة صاحبة مهنة طبية متطلبية، مع ثلاثة أولاد، يتوجب عليها ترتيبهم لوحدها، من دون أي مساعدة أو توجيه من بلايك. لا تستطيع حتى الاتصال به في معظم الأوقات، لذلك لم تعد تحاول ذلك، وبانت تتخذ القرارات بمفردها.

كان بلايك متهمكاً جداً في مغامرة منزلته الأخير، وحياة المرح، فيما تعمل هي بكد وتهتم بأولادها. الشخص الوحيد الذي يساعدها هو زيلدا، ولا أحد غيرهما. شعرت ماكسين بامتنان كبير لها وبأنها تدين لها بالكثير. لا يعرف تشارلز ولا بلايك مقدار الجهد اللازم لتسيير الحياة على ما يرام ويكون أولادها في مظهر جيد. إن اقتراح تشارلز بين الحين والآخر، بضرورة أخذها شهر إجازة، للاسترخاء والتخطيط للزفاف، جعلها تضحك. ماذا؟ كيف؟ متى؟ أبداً. كانت غارقة في عملها، وعاد بلايك ليصبح الرجل غير المرئي لأولاده. لقد كان رائعاً معهم في أسبن. لكنه لا يتسوي رويتهم مجدداً قبل يوليو أو أغسطس. سيتوجب عليهم الانتظار لوقت طويل، ويبقى كل شيء على عائق ماكسين حتى ذلك الحين.

مع حلول فصل الربيع والطقس الدافئ، يانت تعانين المزيد والمزيد من الأولاد الواقعين في محنة. يستجيب مرضاها دوماً بصورة سلبية للربيع والخريف، ولا سيما أشهر مارس وأبريل ومايو ويونيو وسبتمبر. في الربيع، يبدأ كل الأشخاص الذين يعانون من كآبة الشتاء بالشعور بالتحسن، فالطقس يصبح أكثر دفئاً، والشمس تشرق، والأزهار تلتفتح، والفرح في الأجواء، ويشعر المرضى الحقيقيون بعجز أكثر من أي وقت مضى. يشعرون كأنهم مثل الصخور على الشاطئ بعد انحصار المد، ويفرقون في ظلمتهم، ويؤسهم، ويأسهم. إنه وقت خطير للأولاد المهددين بالانتحار.

شعرت بالحزن الكبير بالرغم من كل جهودها حين انتحر اثنان من مرضاها في شهر مارس، والثالث في شهر أبريل. إنه وقت مرعب بالنسبة إليها، وخسرت تيلما أحد مرضاها أيضاً، وهو شاب في الثامنة عشرة من عمره عملت معه طوال أربع سنوات، وتحطم قلبها على العائلة، وحزنت على الشاب، سبتمبر هو أيضاً شهر خطر، وأهم وقت للانتحار الصبيان المراهقين إحصائياً.

تحدثت تيلما وماكسين عن مرضاهما الذين ماتوا خلال تناولهما الغداء، وأبلغتها ماكسين خبر خطوبتها السرية. أسعدها الخبر كثيراً، وبدا مثل بارقة أمل في عالم ماكسين.

عرفاً أنها لا تستطيع وضعه في إصبعها الآن . احتفظت به في درج مقل في مكتبها في المنزل ، وكانت تخرجه لتنظر إليه ، وتجزيه كل ليلة . أحبته . إنه جميل ، ولمعت فيه العاسة بطريقة لا تصدق . بالكاد تستطيع الانتظار لوضعه في إصبعها . في الحقيقة ، إن الحصول على الخاتم جعل مشاريعها أكثر واقعية . كما أنها حدّدا موعداً مع مطعم تقديم الطعام في ساوثامبتون في شهر أغسطس . زفافهما بعد أربعة أشهر فقط . وتريد البحث عن فستان . تريد إخبار بلايك أيضاً ، وأهلها ، ولكن ليس قبل إخبار الأولاد . تشعر أنها تدب لهم بذلك .

أمضت وتشارلز والأولاد عطلة الفصح في ساوثامبتون ، وكان وقتاً رائعاً . تهامس تشارلز و ماكسين عن خطط زواجهما في الليل ، وضحكاً مثل ولدين صغيرين ، وقاما بمنزلة رومسية على الشاطئ بدأ يند فيما حرّكت دافقي عينيتها تعبيراً عن انزعاجها . كان شهر مايو حين أجرت ماكسين حديثاً جديداً على نحو غير متوقع مع زيلدا . واجهت يوماً سيئاً . ماتت صديقة لها في حادث سير ، وللمرة الأولى في حياتها ، تحدثت بحزن عن أسفها لعدم إيجابها الأولاد . تعاطفت معها ماكسين ، وتصورّت أن المسألة ستتمّ . إنه مجرد يوم سيئ .

قالت ماكسين وهي تحاول بثّ الفرح : «لم يبق الأوان بعد ، لا يزال بإمكانك التعرف إلى شخص ما وإنجاب طفل» . تأخر الوقت ، لكنه لم يفت تماماً بالنسبة إليها . «تحب النساء الأطفال في وقت متأخر عنّا كنّ يفعلن قبلاً ، مع القليل من المساعدة» . تحدثت وتشارلز أيضاً عن الموضوع ، وأحبت ماكسين ذلك ، لكن تشارلز رأى أن ثلاثة أولاد هم كفاية . شعر أنه أصبح كبيراً جداً ليجب أولاداً ، الأمر الذي اعتبرته ماكسين مؤسفاً . كانت تودّ إنجاب طفل آخر ، لو رغب هو بذلك . لكنه لا يرغب بذلك .

قالت زيلدا بطريقة صليحة : «أظن أنني أفضل التكفل بطفل ، اعتيبت بساؤلات الأشخاص الآخرين طوال حياتي . ليس لديّ مشكلة في ذلك . أحبهم كأنهم أولادي» . ابتسمت ماكسين وعانقتها . عرفت أن هذا صحيح . «يجدر بي الاستفسار ربما عن التكفل في وقت ما» ، تابعت زيلدا بطريقة

قالت تيلما وهي تبدو متحمسة لها : «واو! هذا خبر رائع!» . إنه موضوع أكثر مرحاً من السبب الذي جمعها على الغداء . «كيف سيتفاعل أولادك برأيك» . أخبرتها ماكسين أنها لن تبلغهم قبل شهر يونيو ، فيما الزواج مخطط لشهر أغسطس .

«أتمنى أن يكونوا مستعدين لسماح الخبز حينها . يحلّ يونيو بعد شهرين فقط ، لكن يبدو أنهم يتكيفون مع تشارلز شيئاً فشيئاً . يجيئون مبدئياً الأمور مثلما هي ، أن أكون أنا لهم ، من دون وجود رجل يشاركني معهم أو يعرقل سير حياتهم» . بدت ماكسين قلقة فيما قالت ذلك ، وابتسمت تيلما .

«سيجعلهم ذلك أولاداً لطفاً ومكتفين وطيبين . فمن الجيد بالنسبة إليهم أن تكوني لهم فقط ، من دون رجل يناهضهم على لقت انتباهك» .

قالت ماكسين وهي تبدو متفائلة : «أظن أن تشارلز سيكون إضافة رائعة إلى عائلتنا . إنه الرجل الذي احتجنا إليه على الدوام» .

قالت تيلما بحكمة : «سيجعل ذلك الأمر أصعب عليهم ، لو كان أحق ، لاستطاعوا جعله سخيّاً في نظرك ، ولتخلصوا منه ، وكذلك أنت . لكنه مرشح منطقي ورجل محترم . ويجعله ذلك العدو العام رقم واحد برأيهم ، لفترة معينة على الأقل . شدّي أحزمتك ، ماكس ، لأن شيئاً ما يشعرني أنك ستواجهين بعض المشاكل حين تخبرينهم . لكنهم سينخطون المسألة . أنا سعيدة فعلاً لأجلك» ، قالت تيلما مبسمة ابتسامة عريضة .

«شكراً ، وأنا أيضاً» . ابتسمت لها ماكسين وهي لا تزال قلقة بشأن أولادها . «أظن أنك محقة بشأن المشاكل . لا أتطلع كثيراً إلى ذلك ، ولهذا أجلسنا إخبارهم قدر المستطاع» . لكن شهر يونيو بات على الأبواب ، بعد شهرين فقط . كانت ماكسين قلقة بشأن الإعلان الكبير . وفي الوقت الراهن ، يجعل ذلك مشاريع زفافهما متوترة قليلاً ، ومزّة وحلوة نوعاً ما ، أو غير حقيقية إذا جاز التعبير . إلى حين إخبار الأولاد .

تعبت وتشارلز إلى متاجر كارتيه واختاراً خاتماً في شهر أبريل طلباً تعديل مقاسه ، وقدمه لها تشارلز بصورة رسمية خلال العشاء ، لكنهما

غامضة، فأوسأت ماكسين برأسها. إنه أحد الأمور التي يقولها الأشخاص حتى يشعروا بالتحسن، لكنهم لا يقصدون بالضرورة ما يقولونه. كانت ماكسين واثقة تقريباً من ذلك.

لا تعرف زيلدا أي شيء عن زواج ماكسين الوثيك. لكنهما ينويان إخبار الأولاد بعد ثلاثة أسابيع حين يتنهيون من المدرسة. كانت ماكسين قلقة من ذلك، وإنما متحمسة أيضاً. لقد حان الوقت لمشاركة الخبر المهم معهم. لم تذكر زيلدا فكرة التنقل مجدداً، وتسمت ماكسين الأمر. افترضت أن زيلدا تسمت أيضاً.

كان آخر يوم في المدرسة، في بداية شهر يونيو. حين تلقت ماكسين اتصالاً من المدرسة، كانت واثقة من أنه مجرد اتصال روتيني من نوع ما. يفترض أن يعود الأولاد إلى المنزل بعد ساعة، وهي تعانين المرضى في عيادتها. كان الاتصال متعلقاً بسام. لقد صدمته سيارة بيتما كان يعبر الشارع للذهاب إلى السيارة التي سقله إلى المنزل. ثم نقله إلى مستشفى نيويورك بواسطة سيارة الإسعاف. ذهبت معه إحدى المعلمات.

«آه، يا الله، هل هو بخير؟» وأي خير هذا وقد تم نقله بواسطة سيارة الإسعاف؟ كانت ماكسين مذعورة.

«يعتقدون أن ساقه مكسورة، دكتورة ويليامز... أنا أسفة جداً. كانت فوضى كبيرة في آخر يوم. صدم رأسه أيضاً، لكنه ظل واعياً حين أخذوه. إنه ولد شجاع». شجاع؟ للجنة عليهم. كيف يمكن أن يسمحوا بحصول ذلك لأبنها؟ كانت ترتجف حين أفلتت الخط، وعادت بسرعة إلى مكتبها. إنها تعانين فئ عصره سبعة عشر عاماً، يزورها منذ عامين، وقد تلقت الاتصال من مكتب السكرتيرة. شرحت لمرضها ما حصل. وأخبرها عن مدى أسفه. اعتذرت عن إنهاء الجلسة معه. وطلبت من سكرتيرتها إلغاء بقية المواعيد خلال بعد الظهر. أمسكت بحقيبة يدها، وأدركت أنه يجدر بها الاتصال ببلايك أيضاً بالرغم من أنه لا يستطيع فعل أي شيء. لكن سام هو ابنه أيضاً، اتصل بمنزله في لندن، وقال لها كبير الخدم إنه في المغرب وقد يكون في الغيلا في لا مامونيا. حين اتصلت بالفندق

في مراكز، أخذوا الرسالة منها لتكلم رفضوا تأكيد وجوده هناك. هانقه الخليوي محوّل إلى العجيب الصوتي. شعرت بعصبية شديدة، ثم اتصلت بتشارلز. قال إنه سيوافقها إلى غرفة الطوارئ. بعد ذلك، خرجت بسرعة من الباب.

كان من السهل العثور على سام في غرفة الطوارئ، يعاني من كسرين في الذراع والسايق، مع ضلعين مكسورين أيضاً. وارتجاج في الدماغ، وبدا وكأنه في صدمة. لم يكن حتى يبكي. كان تشارلز راعياً معه. دخل غرفة العمليات مع سام حين قاموا بتجبير ساقه وذراعه. لا يستطيعون فعل أي شيء في الضلعين باستثناء لف صدره، وكان ارتجاج الدماغ خفيفاً لصن الحظ. كانت ماكسين تتحدث غيظاً فيما انتظرت. في وقت لاحق من بعد الظهر، سمحوا لها بإعادته إلى المنزل. لا يزال تشارلز معها، وكان سام يمسك ببدي كليهما. انقلر قلبها لرؤيته على هذه الحالة، ووضعاه في سريرها. أعطياه مسكنات للألم وكان مترنحاً جداً. تأثر جاك ودافني كثيراً حين شاهدها. لكنه بخير، وعلى قيد الحياة، وستتم معالجة كل الإصابات. اتصلت الأم التي كانت ستعيده في سيارتها إلى المنزل، واعتذرت كثيراً، وقالت إنهم لم يروا أبداً السيارة قادمة. كان السائق منهاراً أيضاً. لكن ليس بقدر ماكسين. شعرت بالامتنان لأن الوضع ليس أسوأ.

بقي تشارلز في المنزل، ونام على الأريكة، وساعدها على مراقبة سام. ألقيا مواعيد مرضهما لليوم التالي، واستمرت زيلدا في زيارة الغرفة للطلمنتان على سام أيضاً. ذهبت ماكسين إلى المطبخ لتحضير كوب شاي في منتصف الليل. إنه دورها مع سام، وصادفت دافني التي حدت إليها.

«لماذا ننام هنا؟»، سألت وهي تشير إلى تشارلز.

«لأنه يهتّم بنا». كانت ماكسين متعبة، وليست في مزاج لتقبل تعليقات دافني. «كان راعياً مع سام في المستشفى. دخل غرفة العمليات معه». «هل اتصلت بأبي؟»، سألت دافني بوضوح، وضافت ماكسين ذرعاً.

«نعم، فعلت. إنه في المغرب ولا يستطيع أحد العثور عليه. لم يرد على اتصالاتي. إذاً، ما الجديد؟ هل يجب ذلك عن سواك؟». بدت دافني مجروحة حينها، وتوجهت بسرعة إلى غرفتها. لا تزال تريد أن يكون والدها شيئاً ليس عليه، ولن يكونه أبداً. جميعهم يريدون ذلك. جاك يريد أن يكون والده بطلاً، لكنه ليس كذلك. إنه مجرد رجل. والجميع، بمن فيهم ماكسين، يريدونه أن يكون مسؤولاً، وفي مكان يستطيعون العثور عليه. لكنه ليس كذلك أبداً. ولم تكن هذه المرة مختلفة. لهذا السبب تحديداً تطلقاً.

احتاجت ماكسين إلى خمسة أيام للعثور عليه في المغرب. قال إنه حصل زلزال هناك، زلزال كبير. تذكرت ماكسين فجأة سماعها هذا الخبر. لكن كل ما ركزت عليه خلال الأسبوع الماضي كان سام. كان يتألم كثيراً من ضلعيه، وعانى من الصداع أياماً عدة نتيجة ارتجاج الدماغ. لم تعد الذراع والمباقي في وضع سيئ جداً نتيجة وضعهما في جيرة. وبدا بلايك منزوعاً حين أخبرتته.

«كان جميلاً لو تواجدت في مكان ما حيث أستطيع الاتصال بك، هذا سخيف بلايك. إذا حصل أي شيء، فلا أستطيع أبداً العثور عليك». لم تكن تزح بل كانت غاضبة جداً منه.

«أنا أسف فعلاً، ماكس. تعطلت كل خطوط الهاتف. لم يعمل هاتفني الخلوي وبريدي الإلكتروني إلا اليوم. كان زلزالاً كبيراً، وقُتل الكثير من الأشخاص في قرى غير بعيدة من هنا. كنت أحاول المساعدة عبر تنظيم جسور جوية للمساعدات».

«ومنذ متى تؤدي دور الطبيب؟». كانت غاضبة منه فعلاً. تواجدت تشارلز لأجلها، وكالعادة، لم يفعل بلايك.

«إنهم يحتاجون إلى المساعدة. ثمة أشخاص يجوبون الشوارع من دون طعام والجنث منتشرة في كل مكان. انظري، هل تريدن أن أحضر لزوية سام؟».

قالت وهي تتهدأ: «لست بحاجة إلى ذلك. إنه بخير، لكن الوضع لاحقاً جميعاً. خصوصاً هو. إنه نائم الآن، لكن عليك الاتصال به بعد بضع ساعات».

قال صادقاً: «أنا أسف، ماكس، لديك ما يكفي من الهموم لمواجهة هذا أيضاً».

«أنا بخير. كان تشارلز هنا».

قال بلايك بهدوء: «أنا مسرور لذلك». وأدركت أنه يبدو متعباً أيضاً. قد يكون فعلاً متعباً في شيء مفيد في المغرب، بالرغم من أنه يصعب تصديق ذلك. «سأتصل بسام لاحقاً. قتلته بالنيابة عني».

«سأفعل».

بالفعل، اتصل بسام بعد بضع ساعات. تحسّ سام للتحدث إلى والده، وأخبره كل شيء. قال له إن تشارلز بقي معه في غرفة العمليات، وأمسك بيده. أخبر بلايك أن أمه كانت غاضبة وأن الطبيب لم يسمح لها بالدخول، وهذا ما حصل بالفعل. كاد يغى عليها بسبب قلقها على ابنها. كان تشارلز يطل اليوم. ووعده بلايك بالمجيء لزوية سام عما قريب. في ذلك الحين، كانت ماكسين قد قرأت كل شيء عن الزلازل في المغرب. كان زلزالاً كبيراً، سبب في تدمير قربتين بالكامل، وأدى إلى مقتل كل من كان فيهما. ثمة أضرار كبيرة في المدن. كان بلايك يقول الحقيقة. لكنها لا تزال غاضبة لأنها لم تستطع الاتصال به لأجل ابنتهما. هذا نموذجي في بلايك. لا يتغير أبداً. سيقتي نذلاً حتى نهاية حياته. أو وهماً على أي حال. الحمد لله أن لديها تشارلز.

بقي نائماً على الأريكة حتى نهاية الأسبوع، وكان موجوداً بالقرب منهم جميعاً كل ليلة بعد العمل، وكان طيباً جداً مع سام. انقضى أن الوقت ملائم لمشاركة مشاريعهما مع الأولاد. حان الوقت. إنه شهر يونيو، والمدرسة انتهت.

جمعت ماكسين الجميع في المطبخ صباح يوم السبت. كان تشارلز

موجوداً معها، علماً أنها لم تنتعج تماماً بأنها فكرة جيدة، لكنه أراد أن يكون موجوداً حين تخبرهم، وشعرت أنها تدين له بذلك. لقد أثبت عن حسن نواياه مع سام، ولا تستطيع صدّه الآن. يستطيع الأولاد التعبير عن آرائهم لاحقاً أمامها، إذا أرادوا قول أي شيء حول الموضوع.

بدت غامضة قليلاً في البداية، وتحدثت عن لطافة تشارلز معهم خلال الأشهر القليلة الماضية. نظرت إلى كل واحد من أولادها فيما قالت ذلك، كما لو أنها تحاول إقناعهم وكذلك تذكيرهم. لا تزال خائفة من رد فعلهم تجاه الخبر. ولم يبقَ بعدها أي شيء سوى زفّ الخير.

«لذا قررنا أنا وتشارلز أن نتزوج في شهر أغسطس». ساد صمت رهيب في الغرفة من دون أي رد فعل على الإطلاق فيما حدّثوا جميعاً إلى أهم. بدوا مثل التماثيل.

أضاف تشارلز «أنا أحب أمكم وأحبيكم». وهو يبدو رسمياً أكثر مما يريد. لكنه لم يفعل أي شيء مثل هذا من قبل، وكانوا مجموعة مرّوعة. كانت زليدا تحوم في الخلفية.

«هل تمزحين؟» كانت دافني أول من تفاعل، وأجابتها ماكسين بجدية.

«لا. نحن لا نمزح».

«بالتأكيد تعرفينه». تحدثت إلى أمها، وتجاهلت تشارلز «نحن نتواعد منذ سبعة أشهر تقريباً، ونعرف في عمرنا متى تكون الخطوة الصحيحة». كررت عبارات تشارلز، ونهضت دافني عن طاولة المطبخ، وخرجت من المطبخ من دون التفوه بأي كلمة أخرى. سمعوا باب غرفتها يغلق بقوة بعد دقيقة.

سأل جاك «هل يعرف بابا؟».

أجابته أمه «ليس بعد، أردنا إخباركم أولاً. سأخبر بعدها بابا والجدة والجدّة، لكنني أردت إبلاغكم أنتم أولاً».

قال جاك: «آه». ثم اخفتى هو الآخر. لم يغلق باب غرفته بقوة وإنما

بهدهو، وانفطر قلب ماكسين. كان الأمر أصعب مما تصورت.

قال سام بهدهو وهو ينظر إليهما معاً: «أظن أن هذا جيد، كنت لطيفاً جداً معي في المستشفى، تشارلز، أشكرك». إنه يتصرف بتهديب، وبدأ أقل انزعاجاً من الآخرين، لكنه لم يتحمس أيضاً. عرف بسهولة أنه لن يستطيع النوم بجانب أمه بعد الآن. سيأخذ تشارلز مكانه. أزعجهم الأمر جميعاً، بقدر ما هم معتبون، إذ كانت حياتهم بخير قبل تشارلز. «هل أستطيع مشاهدة التلفاز في غرفتك الآن؟»، سأل سام. لم يستقر أي منهم عن تفاصيل الزفاف أو متى سيكون بالتحديد. لا يريدون أن يعرفوا. بعد برهة، غادر سام على عكازيه بعد أن أصبح يستعملهما جيداً. بقي تشارلز و ماكسين لوحدهما في المطبخ، وتحدثت زليدا عبر الباب.

قالت بهدهو: «تهانينا، سيعدّون على ذلك. إنه نوع من الصدمة. بدأت اليك في أن هذا ما يخطر في بالكما». ابتسمت، لكنها بدت حزينة هي الأخرى. إنه تغير كبير بالنسبة إليهم جميعاً، وهم معادون على الأمور مثلما هي، ويحبونها بهذه الطريقة.

«لن يتغير أي شيء معك، زيلي». طمأنتها ماكسين. «سنحتاج إليك، ربما أكثر». ابتسمت ماكسين.

«شكراً، لا أعرف ماذا سأفعل بنفسى لو كنت لا تريدني». نظر إليها تشارلز وابتسم. بدت له امرأة لطيفة، بالرغم من أنه لا يحب فكرة مصادفتها في ثياب النوم في وقت متأخر من الليل حين ينتقل للعيش هنا. إنه يستعدّ لحياة جديدة تماماً، مع زوجة وثلاثة أولاد ومربية داخل المنزل. أصبحت خصوصيته شيئاً من الماضي. لكنه لا يزال يرى أن هذا جيد. «سينتفئ الأولاد»، طمأنتها زليدا مجدداً. «إنهم يحتاجون فقط إلى بعض الوقت». أومأت ماكسين برأسها.

قالت ماكسين ببنبرة تشجيعية: «كان يمكن أن تصبح الأمور أسوأ». قال تشارلز وهو يبدو مثبط العزيمة: «ليس كثيراً، كنت أتمنى أن يُسرَّ بعضهم. ربما ليس دافني، لكن الصبيين على الأقل».

تكرته ماكسين: «لا أحد يحب التغيير، وهذا تغيير كبير جداً بالنسبة إليهم. وبالنسبة إلينا». انحنى وقبّله، وايقم لها بحزن فيما عادت زليدا إلى غرفتها، وتركتهما لوحدهما.

قال لها: «أحبي، أنا أسف لأن أولادك انزعجوا».

«سيخطون ذلك. سيضحكون يوماً على ذلك، مثل أول لقاء لنا».

قال وقد بدا قلقاً: «ربما هذا نذير شوم».

قالت ماكسين: «لا... سيكون كل شيء رائعاً. ستري». وقبّته مجدداً. وأمل تشارلز بصمت أن تكون محقة فيما أخذها بين ذراعيه. حزن لأن أولادها لم يلحقوا لأجلهم.

## الفصل الخامس عشر

بقي الأولاد في غرفهم خلال الساعات التي تلت صدمة إعلان أهمهم زواجها بتشارلز، وقرر تشارلز الذهاب إلى المنزل. لم يتم هناك منذ أيام عدة، ورأى أن الوقت جيد لترك ماكسين لوحدهما مع أولادها. غادر، وهو لا يزال منزعجاً، وطمانته ماكسين مجدداً بأنهم سيتكيفون، لكنه لم يكن واقعياً جداً. لن يفراجه، لكنه خائف. وكذلك الأولاد.

انهارت ماكسين على كرسي أمام طاولة المطبخ بعدما غادر، مع كوب شاي، وارتاحت لرؤية زليدا تدخل المطبخ من غرفتها.

قالت لزليدا: «ثمة شخص هنا على الأقل لا يزال يتحدث إلي». بينما سكبت لنفسها كوب شاي أيضاً.

«الجو ساكن جداً هنا»، علقت زليدا فيما جلست أمام ماكسين. «سبب بعض الوقت قبل أن تهدأ الأمور».

«أعرف. أكره إغضابهم، لكنني أظن أن هذا أمر جيد». أثبت تشارلز عن حسن نواياه تجاهها مرة جديدة في حادثة سام. كان كما أملت أن يكونه، والرجل الذي تحتاج إليه في حياتها منذ سنوات.

قالت زليدا: «سيتعادون على الأمر، ليس الأمر سهلاً عليه أيضاً». وهي تشير إلى تشارلز. «تذكرني أنه لم يعيش أبداً مع أولاد». أومات ماكسين برأسها. لا يمكن الحصول على كل شيء. ولو كان لديه أولاد، ربما لما أحبوا الأمر. هذا أكثر بساطة.

حضرت ماكسين العشاء للأولاد تلك الليلة، وترك الجميع طعامهم في أطباقهم. لم يستطع أي منهم الأكل، بما في ذلك ماكسين. لم تحب النظرة على وجوههم. بدت دافني وكأن شخصاً عزيزاً عليها قد مات.



«كيف يمكنك فعل ذلك أمي؟ إنه حثير». من الفطيع قول ذلك عنه،  
وتدخل سام.

«لا، ليس كذلك. إنه لطيف معي. وكان لطيفاً معك لو لم تكوني  
مزعجة جداً معه». ما قاله صحيح، ولم تقل ذلك، لكن ماكسين وافقت.  
«ليس معتاداً على الأولاد». عرفوا جميعاً أن هذا صحيح.

قال جاك مع نظرة قلقة: «حين اصطحبتني إلى لعبة كرة السلة، حاول  
إخباري أنه يجدر بي الذهاب إلى مدرسة داخلية، هل سترسليني الآن  
أمي؟».

«طبعاً لا. ذهب تشارلز إلى مدرسة داخلية وأحبها، ولذلك يعتقد أنه  
يجدر بالجميع الذهاب. لن أرسلكم أبداً بعيداً».

علقت دافني «هذا ما تقوله الآن، انتظري حتى تتزوجي به  
ويقتك».

«إن يقتني في إرسالكم بعيداً عني. أنتم أولادي، ولستم أولاده».  
قالت دافني وهي تحذق إلى أمها: «إنه لا يتصرف بهذه الطريقة.  
يظن أنه يملك العالم».

«لا، ليس صحيحاً». دافعت عنه ماكسين، لكنها مسرورة لأن  
أولادها يعترضون عما في داخلهم. على الأقل، خرج كل شيء إلى العلن  
بينهم. «إنه معتاد على إدارة حياته الخاصة، لكنه لن يدير حياتكم. لا يريد  
ذلك، وأنا لن أسمح له».

قال جاك بطريقة ديبهية: «يكره بابا».  
«لا أظن أن هذا صحيح أيضاً. قد يغار منه، لكنه لا يكرهه».

سألت دافني باهتمام «ماذا يقول أبي براك؟ أراهن أنه سيجزّن إذا  
تزوجت، أمي».

«لا أظن ذلك. لديه عشرة ملايين صديقة. هل لا يزال مع أرابيل؟».  
لم تسمع أي شيء عنها في الآونة الأخيرة.

قالت دافني وقد بدت حزينة: «نعم، أتمنى فقط ألا يتزوجها. هذا كل

ما تحتاج إليه». بدوا جميعاً وكان شيئاً مريباً قد حصل. لم يكن الخبر جيداً  
بالنسبة إليهم. توقعت ذلك، لكن الأمر صعب على أي حال. وحده سام بدا  
وكأنه موافق، فهو يحب تشارلز أكثر من الآخرين.

اتصل تشارلز بها بعد العشاء للاطلاع على حالهم. اشتاق إليها، لكنه  
ارتاح للعودة إلى المنزل. كان الأسبوع الماضي صعباً عليهم جميعاً. أولاً،  
حدثت سام، والآن هذا. شعرت ماكسين أنها عالقة في الوسط.

قالت بطريقة منطوية: «إنهم بخير. يحتاجون فقط إلى بعض الوقت  
للاعتياد على الفكرة».

«إلى كم مثلاً؟ إلى عشرين سنة؟». كان غاضباً جداً من ذلك.  
«لا، إنهم أولاد. امنحهم بضعة أسابيع. سيرقصون في عرسنا مثل

أي شخص آخر».  
«هل أخبرت بيليك؟».

«لا. سأتصل به لاحقاً. أردت إخبار الأولاد أولاً. وسأتصل بوالدي  
غداً. سيتحسان!». التقي بهما تشارلز مرة واحدة، وأحبهما كثيراً. يحب  
فكرة الارتباط بعائلة أطباء».

افتقد الأولاد إلى الحماة لبقيّة فترة المساء. بقوا في غرفهم وشاهدوا  
الأفلام. عاد سام ليتام في غرفته مجدداً. من المضحك للتفكير، فيما استلقت  
على سريرها تلك الليلة، أنه خلال شهرين سيعيش تشارلز هنا. يصعب تخيل  
العيش مع أي كان بعد كل هذه السنوات. كان سام محقاً، فهو لن يتمكن من

النوم في سريرها. سنشتاق إلى ذلك. فبالرغم من أنها تحب تشارلز، كان  
للخبر الجيد سلبيات على الجميع، حتى عليها. هذه هي الحياة. تقايض بأشياء  
من أجل أخرى. لكن يصعب إقناع الأولاد بذلك. وحتى هي أحياناً.

اتصلت بيليك بعد منتصف الليل تقريباً، وكان هو في فترة الصباح  
بحسب التوقيت المحلي للمغرب. بدا مشغولاً وشارد الذهن. واستطاعت

سماع الآلات والصراخ في البعيد. كان من الصعب التحدث إليه.  
قالت بصوت عال: «أين أنت؟ ماذا تفعل؟».

«أنا في الشارع، أحاول المساعدة على ترتيب الأمور. أحضرنا بالطائرات بعض الجرافات لمساعدتهم، لا يزالون يخرجون الأشخاص من تحت الأنقاض. ماكس، هناك أولاد يشون هنا في الشوارع من دون أن يكون لديهم مكان يذهبون إليه. ماتت عائلات بكاملها، ولا يزال هناك أولاد يبحثون عن أهلهم. ثمة أشخاص مصابون يستلقون في كل مكان، لأن المستشفيات ممتلئة، لا يمكنك تخيل حقيقة المشهد».

قالت بحزن: «بلى، أستطيع، ذهبت إلى أماكن كوارث طبيعية في عملي. ما من شيء أسوأ».

«ربما يجدر بك الحضور إلى هنا والمساعدة. إنهم يحتاجون إلى أشخاص لتصحهم بشأن ما يجب فعله مع الأولاد، وكيفية معالجة الأمور بعد ذلك. أنت من يحتاجون إليه. هل فكرت في الأمر؟»، قال وهو يبدو كئيباً. لا يزال منزله غير مدمر، وكان باستطاعته المغادرة، لكنه أحب البلد والشعب كثيراً وأراد فعل كل ما في وسعه للمساعدة.

«سأفعل إذا طلب مني أحد ذلك. لا أستطيع السفر إلى هناك والشروع في تصحهم في ما يجب فعله».

«أستطيع أنا طلبك». أراد فعل كل ما هو ممكن.

«لا تكن سخيفاً. أفعل ذلك مجاناً لأجلك. لكنني أريد أن أعرف نوع النصيحة التي يريدونها مني. فما أفعله محدد جداً. إنه بشأن ضبط الصدمات عند الأولاد، على الفور وعلى المدى الطويل. أبلغني إذا كان في وسعي فعل أي شيء».

«سأفعل. كيف حال سام؟».

«إنه بخير. يبلى بلاءً حسناً مع عكازين». ثم تذكرت سبب اتصالها به. لقد صرف انتباهها لدقيقة بقصصه عن أضرار الزلزال. ورجع الأولاد اليتامى الذين يجوبون الشوارع. قالت برزانة: «أريد أن أخبرك أمراً ما».

«عن حادث سام؟». بدا قلقاً. لم تسمعه أبداً كئيباً هكذا. لمرة واحدة،

كان يفكر في شخص غير نفسه.

«لا. عني أنا، سأزوج. بشارلز ويست. ستزوج في شهر أغسطس». بقي صامتاً لدقيقة.

«هل غضب الأولاد؟». توقع أن يكونوا غاضبين.

«نعم». كانت صريحة معه. «إنهم يحبون الأشياء مثلما هي. لا يريدون تغيير أي شيء».

قال بلايك وهو يبدو جدياً أكثر مما كان طوال سنوات: «هذا طبيعى. لن يحبوا الأمر لو تزوجت أنا أيضاً. أتمنى أن يكون جيداً لك، ماكس». «إنه كذلك».

«إننا، تهانيتا». ضحك بعدها وبدأ كعادته. «لم أتوقع أن يحصل ذلك بسرعة هكذا. لكنه جيد لك وللأولاد. لا يدركون ذلك بعد. اسمعي، سأصل بك حين أستطيع، علي الذهاب الآن. ثمة الكثير من الأمور التي تجري هنا لأحدث معك مطولاً. اعتني بنفسك وبقية الأولاد... وماكس، تهانيتا مجدداً...». وقبل أن تتمكن حتى من شكره، كان قد أقفل الخط، فعادت إلى السريز. وهي تفكر في بلايك وسط الخراب بعد زلزال المغرب، وفي كل ما يفعله لمساعدة اليتامى والمصابين، وإزالة الركام، وإحضار الأدوية والطعام. إنه يفعل للمرة الأولى شيئاً أكثر من وهب ماله للأعمال الخيرية، إذ يتخبط في العمل بنفسه. لا يبدو مثل بلايك الذي تعرفه، وتساءلت ما إذا كان قد نضح أخيراً. إذا كان هذا صحيحاً، يكون الأوان قد فات.

اتصلت ماكسين بوالديها في الصباح، وأخيراً تحمس شخص ما للخبر. قال والدها إنه مسرور وإنه يحبه، وإن تشارلز هو الرجل الذي أمّل أن تعثر عليه وتتوجه يوماً ما. وهو مسرور لأنه طبيب هو الآخر. طلب منها تهنئة تشارلز، وقدم لها أطيب تمنياته، وهذا ما كان يجب فعله. ثم أخذت أمها الاتصال، وسألته عن كل ما يتعلق بالزفاف.

سألت، «هل تحمّس الأولاد؟». فيما ابتسمت ماكسين وهزت رأسها. لم يستوعبوا الفكرة.

«ليس تماماً. إنه تغيير كبير بالنسبة إليهم».

«إنه رجل لطيف جداً. أنا واثقة من أنهم سيسزّون على المدى البعيد بزواجك به».

قالت وهي تبدو أقل ثقة من أمها: «أتمنى ذلك».

«عليكما أن تأتيا أنتما الاثنتان لتناول العشاء قريباً».

قالت ماكسين: «نودّ ذلك». أرادت أن يتعرف تشارلز إليهما بصورة أفضل، خصوصاً وأنه ليس لديه عائلة.

من الجيد أن والديها كانا سعيدين لأجلهما، ووافقا على الفكرة. هذا مهم كثيراً بالنسبة إلى ماكسين، وأملت أن يكون الأمر هكذا بالنسبة إلى تشارلز أيضاً. سيفيد ذلك في موازنة قّة حماسة الأولاد.

تناول تشارلز العشاء معها ومع الأولاد تلك الليلة، وكانت وجبة هادئة. لم يكن هناك تعليقات مزعجة، ولم يتقوّء أحد بأي شيء، لفظه لكنهم لم يكونوا سعداء أيضاً. اكتفوا بتناول العشاء ثم توجهوا إلى غرفهم. ليست هذه هي الطريقة التي تمناها تشارلز.

أخبرته ماكسين عن اتصالها الهاتفية بوالديها، وبدا مسروراً.

قال وهو يبدو مرتاحاً: «شمة شخصان على الأقل يحبانني هنا، بجدز بنا ربما دعوتهما إلى مطعم لا غروثوي».

«يريدان دعوتنا أولاً، وأظن أن هذا ضروري». تريده أن يعاندا على تقاليدهم، ويدخله إلى عائلتها.

بعد العشاء، خطرت في بالها فكرة. فتحت درج مكتبها، وأخرجت الخاتم الذي كانت تنتظر وضعه منذ أشهر. طلبت من تشارلز أن يضعه في إصبعها، وبدا متحمساً. لقد أصبح أخيراً ما يقوله حقيقاً فعليه. إنهما مخلوبان وسيتزوجان، مهما بدا أولادها غير سعداء حيال ذلك. إنه شيء رائع، وقليلها تشارلز فيما نظرا معاً إلى الخاتم. لمع الخاتم بقوة تماماً مثل أملهما بالزواج، وحبهما لبعضهما الذي لم يخف أبداً في الأيام الأخيرة الصعبة. لم يتغير أي شيء. إنها واحدة من المشاكل التي عرفا أنهما

سيواجهانها. توقعت ماكسين ذلك أكثر منه. شعر بالسرور لأنها لا تزال تحب خانمها، وتحبه. سيتزوجان بعد تسعة أسابيع.

قالت وهي تشعر بالحماسة والشباب مجدداً: «علينا الاتهامك الآن في التحضير للزفاف». من الجميل عدم إبقاء الأمر سرّاً على أحد.

قال وهو يمازحها: «أه يا الله، كم سيكون فاجراً؟». لقد طلبت بطاقات الدعوة. ستجهز خلال ثلاثة أسابيع، لا يزال عليهما إعداد اللوائح النهائية، وتحدثت عن حجز لافتة الهدايا في متاجر تيفاني. «هل يفعل الناس ذلك في الزواج الثاني؟»، سألتها وهو يبدو متفاجساً. «السنا كبيرين قليلاً على ذلك؟».

قالت له وهي تبدو مستهترة: «طبعاً لا، لا يزال علي العثور على فستان». تحتاج إلى فستان لداقني أيضاً. خشيت ماكسين قليلاً أن ترفض حضور الزفاف، ولذلك لم تشأ الضغط عليها.

قيماً أعداً لوائح المدعوين تلك الليلة، انقفا على دعوة ما لا يزيد عن مئتي شخص إلى الزفاف، مما يتركهما مع مئة وخمسين شخصاً تقريباً، وهذا ملائم لكل منهما. وقالت إنها تريد دعوة بللايك. توقف تشارلز عند ذلك.

«لا يمكنك دعوة زوجك السابق إلى الزفاف. ماذا لو دعيت زوجتي السابقة؟».

«بعود ذلك إليك، ولا مشكلة لدي إذا كان هذا ما تريده. بالنسبة إلي، بللايك هو العائلة، وسيغضب الأولاد كثيراً إذا لم يكن موجوداً». دمدم تشارلز فيما أصغى إلى ذلك.

«ليس هذا تعريفي للعائلة الموسعة». عرف حينها أنه وقع على مجموعة غير اعتيادية من الأشخاص - ما من شيء عادي أو طبيعي فيهم، ومن الأغرب الإدراك أنه يتزوج بالزوجة السابقة لبللايك ويليامز. أخرجهم ذلك عن المعيار التقليدي. أخيراً قال: «افعلي ما تريدينه، أشعر أننا نتخطى كل الحدود هنا. من أنا لأقول لك ما يجب فعله؟ أنا العريس

فقط». كان يمزح نوعاً ما، وبدأ غريباً له أن تخبره زوجته المستقبلية بأن زوجها السابق سينزعج إذا لم تدعه إلى زواجهما، شعر أنه لا يملك أي خيار سوى الاستسلام، إلا إذا أراد مواجهة معركة شرسة، وجعل أولاد زوجته يكرهونه أكثر مما يفعلون حالياً.

سأل تشارلز وهو يبدو قلقاً «لن يسلمني إياك، أليس كذلك؟».

«طبعاً لا، أيها المخيف، سيفعل أبي ذلك». بدأ تشارلز مرثعاً. وعرفت، من دون أن يعترف تشارلز بذلك، أنه واجه يوماً مشكلة مع بلايك. يصعب على أي رجل الشعور بأنه في مستواء. لو كان المال معيار النجاح الذي يستعمله معظم الأشخاص، وكان بلايك على رأس القمة. لكن هذا لا يغير حقيقة كونه شخصاً غير مسؤول، ولطالما كان كذلك. ولم يتواجد أبداً لأجل أولاده. من المنع التواجد برفقة بلايك، ولطالما أحبته. لكن تشارلز هو الرجل الذي تريد أن تتزوج به، من دون أي شك. قبلها حين غادر تلك الليلة بعد أن ناقشا معظم التفاصيل. ضحكا بسرور فيما لمع خاتمها.

قال يهدوء: «تصبحين على خير، سيدة ويست». وبينما قال ذلك، أدركت أنها ربما قد تبقى على اسم ويليامز في العمل. سيكون معقداً جداً تغييره لكل المرضى، وفي كل الأمور المهنية التي تنجزها. هكذا، حتى لو أصبحت السيدة ويست اجتماعياً، فستبقى الدكتورة ويليامز وتحمل اسم بلايك إلى الأبد. ثمة أمور لا يمكن تغييرها.

## الفصل السادس عشر

اتصل بلايك بماكسين في العيادة بين مواعيد المرضى، وكان يوماً مجنوناً بالنسبة إليها. لقد عاينت ثلاث حالات جديدة، وكانت تتناقش للتو مع متعهد تقديم الطعام في ساوثامبتون حول سعر الخيمة لزفافهما. كان السعر مرتفعاً جداً، لكنهم يحتاجون إلى واحدة من دون أي شك. عرض عليها والهاما دفع تكاليفها، لكن في عمرها لم تشعر أنه من الملائم السماح لهما بفعل ذلك. من جهة أخرى، لم تتأ أن يتبهرها متعهد تقديم الطعام أيضاً. الخيم باهظة الثمن، خصوصاً الخيم ذات الجوانب الشفافة التي تريدها. وإلا سيصاب المدعوون برهاب الأماكن المغلقة. كانت لا تزال منزوعة حين تلقت اتصال بلايك.

«مرحباً»، قالت بفضافة. «ما الأمر؟».

«أسف ماكس. وقت سني؟»، سألته بك لاحقاً إذا أردت». ألفت نظرة سريعة على ساعتها، ولاحظت أن الوقت متأخر بحسب التوقيت المحلي للمغرب. لم تكن واقعة إذا كان قد عاد إلى لندن مجدداً، أو لا يزال هناك، لكن في كلتا الحالتين يكون الوقت متأخراً في المساء، ولاحظت من صوته أنه متعب.

«لا، لا. لا بأس. أنا أسفة. لدي بضع دقائق قبل مريضتي التالي».

هل أنت بخير؟».

«تعم». لكن ما من أحد يخبر حولي. لا أزال في إميل، على مسافة ثلاث ساعات تقريباً من مراكش. لحسن الحظ أنهم يملكون محطة إرسال للهاتف الخليوي، وإن كانت غير جيدة كفاية، بحيث أستطيع الاتصال بك. أنا منهمك مع هؤلاء الأولاد هنا، ماكس. ما حصل لهم مزيج فعلاً، لا يزالون ينتشلون الأشخاص من تحت الركام، حيث دقوا مع كل الضحايا

من عائلاتهم طوال أيام. ثمة أشخاص يجولون في الشوارع وهم يبدون مذوليين. إنهم فقراء مساكين في القرى، ومثل هذه الكارثة تقضي عليهم. يقولون إن أكثر من عشرين ألف شخص قد قتلوا».

قالت ماكسين بحزن: «أعرف، قرأت المقالات في مجلة التايمز وشاهدت التقارير على التليزيون. صدمت لأنها لم تتمكن من العثور عليه حين تأذى ابنها، لكنه يحاول فجأة شفاء جروح العالم. هذا على الأقل أفضل من تنقله بين حفلة وأخرى على متن طائرته الخاصة في كل أرجاء العالم. لم تكن مشاهد الكوارث غريبة بالنسبة إليها بسبب عملها. لكنها المرة الأولى التي تشعها فيها منزجاً جداً من شيء لا يعنيه مباشرة. لكنه يرى الكارثة عن قرب. لقد واجهت مثل هذه الظروف من قبل، في كوارث طبيعية حيث تم إرسالها لتقديم المشورة، في الولايات المتحدة وفي الخارج على حد سواء».

قال لها: «أحتاج إلى مساعدتك». كان منهكاً. بالكاد نام خلال عشرة أيام. «أحاول تنظيم مساعدة للأولاد. التقيت ببعض الأشخاص المهمين وأصحاب النفوذ هنا، منذ شرائي للمنزل. الأجهزة الحكومية ضائعة جداً بحيث يحاول القطاع الخاص رؤية ما يمكن فعله للمساعدة. تبيئت مشروعاً شخصياً للأولاد، وأنا أفقد نفسي. أحتاج إلى بعض النصائح حول نوع المساعدة التي يحتاجون إليها، على المدى البعيد والأمن. هذا هو اختصاصك بالتحديد، أحتاج إلى خبرتك، ماكسين». يدا متعباً وقلقاً وحزيباً.

تهددت بقوة فيما أصغت إليه. هذا طلب كبير. قالت له: «أود المساعدة». تأثرت بأهمية ما يقوم به، لكن عليها أن تكون واقعية حيال ذلك أيضاً. قالت بحزن: «لست واثقة تماماً من أنني أستطيع إعطاء النصائح عبر الهاتف، لا أعرف الأنظمة الحكومية المتفرقة هناك، وعليك أن تكون موجوداً لرؤية الأمور عن كثب. لا يقتصر الأمر على النظريات في مثل هذه الكوارث. عليك أن تكون موجوداً هناك، مثلما أنت الآن، لفهم الحالة والقيام بما هو مناسب».

قال لها: «أعرف، ولهذا السبب أتصل بك. لم أعرف ما يجب علي

فعله». تردد لبرهة. «هل تأتيين إلى هنا، ماكسين؟ يحتاج هؤلاء الأولاد إليك، وأنا أيضاً». ذهلت لسماح ما قاله. فبالرغم من أنه ذكر الفكرة في محادثاتها السابقة، لم يخطر لها أبداً أنه جدي كثيراً في ذلك، أو أنه سيطلب منها فعلاً الذهاب إلى هناك. جدول مواعيدها ضاغط كثيراً طوال الشهر القادم. ستذهب في إجازة، مثلما تفعل دوماً، مع الأولاد في شهر يوليو، وسيكون الزفاف في شهر أغسطس، وبانت حياتها مشحونة».

«اللجنة، بلايك... أرغب كثيراً بذلك، لكنني لا أرى كيف أستطيع فعل ذلك. أنا متهمكة كثيراً مع مرضاي في الوقت الحاضر، وبعضهم مريض جداً».

«أريد أن أرسل لك طائرتي. حتى لو بقيت فقط لمدة أربع وعشرين ساعة، ستكون مساعدتك كبيرة. أحتاج إلى عينيك هنا، بدلاً من عيني». لذي المال لإحداث فرق، لكنني لا أعرف أي شيء على الأرض، وأنت الشخص الوحيد الذي أثق به. قوتي لي ماذا أفعل هنا. وإلا، فسأكون غير مفيد البتة». لقد طلب منها شيئاً مذهلاً، ولا ترى كيف تستطيع تنفيذه. من جهة أخرى، لم يطلب منها أبداً أي شيء مثل هذا من قبل. ولاحظت أنه متورط عاطفياً تماماً في القضية. إنه مصرّ على فعل كل شيء ممكن للمساعدة، بكلتا يديه وبكل أمواله. وهذا هو العمل الذي تعتبره هي الأكثر مكافأة. لا شك في أن الانخراط في كارثة كهذه هو أمر محطّم للقلب والجسد، لكن هذا هو أكثر ما تحبه، وفرصة لها لتحدث قرأً حقيقياً. إنها فخور به لما يقوم به، ومجرد الإصغاء إليه وهو يتحدث عن الموضوع جعل الدموع تتلألأ في عينيها. تريد إخبار أولادها عن الأمر، كي يكونوا فخورين بوالدهم.

قالت ببطء: «أمنى لو أستطيع ذلك، لكنني لا أعرف متى أو كيف». كانت تؤدّ الذهاب إلى المغرب، لمساعدته وتقديم النصيحة له. إنها متعجبة بنواياه الحسنة وعمله الجدي. لاحظت أن هذا مختلف بالنسبة إليه، وأرادت مساعدته. لكنها لا ترى السبيل إلى ذلك في الوقت الحاضر».

«ماذا لو ألغيت مواعيدك ليوم الجمعة؟ أرسل الطائرة إلى هناك يوم

الخميس ، ويمكنك السفر ليلاً. يمكنك ذلك ثلاثة أيام هنا في عطلة نهاية الأسبوع . مسافرين ليلة الأحد ومعدون إلى عيادتك يوم الاثنين». كان يحاول تدبير الأمر لساعات، وساد الصمت من جهتها.

قالت بهدوء: «أنا في إجازة في عطلة نهاية هذا الأسبوع». وتولى تيلما أصلاً الاهتمام برضاها. تستطيع طلب يوم إضافي منها، لكن ماكسين أدركت تماماً أن الذهاب إلى المغرب لثلاثة أيام هو أمر يتصف بالجنون، نظراً إلى كل ما لديها من أعمال.

«لا أعرف شخصاً آخر لطلب الخدمة منه. ستدمر حياة هؤلاء الأولاد إذا لم يفعل أحد الشيء الصحيح لهم الآن. سيفقد عقل الكثيرين منهم على أي حال». لقد تعرضوا للإصابات والبرق والعمى، والضرر في الدماغ، وقدوا أطرافهم حين انهارت عليهم منازلهم ومدارسهم. كما نيتم عدد كبير منهم. شاهد مولوداً حديثاً تم إنقاذه، وهو لا يزال على قيد الحياة، فيما أخرجوه من تحت الركام، ووقف بلايك ينظر إليه ويبكي.

«أعطني ساعتين لأكثر في الأمر»، قالت ماكسين بهدوء فيما رن جرس مكتبها الداخلي لإخبارها بأن مريضتها التالية قد وصلت. «طلى التفكير في الأمر». إنه يوم الثلاثاء. إذا أرادت الذهاب، أمامها يومين لتنظيم أمورهما. لكن الكوارث الطبيعية لا تعطيك أبداً أي إنذار أو أي وقت للتخطيط. لقد غادرت قبلاً بناءً على إشعار من بضع ساعات. وتريد مساعدته، أو على الأقل إحالة شخص جيد لنصحها. ثمة جمعية ممتازة من الأطباء النفسيين المتخصصين في هذا النوع من الأمور في باريس. لكنها رأت أن الذهاب لمساعدته يثير حماسها أيضاً. ولم تفعل أي شيء مثل هذا منذ فترة. «متى أستطيع الاتصال بك؟».

«في أي وقت. لم أذهب إلى السرير منذ أسبوع. جزي هاتفي الغلوي البريطاني، واليلاك بيرري. إنها بعلان الآن، أو بعض الوقت على الأقل... وماكسين... شكراً... أحبك صغيرتي. شكراً على الاستماع والاهتمام. الآن أفهم ما تقومين به. أنت امرأة مذهلة». لديه احترام من نوع مختلف لها بعد كل ما رآه أخيراً. شعر وكأنه نضح بين ليلة وضحاها،

واستطاعت ملاحظة ذلك. عرفت أن هذا حقيقي، وثمة جانب جديد تماماً من بلايك يظهر أخيراً.

قالت بهدوء: «شكراً لك». تلالأت الدموع في عينيها مجدداً. «سأتصل بك بأسرع ما يمكن. لا أعرف إذا كنت أستطيع الذهاب، لكن إذا لم أستطع، سأعثر لك على شخص مهم يقيدك». توسلها «أريدك أنت، أرجوك، ماكسين...».

رعدته «سأحاول». أفضت الخط، وتحت الهياك لمريضتها. عليها التركيز للاستماع عن كئيب إلى ما نقوله ابنة الاثني عشر عاماً. إنها تجرح نفسها، وثمة جروح ممتدة صعوداً ونزولاً على كلتا ذراعيها. تم تحويلها إلى ماكسين من قبل مدرستها، وهي واحدة من ضحايا الحادي عشر من سبتمبر. والدها كان أحد رجال الإطفاء الذين ماتوا، وهي جزء من دراسة مستمرة تجربها ماكسين للمنيبة منذ حصول الكارثة. امتدت جلسة العلاج أطول من المعتاد، وأسرت ماكسين بعد ذلك إلى المنزل.

كان كل أولادها جالسين في المطبخ مع زيلدا حين وصلت إلى هناك، وأخبرتهم عن والدهم وما يفعله في المغرب. لمعت عيونهم فيما أخبرتهم ذلك، وذكرت لهم أنه طلب منها الانضمام إليه. نحسوا لسماع ذلك، وقالوا لها إنهم يتمنون ذلك.

«لا أرى كيف أستطيع فعل ذلك»، قالت وهي تبدو متوترة وشاردة الذهن، ثم خرجت من المطبخ للاتصال بتيلما. لا تستطيع العمل بدلاً من ماكسين يوم الجمعة لأنها تدرس صفاً في كلية الطب في جامعة نيويورك هذا اليوم، لكنها قالت إن شريكها تستطيع العمل بدلاً من ماكسين في هذا اليوم، إذا سافرت. وسفعل تيلما في عطلة نهاية الأسبوع على أي حال.

أجرت ماكسين بعض الاتصالات الإضافية، وتحققت من كمبيوترها للاطلاع على مواعيدها يوم الجمعة، وأتخذت قرارها عند الساعة الثامنة. لم تتوقف حتى لتناول العشاء. هذا أقل ما يمكنها فعله، ويسهل عليها بلايك الأمر بإرسال طائرته إليها. هذه هي الحياة، أدركت أن بلايك فهم ذلك

ربما في النهاية. احتاج إلى وقت طويل لفعل ذلك. في السادسة والأربعين من عمري، بدأ يتحول إلى إنسان حقيقي.

انتظرت حتى منتصف الليل للاتصال به. إنه الصباح الباكر في المغرب. جرت مرات عدة على هاتفه الخليوي، أخيراً تجذت في العنور عليه. بدأ مرهقاً أكثر مما كان في اليوم السابق. أخبرها أنه بقي مستيقظاً طوال الليل، مرة جديدة. عرفت ماكسين أنها الطبيعية في مثل هذه الظروف، وهذا ما يقوله أي كان. إذا ذهبت، ستفعل ذلك أيضاً، كي لا تخسر وقتاً إضافياً أكثر من الذي خسروه أصلاً. لا وقت لتبديده أو تخصيصه للأكل أو النوم. يعيش بلايك ذلك الآن.

تحدثت مباشرة في الموضوع، «سأتي». بدأ يبكي حين قالت ذلك. إنها دموع الانزعاج، والأرهاق، والزعج، والامتنان. لم يعيش أبداً مثل هذه التجربة من قبل. «أستطيع الذهاب ليلة الخميس»، تابعت.

«الحمد لله... ماكسين. لا أستطيع شكرك كفاية. أنت امرأة مذهلة. أحبك... شكراً لك من كل قلبي». أخبرته عن نوع التقارير التي ستحتاج إليها حين تصل إلى هناك، وما تريد رويته. يعود إليه جمعها بالمسؤولين الحكوميين، وإيصالها إلى المستشفيات، ومساعدتها على لقاء أكبر عدد ممكن من الأولاد، حيث هم مجتمعون. تريد الاستفادة قدر الإمكان من كل دقيقة تتواجد فيها هناك، وأراد بلايك ذلك أيضاً، وعدها بالاهتمام بكل شيء من جهته، وشكرها عشرات المرات قبل أن يفتلا الخط.

قالت دافني بدهوه حين أقلت أنها السماعة: «أنا فخورة بك أمي». كانت تقف عند الباب، تستمع إلى الحديث، وانهمرت الدموع على وجنتيها.

وقفت ماكسين وجاءت لمعانقتها «شكراً حبيبي، أنا فخورة بوالدك أيضاً. لا يعرف أي شيء عن هذا الموضوع، وهو يبذل كل ما في وسعه». لاحظت دافني بوضوح في إحدى تلك اللحظات النادرة الخاصة أن والديها شخصان طيبان، وأثر ذلك فيها، تماماً مثلما أثر اتصال بلايك في ماكسين.

تحدثنا عن الأمر لبعض الوقت، فيما أعدت ماكسين لوائح سريعة بما تحتاج إليه للرحلة. أرسلت بربداً إلكترونياً إلى نيلما تؤكد لها فيه أنها مسافرة وتحتاج إلى شريكها للعمل مكانها يوم الجمعة.

أدرت ماكسين أنه عليها الاتصال بشارلز أيضاً. كانا يتويان تمضية عطلة نهاية الأسبوع في ساوثامبتون والاجتماع بمتعمد تقديم الطعام وبيع الأزهار. يستطيع فعل ذلك من دونها، أو يمكنهما تأجيل المسألة لأسبوع. لن يحدث ذلك فرقاً كبيراً، لأن الزفاف بعد شهرين. لكن الوقت متأخر جداً للاتصال به هذه الليلة. استلقت على سريرها، وبقيت مستيقظة لساعات طويلة، تفكر في كل ما تريد القيام به حين تصل إلى المغرب. فجأة، أصبح هذا مشروعها أيضاً، وامتثت لبلايك لأنه يتشاركه معها. بدأ وكان المنتهى رن بعد خمس دقائق من خلودها إلى النوم. اتصلت بشارلز مباشرة بعد الظهور. لم يغادر بعد إلى عيادته، وعليها التواجد في عيادته بعد عشرين دقيقة. بما أن المدرسة انتهت، لا يزال الأولاد نياماً، وكانت زيلي ترتب المطبخ وتستعد للقوضى التي ستحصل لاحقاً.

قال بسعادة: «مرحباً ماكسين». وبدأ مسروراً لسماعها حين أجاب. «هل كل شيء بخير؟». تعلم أن الاتصالات منها في أوقات غير اعتيادية لا تعني دوماً أخباراً جيدة. لقد علمه حادث سام الأخير ذلك. تكون الحياة مختلفة عند وجود الأولاد. «هل سام على ما يرام؟».

«إنه بخير. أردت فقط إبلاغك آخر الأخبار. عثي السفر في عطلة نهاية الأسبوع». بدت مستعجلة وأكثر فظاظاً مما أرادت، لكنها لم تشأ التأخر على عيادتها، وعرفت أنه لا يزيد التأخر هو الآخر. إنها دقيقان جداً في المواعيد. «عثي إلغاء اللقاءات مع متعمد تقديم الطعام وبيع الأزهار في ساوثامبتون، إلا إذا أردت الذهاب من دوني. وإلا، أستطيع فعل ذلك في الأسبوع المقبل. أنا مسافرة». أدرت أن كلماتها وعباراتها غير مترابطة.

«هل من مشكلة؟». إنها تسافر للمشاركة في محاضرات طوال الوقت، لكن نادراً ما يحصل ذلك في عطلات نهاية الأسبوع، التي تعتبرها نوعاً ما

مخصصة فقط لأولادها. «ما الأمر؟». بدأ مرتبكاً.

قالت بفضافة: «أنا مسافرة إلى المغرب للقاء بلاك».

«أنت ماذا؟ ماذا يعني ذلك؟». كان مذهولاً ولم يحب ما سمعه على الإطلاق. سارعت ماكسين إلى الشرح.

«ليس هكذا. كان هناك حين تعرضوا لزلزال كبير. إنه يحاول تنظيم فرق إنقاذ، وتأمين المون للأولاد. يبدو الأمر وكأنه فوضى كبيرة، ولا يعرف ماذا يفعل. إنها تجربته الأولى في مثل هذا النوع من العمل الإنساني. يريد مني الذهاب، لمعاينة بعض الأولاد، واللقاء بمختلف الوكالات الدولية والحكومية المهمة بالموضوع، وإعطاء بعض النصائح». جعلت الأمر يبدو وكأنه طلب منها إحضار خمسة من السوبرماركت. بدأ تشارلز مصدوماً.

«أنت تفعلين هذا لأجله؟ لماذا؟».

«ليس لأجله. إنه أول دليل على تحوله إلى كائن إنساني وشخص ناضج منذ ستة وأربعين عاماً. أنا فخورة به. وأقل ما أستطيع فعله هو إعطاؤه بعض النصائح، ومساعدته».

قال تشارلز بغضب شديد: «هذا سخيف، ماكس، لديهم الصليب الأحمر. لا يحتاجون إليك».

قالت بانفعال: «عمل الصليب الأحمر يختلف عن عملي، أنا لا أخرج التاجين من تحت الأنف، أو أقود سيارة إسعاف، أو أعالج المصابين. أنا أنصح الحكومات حول كيفية التعاطي مع الصدمات عند الأولاد. هذا هو بالضبط ما يحتاجون إليه. سأغيب فقط لثلاثة أيام. سيرسل إلي الطائرة».

«وهل ستمكثين معه؟»، سأل تشارلز وهو يبدو مشككاً. تصرف كما لو أنها قالت له إنها ستقوم برحلة بحرية مع بلاك على متن يخته. لقد فعلت ذلك قبلاً، مع الأولاد، لكنه كان غير مؤذ. وتشاركا بصحبة الأولاد، مما برّر كل شيء تقريباً بالنسبة إليها. لكن الأمر مختلف الآن على أي حال،

سواء أتقن تشارلز ذلك أم لا. هذا عمل، وهذا فقط. لا شيء آخر.

«أظن أنني لن أمكث في أي مكان، إذا كان الشهيد مائلاً لمشاهد الزلازل الأخرى في المناطق التي زرتها قبلاً. سأختم في شاحنة، وأنام بالكاد في أي مكان أتواجد فيه. لن أرى حتى بلاك على الأرجح حين أصل إلى هناك، أو ليس كثيراً». بنا سخيفاً لها أن يغار تشارلز بهذه الطريقة من أمر بدبيهي وبري مثل هذا.

قال بغضب: «لا أظن أنه يجدر بك الذهاب». كان يتحدث غيظاً.

قالت ماكسين ببرود: «ليست هذه المسألة، وأنا أسفة لأنك تشعر بهذه الطريقة، لا شيء يدعو إلى القلق، تشارلز»، قالت وهي تحاول أن تبدو لطيفة ومتفهمة للموضوع. إنه يغار. وهذا جميل. لكنه أخذ اختصاصاتها ونوع العمل الذي تمارسه في كل أنحاء العالم. «أحبك. لكنني أربح بالذهاب والمساعدة. إنها مجرد مصادفة أن يكون الشخص الذي طلب مني السفر هو بلاك. كان يمكن لأي من الوكالات المهمة أن تتصل بي أيضاً».

«لكنها لم تفعل. هو الذي فعل. ولا أرى سبباً لذهابك. بالله عليك، حين أصيب ابنته، احتجت إلى أسبوع تقريباً للعثور عليه».

قالت وهي تبدو يائسة: «لأنه كان في المغرب، وتعرضوا لزلزال». بدأ لها الأمر غير منطقي أكثر فأكثر.

«نعم، وأين كان في الثغرات الأخرى من حياة أولاده؟ في الحفلات وعلى البحوت وكان مشغولاً ببطارية النساء. أخبرتني بنفسك أنه لا يمكنك العثور عليه أبداً، وليس هذا بسبب الزلازل. الرجل أحمق ماكس. وأنت تجتازين نصف العالم لجعله يبدو طيباً فيما ينقذ مجموعة من التاجين من الزلازل؟ من فضلك، أرجوك، لا أريدك أن تذهبي».

قالت ماكسين عبر أسنانها المليقة: «أرجوك لا تفعل هذا، أنا لا أحب مع زوجي السابق في عطلة نهاية أسبوع غير شرعية. أنا ذاهبة لتقديم المشورة بشأن استهلال برنامج لآلاف الأولاد الذين أصبحوا يتامى،



ومصابين ، ومعرضين للصدمة لبقية حياتهم إذا لم ينجز أحد الشيء الصحيح في البداية . قد لا يحدث ذلك فرقاً كبيراً ، بحسب كيفية تطبيق البرنامج ، ونوع الاعتمادات المتوافرة لديهم ، لكنه يحقق شيئاً على الأقل . هذا هو اهتمامي الوحيد ، وليس بلايك ، أي مساعدة هؤلاء الأولاد قدر المستطاع .  
أوضحت له الأمر تماماً ، لكنه لا يستوعب . أبداً .

قال وهو غاضب أكثر من قبل : «لم أكن أعرف أنني سأتزوج بالأمر تيريزا» . مما أثار حزن ماكسين وإحباطها . فأخبرته تريده هو شجار مع تشارلز بسبب ذلك . هذا غير مجدٍ ، ويضيف من صعوبة الأمور بالنسبة إليها . لقد أعطت التزاماً لبلايك ، وستأقفر . هذا ما أرادت فعله ، سواء أحبب تشارلز ذلك أم لا . فهي ليست ملكاً له ، وعليه احترام عملها ، وحتى علاقتها مع بلايك ، مثلما هي . تشارلز هو الرجل الذي تحبه ، وهو مستقبلها . أما بلايك فهو ماضيا ووالد أولادها .

«أنت تتزوج بطبيعية نفسية متخصصة في الانتحار عند المراهقين ، مع اختصاص فرعي في الصدمات عند الأولاد والمراهقين . أظن أن هذا واضح تماماً . الزلزال في المغرب من ضمن اختصاصي . السبب الوحيد الذي أزعجك في ذلك هو بلايك . هل يمكننا التصرف كراشدين؟ ما كنت لأحدث جلبة لو أنت فعلت ذلك . لماذا لا تكون منطقياً معي؟» .

«لأنني لا أفهم نوع العلاقة التي تربطك به ، وأظن أن هذا مرفق . أنتما لم تطلعا الصلة أبداً بينكما ، وقد تكونين طبيبة نفسية ، تكتورة ويليامز ، لكنني أظن أن صلتك بزوجك السابق لا تزال قوية ، وهذا ما أظنه» .

«شكراً لك على رأيك ، تشارلز . سأخذه في الاعتبار في وقت لاحق .  
والآن ، تأخرت على مرضاي ، وسأسافر إلى المغرب بعد ثلاثة أيام . لقد التزمت ، وأود تنفيذ التزامي . وأقدر لو كنت أكثر نضوجاً حيال ذلك ، وبتق بعلاقتي مع بلايك» . بدأت ترفع صوتها ، وكذلك هو . إنها يتشاجران . بشأن بلايك . هذا جنون .

«لا أهتم لما تفعلينه ، ماكسين . لكنني أستطيع أن أقول لك شيئاً واحداً

وهو أنني لن أتحمل هذا النوع من الأمور بعد أن تنزوج . إذا أردت الذهاب إلى أماكن الزلازل والتسونامي والله أعلم ماذا في النصف الآخر من العالم ، لا مشكلة أبداً معي . لكن لا تخططي لفعل ذلك مع زوجك السابق وتتركيني أنا هنا . أظن أن هذا عذر له كي يأخذك إلى هناك ويبقي معك . لا أظن أن لهذا علاقة أبداً بالأيام المعارة أو أي شيء من هذا القبيل . فالرجل ليس إنسانياً كفاية للاهتمام بأي كان سوى نفسه ، وقد أخبرتني ذلك بنفسك . إنه مجرد عذر وأنت تعرفين ذلك» .

قالت بهدوء : «تشارلز ، أنت مخطئ ، لم أعرفه أبداً وهو يفعل شيئاً من هذا قبلاً ، لكن عني احترام ما يقوم به . وأود مساعدته إذا استطعت . أنا لا أساعده هو . أنا أفعل ما أستطيع من أجل أولئك الأولاد . حاول أن تفهم هذا أرتجوك» . لم يجيبها ، وكانا غاضبين . أزعجها أنه أحدث جلبة كبيرة بشأن بلايك . سيجعل الأمور صعبة عليها وعلى الأولاد في المستقبل إذا لم يتجاوز ذلك . أملت أن يفعل هذا عما قريب . في غضون ذلك ، ستهذب إلى المغرب . إنها امرأة تلتزم بكلماتها . وتأمل أن يبدأ تشارلز . أقلل الخطأ ، من دون أن تحل المشكلة بينهما .

وقفت ماكسين تحديق إلى الهاتف لبرهة بعد ذلك ، وهي غاضبة من المحادثة . وفزت عند سماع الصوت خلفها . هي عزَّ شجارها مع تشارلز ، لم تسمع ذاتي وهي تدخل ، قالت ذاتي بصوت جدي «إنه أحق ، لا أصدق أنك ستتزوجين به أمي . وهو يكره أمي» . لم توافقها ماكسين الرأي ، لكننا نستطيع فهم سبب شعور ابنتها .

«لا يفهم نوع العلاقة التي تربطني به . لا يتحدث أبداً إلى زوجته السابقة . ليس لديهما أولاد» . لكن الأمر أكثر من ذلك مع بلايك . فيمتريقتهما ، لا يزالان يحيان بعضهما ، وإنما تحول الحب إلى شيء آخر ، إلى نوع من الرابطة العائلي الذي لا تريد خسارته . وهي لا تريد كشف أرواقها أمام تشارلز بسبب ذلك . تريده أن يفهم ، لكنه لم يفعل .

«هل لا تزالين مسافرة إلى المغرب؟» ، سألت ذاتي بعينين قلقتين . رأت أنه يجدر بأبها الذهاب ، لمساعدة والدها وكل أولئك الأولاد .

«نعم، سأفعل. أتمنى فقط أن يبدأ تشارلز».

قالت دافني: «ومن يهتم؟». وهي تسكب حبوب الذرة في وعاء، فيما بدأت زبلي تحضر لها الفطائر المغلية كي تتناول فطورها.

قالت ماكسين بصراحة: «أنا أهتم، أحب تشارلز». وأملت أن يفعل أولادها ذلك أيضاً في يوم من الأيام. ليس مستغرباً أن يكره الأولاد زوج الأم أو زوجة الأب، خصوصاً في هذه الأعمار. ما من شيء غير اعتيادي في ذلك، لكن يصعب التعايش مع الأمر.

تأخرت ماكسين نصف ساعة على عيادتها، واستمرت في التأخر طوال اليوم. لم يكن لديها الوقت للتحدث إلى تشارلز مجدداً. كانت عارقة في العمل، تعان المرضى، وتلغي المواعيد الممكنة لنهاية الأسبوع. اتصلت بتشارلز ما إن عادت إلى المنزل، وأنبطت حين وجدت أنه لا يزال غاضباً. طمأنته قدر الإمكان، وسألته إذا كان يريد المجيء لتناول العشاء. أذهلها بقوله إنه سيراهما حين تعود. إنه يعاقبها على الرحلة التي ستقوم بها بناءً على طلب بلايك، ولا يريد أن يراها قبل أن تغادر.

قالت بلطافة: «أود أن أراك قبل أن أعود». لكن تشارلز لم يكن مستعداً للاستسلام. لم تشأ المغادرة وهي تعرف أنه لا يزال غاضباً منها، لكنه رفض التراجع. اعتبرت ماكسين تصرفه طغواً، لكنها قررت تركه ليهدأ خلال سفرها. ما من خيار آخر. وحين اتصلت به لاحقاً، وجدت أنه أقل هاتفة. إنه شديد الغضب، ويتنفس عن غضبه بتوبيخها.

تأملت عشاء هادئاً مع أولادها تلك الليلة، وبعد يوم مجنون آخر في العيادة تهازل الخميس، اتصلت بتشارلز مجدداً في المساء قبل أن تغادر. أجاب هذه المرة على هاتفة.

قالت بأكثر قدر ممكن من الهدوء: «أردت فقط أن أودعك، أنا مغادرة إلى المطار». ستطير من نيويورك حيث يركن بلايك دائماً طائرته.

قال تشارلز بطريقة جافة: «اعلني بنفسك».

قالت وهي تحاول أن تكون إيجابية: «أرسلت إليك عبر البريد

الإلكتروني رقم الهاتف الخليوي والبرلاك بريدي الخاصين ببلايك، ويمكنك تجربة هاتفي الخليوي. أظن أنه سيعمل في أثناء وجودي هناك».

قال تشارلز بنبرة غامضة: «إن أتصل بك على هاتفي الخليوي». لا يزال مستاءً لأنها مسافرة. ستكون عطلة نهاية أسبوع بانسة بالنسبة إليه. إنها تفهم السبب، وشعرت بالسوء حيال ذلك، لكنها أسفت لأنه لم يستطع تقيّل المسألة وتفهمها. إنها متحمسة الآن للرحلة ولما تقوم به. هناك دوماً نوع من الحرفية المهنية في هذه الأوضاع، بالرغم من أنها محزنة جداً. إلا أن المساعدة في كوارث طبيعية كهذه تجعل الشخص يشعر أن لحياته معنى. عرفت أن هذا جيد لبلايك أيضاً، وهذه سابقة بالنسبة إليه، وهذا جزء من سبب سفرها. لا تريد أن تخذله، وتريد تعزيز المنحى الجديد الذي تتخذه حياته. هذا كثير حتى يفهمه تشارلز. ودافني محقة. إنه يكره بلايك، وهو يغار منه منذ البداية.

طمأنته ماكسين «سأحاول الاتصال بك، وتركت لزيلى أرقامك في حال حصل أي شيء هنا». افترضت أنه سيكون في المدينة لأنها لن تكون معه.

«في الواقع، أفكر في الذهاب إلى فيرمونت»، أجاب تشارلز. الطقس جميل هناك في يونيو. كانت تود لو أنه أقام علاقة ودية مع أولادها بحيث يستطيع رويتهم حتى من دونها، خصوصاً وأنه سيصبح زوج أمهم في غضون شهرين، لكنه لم يفعل. وعرفت أنه في غيابها، لا يريد الأولاد أن يروه. هذا مخزٍ. لا تزال أمامهم طريق طويلة قبل أن تهدأ الأمور بينهم. يحتاجون إليها لتكون الجسر بينهم. قال لها قبل أن يفتلا الساعة: «انتهبي». فمواقع الكوارث مثل هذه قد تكون خطيرة. وهذه شمال أفريقيا، وليست أوهايو».

«سأفعل، لا تقلق». ابتسمت. «أحبك تشارلز. سأعود يوم الاثنين». كانت حزينة حين أظفت الساعة. لا شك في أن سفرها شكّل هزةً بينهم، أمست ألا يحصل المزيد من ذلك، وأسفت لأنها لم تره قبل أن تغادر لأنه رفض ذلك. بدا لها تصرفاً سخيفاً وطفولياً أن يكون عنيداً كثيراً حيال ذلك.

ذهبت لتقبيل أولادها وتوديعهم ، وقالت لنفسها في النهاية، إنه مهما تقدموا في العمر أو ادعوا أنهم كباروا، يبقى كل الرجال أطفالاً.

## الفصل السابع عشر

أقلعت طائرة بلايك من مطار نيويورك ليلة الخميس ، مباشرة بعد الساعة الثامنة مساء . جلست ماكسين يارنباخ على أحد المقاعد الفخمة ، وكانت تنوي استعمال إحدى غرفتي النوم للاستمتاع بنوم هائئ في الليل . تحتوي الغرفتان على أسرة كبيرة ، مع شرائف جميلة ، وبطانيات ، ووسادات كبيرة ومريحة . أحضرت لها إحدى المضيفتين وجبة خفيفة ، وبعد فترة وجيزة من ذلك ، عشاء خفيفاً من السلمون المدخن وعجة البيض التي تم تحضيرها على متن الطائرة . أعطاهما الطيار تفاصيل الرحلة التي قد تستغرق سبع ساعات ونصف . سيصلون في تمام الساعة والنصف صباحاً بحسب التوقيت المحلي ، وسيكون في انتظارها سائق وسيارة جيب لاصطحابها إلى القرية خارج مراكز حيث أنشأ بلايك وعدد من عمال الإنقاذ الآخرين مخيماً . كما أن الصليب الأحمر الدولي موجود هناك بكل قواء .

شكرت ماكسين الطيار على المعلومات ، وتناولت الوجبة الخفيفة ، وذهبت إلى السرير في تمام التاسعة . عرفت أنها تحتاج إلى كل الراحة الممكنة قبل أن تصل إلى هناك ، وبسهل فعل ذلك في طائرة بلايك الفخمة . كانت مؤنثة بطريقة جميلة بالأقمشة والريش البيج والرمادي . ثمة بطانيات من الكشمير على كل مقعد ، وأرائك من الموهير ، وسجادات سمكية من الصوف الرمادي في كل أرجاء الطائرة . الفرقة ملونة بالأصفر الباهت ، وضعت رأسها على الوسادة ، ونامت في غضون لحظات . نامت مثل الطلقة لسبب ساعات ، وحين استيقظت ، استلقت على السرير ، وراحت تفكر في تشارلز . لا تزال منزعجة لأنه غاضب جداً منها ، لكنها عرفت أن السفر إلى المغرب هو القرار الصحيح .

مَسَّطت شعرها ، ونظفت أسنانها ، وانتعلت جزمها السمكية . لم

قتلوا، هنالك الآلاف من الضحايا، وأصيب الكثيرون. تحدثت عن جثث ملقاة في الشوارع، لا تزال تنتظر من يدفنها، ما عني لما كسيت أمراضاً وأوبئة في المستقبل القريب. لا حاجة إلى أن يكون المرء طبيباً ليعرف ذلك، وأدرك سائقها هذا أيضاً.

استغرقت الطريق ثلاث ساعات من مراكش إلى إمليل، احتاجت إلى ساعتين للوصول إلى بلدة اسمها أسلي، في جبال الأطلس، وقرابة الساعة للوصول إلى إمليل عبر الطرقات الوعرة. كان الطقس في الطريق إلى إمليل أكثر برودة مما هو في مراكش، وبدا المشهد الريفي بالثاني أكثر اخضراراً. ثمة قرى بيوتها من الطين والقرميد، وقطعان ماعز، وغم، وديجاج على الطرقات، ونساء وأولاد يحملون حزمًا من الحطب على رؤوسهم. ثمة معالم أكواخ مدمرة، حيث تبدو آثار الزلزال من أسني إلى إمليل واضحة، وممرات للمشاة بين القرى التي دُمّرت بمعظمها. هناك شاحنتان مكشوفتان تنقل الأشخاص من قرية إلى أخرى.

حين اقتربت سيارة الجيب من إمليل، لاحظت ماكسين أكواخاً طينية مسطحة في كل مكان، مع رجال يبحثون في الزكام عن ناجين، وكان البعض يقومون بأعمال البحث بأيديهم من دون أي معذات مساعدة بسبب نقص الأدوات اللازمة لفعل ذلك. نبشوا الأنقاض بحثاً عن أجباب لهم وناجين، وهم يكون غالباً، فيما شعرت ماكسين بالدعم بخير عينيها. يصعب عدم التعاطف معهم، فيما شعرت وأدركت تماماً أنهم يبحثون عن زوجاتهم وأولادهم وأقاربهم وأهلهم. ذكرها ذلك بما سترأه حين تتلقى أخيراً بيلايك.

حين وصلا إلى ضواحي إمليل، شاهدت أفراد فريق الصليب الأحمر الدولي والهلال الأحمر المغربي يساعدون الأشخاص قرب منازل الطين المسواة بالأرض. بدا وكأنه لم يعد هناك أي متشآت على حالها، فيما جال منات الأشخاص على جانبي الطريق. كانت هناك بضعة بقايا، وبعض أنواع المشايبة الأخرى التي تعيق غالباً حركة السير على الطريق. كان عبور الأميال الأخيرة إلى إمليل بطيئاً جداً. ثمة رجال إطفاء وجنود يعملون

استعملها منذ فترة، واحتفظت بها في الحجة الخلفية من خزانتها حيث تحتفظ بالملابس الخاصة بمثل هذه الأوضاع. لقد حضرت معها ثياباً ترتديها عندما تذهب إلى المناطق الوعرة، وشكّيت في أنها ستقام بما ترتديه خلال الأيام القليلة المقبلة. إنها متحمسة فعلاً لما ستقوم به، وأمّلت أن تتمكن من إحداث فرق، وتساعد بيلايك نوعاً ما.

خرجت من غرفة النوم وهي تبدو نضرة ومرتاحة، واستمعت بالفطور الذي قدمته لها المضيئة. هناك كرواسان، وخبز إفنجي، ولبن، وسلّة من الفاكهة الطازجة. طالعت قليلاً بعدما تناولت الفطور فيما بدأت الطائرة بالهبوط. وضعت شعار مهنة الطيابة على طيّة سترتها للتعريف عن نفسها كطبيبة في موقع الكارثة. كانت مستعدة لمباشرة العمل حين هبطوا، فيما شعرها مربوطة في جدية مرتبة، وقد ارتدت قميص سافاري تحت كسرة سمكة. أحضرت معها قميصاً قطنياً وسترة سمكة أيضاً، تحقق لها جاك من حالة الطقس عبر الإنترنت قبل أن تحوّل أعراسها، كذلك أحضرت معها حاوية ماء مملّتها بماء إقايان قبل أن تغادر الطائرة، كانت لفازات العمل مثبتة بخزامها، والأقنعة الجراحية والقفازات المطاطية في جيوبها. إنها مستعدة للعمل.

مثلاً وعدها بيلايك، كانت هناك سيارة جيب وسائق في انتظارها حين نزلت من الطائرة، وحملت حقيبة كتف صغيرة فيها ثياب دليخة نظيفة في حال كان هناك مكان لتستحم في موقع الزلزال، وأحضرت معها أدوية في حال مرضت. أحضرت معها الأقنعة الجراحية في حال كانت رائحة جثث الضحايا قوية جداً، أو تعاطت مع أمراض معدية. أحضرت معها مناديل مبللة أيضاً، حاولت التفكير في كل شيء قبل أن تغادر. الأمر أشبه قليلاً بعملية عسكرية حين تذهب إلى مواقع كبدية، حتى لو كانت القوضى عارمة. لم تضع أي محوهرات باستثناء ساعة يد. وتركت خاتم خطوبتها من تشارلز في نيويورك. كانت تضع بالنشاط حين ركبت سيارة الجيب التي انتظرتها وانطلقت بها. كانت غير متمكنة من لغتها الفرنسية، لكنها استطاعت التحدث إلى السائق في طريقهما إلى موقع الزلزال. قال لها إن العديد من الأشخاص

أيضاً . تم استخدام كل شكل من أشكال عمليات الإنقاذ من قبل الحكومة المغربية والدول الأخرى ، وحلقت المروحيات في السماء . إنه مشهد مألوف في مواقع الكوارث الأخرى التي عملت ماكسين فيها .

افترقت العديد من القرى إلى الكهرباء والماء في أحسن الأحوال ، وكانت الظروف قاسية ، خصوصاً في أعالي الجبال ، بعد إميليل . كان سائقها يعطيها التفاصيل عن المناطق فيما عبرت السيارة بين القرويين واللاجئين والمأشبة على الطرقات . قال إن أشخاصاً من إكيس وناشدبرت وسقي شمير وشن ، في الجبال ، جاؤوا إلى إميليل للمساعدة . إميليل هي البوابة إلى وسط أعلى جبال الأطلس ووداي التيزان ، التي يشرف عليها جبل توبقال ، أعلى جبل في شمال أفريقيا ، على ارتفاع أربعة آلاف قدم تقريباً . استطاعت ماكسين رؤية الجبال أمامها ، مغطاة بالثلج حتى الآن . السكان في المنطقة هم من المسلمين والبربر . إنهم يتحدثون العربية والبربرية ، وعرفت ماكسين أن بعضاً منهم فقط يتحدثون الفرنسية . أخبرها بلايك على الهاتف أنه يتواصل مع الأشخاص في القرية باللغة الفرنسية وعبر المترجمين . لم يصادف أحداً حتى الآن ، باستثناء عمال الصليب الأحمر ، يتحدثون الإنكليزية . لكن بعد سنوات من السفر ، بانت لغته الفرنسية جيدة .

شرح السائق أيضاً أنه فوق إميليل توجد قصبه التوبقال ، القصر الصيفي لحاكم سابق . إنه على مسافة عشرين دقيقة سيراً على الأقدام من إميليل . ولا وسيلة أخرى للوصول إلى هناك باستثناء البغال ، قال إنهم يحضرون الجرحى من القرى على البغال أيضاً .

كان الرجال الذين شاهداهم يزدنون الجلابيات ، أي الأثواب الطويلة ذات القلتسوات التي يضعها البرابرة . بدأ الجميع مرهقين ومتسخين ، بعد السفر على متن البغال ، والمشي لساعات ، أو انتشال الأشخاص من تحت أنقاض المنازل . فيما اقتربا من إميليل ، لاحظت ماكسين أن الأبنية المشيدة من كتل الباطون تدمرت أيضاً بفعل الزلزال . لم يبق أي شيء في مكانه ، وبدأت تشاهد خيم الصليب الأحمر التي كانت بمثابة مستشفيات ميدانية وملاجئ لعدد كبير من اللاجئين . أما الأكوخ الطينية النموذجية فحولت

كلها إلى ركام . اللافت أن الأبنية المشيدة من الإسمنت لم تصمد أفضل من بيوت الطين والصلصال . ثمة أزهار برية على جانبي الطريق ، بدا جمالها متناقضاً تماماً مع الدمار الذي رآته ماكسين في كل مكان .

أخبرها السائق أن المقر الأساسي للأمم المتحدة في جنيف أرسل أيضاً فريقاً لتقييم الكوارث وتقديم النصيحة للصليب الأحمر والعديد من فرق الإنقاذ الدولية التي عرضت المجيء والمساعدة . عملت ماكسين مع الأمم المتحدة في مناسبات عدة ، وأدركت أنها إذا عملت مع أي وكالة دولية لإيجاد حلول طويلة الأمد ، سيكون ذلك على الأرجح مع هذه المنظمة . أحد أهم المخاوف في الوقت الحاضر هو نفسي الملاريا في القرى المدمرة ، خصوصاً وأن هذا شائع في المنطقة ، وينتقل بواسطة البعوض ، فضلاً عن أن الكوليرا والتيفويد هما خطران حقيقيان أيضاً ، لجهة انتقال عدوى هذين المرضين بسرعة فائقة . تم دفن الجثث بسرعة وفقاً لتقاليد المنطقة ، لكن انتشار المرض بقي خوفاً حقيقياً نتيجة بقاء العديد من الجثث من دون أغوية .

كان الأمر أكثر من مرّوع ، حتى بالنسبة إلى ماكسين ، التي لاحظت مقدار العمل الواجب إنجازه ، والوقت الطويل الذي لديها لتقديم النصح لبلايك . لديها فقط يومان ونصف اليوم لفعل كل ما هو ممكن . أسف ماكسين فجأة لأنها لا تستطيع البقاء لأسابيع بدلاً من أيام ، لكن لا مجال لفعل ذلك . لديها واجبات ، ومسؤوليات ، وأولادها للعودة إليهم في نيويورك ، ولا تريد الضغط على تشارلز أكثر مما فعلت أصلاً . لكن ماكسين أدركت أن فرق الإنقاذ والمنظمات الدولية ستعمل هنا لأشهر طويلة . تصاءلت ما إذا كان بلايك سيفعل هذا أيضاً .

عندما وصلا إلى إميليل ، شاهدا المزيد من الأكوخ التي تدمرت ، والشاحنات التي الثقيلت ، والشقوق في الأرض ، والأشخاص الذين يتحبون فوق جثث موتاهم . وبات الأمر أسوأ فيما اقربا من القرية حيث قال بلايك إنه ينتظرهما . إنه يعمل في إحدى خيم الصليب الأحمر . وفيما تحركت السيارة يحطه نحو خيم الإنقاذ ، عرفت ماكسين إلى رائحة الجثث النتنة

والكريمة التي عرفتها قديماً في أوضاع مماثلة، والتي لا يمكن أن تنساها أبداً. أخرجت أحد الأتمة الجراحية من حقيبتها ووضعتها على وجهها. كان الوضع سيئاً مثلما خشيت، وأبدت إعجابها ببلايك على وجوده هنا. عرفت أن التجربة كلها بمثابة صنمة له.

أوصلتها سيارة الجيب إلى وسط إمليل، حيث انهارت المنازل، وكان الركاب والزجاج المحطم في كل مكان، والجثث ملقاة على الأرض، بعضها مغطى بالقماش، وبعضها الآخر لم تغط. وكان الناس يتحركون مصدومين. ثمة أولاد يتكئون، ويحملون أولاداً أصغر منهم أو أطفالاً، وشاهدت سيارتين للصليب الأحمر حيث يقدم المتطوعون الطعام والمشاي. ثمة خيمة طبية عليها إشارة ضخمة للصليب الأحمر، وخيم أصغر منصوبة في المخيم. أشار السائق إلى إحداها، ثم لحق بها فيما مشت على أرض وعرة. حذق الأولاد إليها بشعرهم المبعثر وجوههم المتسخة. كانوا بمعظمهم حفاة الأقدام، ولم يرتد بعضهم أي ملابس إذ هربوا في الليل. لحسن الحظ أن الطقس دافئ، فخلعت كتفتيها وربطتها حول خصرها. كانت رائحة الجثث والبول والبراز تفوح في كل مكان فيما مشت نحو الخيمة تبحث عن وجه مألوف. ثمة شخص واحد فقط تعرفه هنا، وعثرت عليه في غضون دقائق، يتحدث إلى فتاة صغيرة بالفرنسية. تمم بلايك الفرنسية في النوادي الليلية في سان تروبيز، وهو يصطاد النساء، لكن يبدو أنه نصح، برأي ماكسين، وابتسمت لحظة رائته. كانت تقف بقربه خلال توان قليلة، وحين نظر إليها، تألأت الدموع في عينيها. أنهى ما كان يقوله للفتاة الصغيرة، وأرشدها إلى مجموعة من الأولاد الآخرين الذين يهتم بهم متطوع من الصليب الأحمر. وقف وعانق ماكسين. بالكاد استطاعت سماح ما قاله بسبب ضجة الجرافات التي أحضرها بلايك من ألمانيا. ولا تزال فرق الإنقاذ تبتش تحت الأنقاض لإخراج الأشخاص.

قال وهو يسدو مثل رجل في حالة يرثى لها: «شكراً على قدومك، الأمر مزيج. حتى الآن، يبدو أن هناك أكثر من أربعة آلاف ولد قد أصبحوا يتامى. لسنا واثقين بعد، لكن عددهم سيزداد قبل أن تنتهي الكارثة». مات

أكثر من سبعة آلاف ولد. وضعفم تقريباً من الكبار. عانت كل العائلات تقريباً من فقدان شخص عزيز أو أكثر. وتكدت خسارات جسيمة. وقال إن القرية التالية في الجبل هي أسوأ حالاً. توجد هناك خلال الأيام الخمسة الماضية. ليس هناك من ناجين تقريباً، وتم إحضار من بقي منهم على قيد الحياة إلى هنا. إنهم يتلقون الممنئين والمصابين إصابات فادحة إلى المستشفيات في مراكش.

«يدو الأمر سيئاً جداً»، أكدت له. أوماً لها برأسه، وهو يمسك بيدها، واصطحبها في جولة حول المخيم. الأولاد يتكئون في كل مكان. وبدا وكأن كل متطوع يمسك بطفل. «ماذا سيحصل لهم؟»، سألت ماكسين. «هل تم تنظيم أي شيء رسمي؟» عرفت أن عليهم الانتظار للتأكد من وفاة الأهل وعدم إمكانية العثور على أحد من أفراد العائلة. سيبقى الأمر فوضوياً حتى ذلك الحين.

«تعمل الحكومة مع الصليب الأحمر الدولي والنهال الأحمر المغربي على ذلك، لكن الفوضى تعم المكان في الوقت الحاضر. الأخيار وصلنا شفوياً، وما زلنا نعتد على ما يقوله الأشخاص. لست متفرطاً في عثميات الإنقاذ الأخرى، وإنما أركز على الأولاد». مرة جديدة، صدمت لبره لأنه يمضي دوماً وقتاً قليلاً جداً مع أولاده، لكن فطرته جيدة على الأقل وقلبه في الاتجاه الصحيح.

أمضت الساعتين التاليتين وهي تجول حول المخيم معه، تتحدث إلى الأشخاص قدر استطاعتها باللغة الفرنسية. عرضت خدماتها في الخيمة الطبية، وعرفت عن نفسها أمام الطبيب الجراح بأنها طبيبة نفسية متخصصة في الصدمات. طُلب منها التحدث إلى عدة نساء ورجل مسن. ثمة امرأة كانت حاملاً بتوأمين وخسرتهما معاً حين انهيار منزلها، وقتل زوجها ودفن تحت الركاب. لقد أنقذ حياتها نوعاً ما وخسر حياته، حسبما شرحت. لديها ثلاثة أولاد آخرين، لكن أحداً لم يستطع العثور عليهم. هناك عشرات الحالات مثل حالتها، وثمانية فتاة شابة جميلة خسرت ذراعيها، كانت تبكي أمها بشدة؛ ووقفت ماكسين قربها ومرت يدها عبر شعرها، فيما استدار

بلايك بعيداً وهو يبكي .

عند غروب الشمس توقفت أخيراً هي وبلايك أمام سيارة الصليب الأحمر، وأخذنا كويبن ساخنين من شاي التفاح . وفيما توقفا للإصغاء ، سمعا الدعوة إلى الصلاة (الأذان) التي ترد صداهي في القرية ، بعد انطلاقها من المسجد الرئيسي . إنه صوت لا ينسى . وعدت بالعودة إلى الخيمة الطبية لاحقاً تلك الليلة ، لوضع الخطوط العريضة لمشاريع تهدف إلى مساعدتهم في كيفية التعامل مع ضحايا الصدمات ، لكن هذا يعني كل شخص موجود هنا تقريباً ، بما في ذلك العمال . لقد شاهدوا بعض المأسى المرعبة في البداية . تحدثت ماكسين إلى متطوعين من الصليب الأحمر لدقائق قليلة . يحتاج الجميع إلى رعاية أساسية في هذه المرحلة بحيث لا مجال أبداً لإعداد برامج متكلفة ومعقدة . كل ما يمكن فعله هو التحدث إلى الأشخاص فرداً فرداً ، ولم تجلس هي وبلايك طوال ساعات ، وفيما ارتشقا كويبي الشاي ، فكرت ماكسين فجأة في أرابيلا ، ومألته عنها ، وما إذا كانت لا تزال في حياته . أو ما برأسه وابتمس .

«لديها التزام ولم تستطع المجيء في هذه الرحلة . أنا مسرور لأنها ليست هنا . إنها تخاف كثيراً ، يعنى عليها إذا رأت جرحاً بسيطاً . ليس هذا ملائماً لها . إنها في المنزل في لندن» . لقد انتقلت للعيش معه بطريقة رسمية قبل أشهر ، وهذه سابقة بالنسبة إليه أيضاً . فالتساء يقين معه عادة لفترة وجيزة ، ثم يفتحين من حياته . بعد سبعة أشهر ، لا تزال أرابيلا موجودة . تأثرت ماكسين .

«هل هي قيمة على المنزل؟» . سألت مبتسمة ، وهي تنهي شايها .

قال وهو يبدو خجولاً: «ربما ، مهما على ذلك . لست عائلتي ملك ، ماكس . لا أحتاج إلى الزواج» . رأى أن هذا أمر شجاع ، لكنه سعيد لأجلها إذا كان هذا ما تريده . «أردت إخبارك بالعالمية . أريد أن أقيم العشاء السابق للزفاف لك أنت وتشارلز في ساوثامبتون . أشعر ، وكأنني أدين لك بذلك على الأقل» .

قالت بلطافة: «أنت لا تدين لي بأي شيء» . فيما قناعها الجراحي يتدلى حول عنقها . لا تزال الراححة كريهة ، لكنها لم تستطع شرب الشاي إلا بعد ترحه . أعطت قناعاً لبلايك أيضاً وفازين جراحيين من اللاتكس . لا تريده أن يمرض ، علماً أنه يسهل حصول ذلك في مثل هذا المكان . كان الجنود يدفنون الجثث طوال اليوم ، فيما أفراد العائلات ينتحبون . إنه صوت مخيف ومغذّب ، يخفّ لحسن الحظ بفعل ضجيج الجرافات أحياناً .

«أريد فعل هذا لك . سيكون ممتعاً . هل تقبل الأولاد الفكرة؟» .

قالت بصراحة: «لا ، لكنهم سيفعلون . تشارلز رجل طيب . لكنه غريب مع الأولاد» . أخبرت بلايك عن موعدنا الأول معه ، وضحك . اعترف بلايك: «كنت لأهرب مثل المجنون ، وهم أولادي» .

«أنا متفاجئة لأنه لم يفعل» . كانت ماكسين تبتمس أيضاً . لم تخبره كم غضب تشارلز بسبب مجيئها إلى المغرب . لا يحتاج بلايك إلى معرفة ذلك ، وقد تتأذى مشاعره ، أو يستنتج ، مثل دافني ، أن تشارلز أحق . شعرت ماكسين بحاجة إلى حمايتهما معاً . برأيها كلاهما طيبان .

عادت إلى الخيمة الطبية لبعض الوقت بعد ذلك ، وحاولت مساعدتهم على إعداد خطة عمل ، وتحدثت إلى بعض المسعفين عن أعراض الصدمة القوية ، لكن في هذه المرحلة بدأ الأمر أشبه بحفر الجبل بواسطة الملعقة ، أي غير فعال البتة .

بقيت مستيقظة معظم الليل مع بلايك ، منتظاً في حاله منذ أيام ، وفي النهاية ناما في سيارة الجيب التي أحضرتها إلى المكان ، متكزبين إلى جانب بعضهما . لم تفكر حتى في رة فعل تشارلز لو رأى هذا . الأمر عديم الجدوى هنا . تستطيع تمضية وقتها وهي تعلمته حين تعود إلى المنزل . ثمة أشياء أخرى أكثر أهمية عليها فعلها الآن .

أمضوا معظم يوم السبت مع الأولاد ، تحدثت إلى أكبر عدد منهم ، وأمسكت بهم أحياناً ، ولا سيما الصغار منهم . بدأ العديد منهم يمرضون ، وعرفت أن بعضهم سيموتون . أرسلت عشرة منهم على الأقل إلى الخيمة

الطبية مع متطوعين، وحلّ الظلام قبل أن تتوقف هي وبلايك عن العمل.

«ما الذي أستطيع فعله؟» بدأ بلايك بالنأس بقدر إحساسه. ماكسين معتادة على ذلك أكثر منه، بالرغم من أن المشهد أزعجها أيضاً. ثمة حاجة ماسة إلى أي نوع من المساعدة.

«بصراحة؟ ليس الكثير، أنت تبتذل أقصى ما يمكنك». عرفت أنه يوظف المال والمعدات في جهود الإنقاذ، لكنهم حتى الآن ما زالوا يعثرون على جثث فقط، وليس على ناجين.

ثم صدمها بما قاله لها لاحقاً. «أريد أن أصطحب بعض هؤلاء الأرواح إلى أميركا»، قال بهدوء. إنه رذّعل طبيعي. ثمة أشخاص آخرون في ظروف مماثلة تفاعلوا بهذه الطريقة أيضاً. لكنها عرفت أنه في مثل هذه الأوضاع، قد لا يكون أمر الاهتمام والتكفل بالأرواح بسيطاً بقدر ما يعتقد بلايك.

قالت بهدوء: «ترغب جميعاً بذلك، لا يمكنك اصطحابهم جميعاً معك». ستنشئ لهم الحكومة دور أيتام، وتدخلهم في النهاية في نظامها، وقد يجد بعضهم طريقة إلى وكالات دولية، وإنما عدد قليل فقط. مثل هؤلاء الأرواح يتقنون عادة ضمن بلدانهم وثقافتهم. معظم الأرواح الموجودين حولهم هم من المسلمين. سيتولى مسلمون آخرون الاهتمام بهم. «أصعب جزء في هذا العمل هو الاضطرار إلى الابتعاد. في مرحلة ما، تكون قد فعلت كل ما في وسعك ضمن إمكانياتك، وعليك العودة إلى المنزل. لكنهم يقولون». بدأ ذلك فاسياً، لكنها عرفت أن هذه هي الحقيقة في معظم الحالات.

قال يحزن: «هذا هو رأيي، لا أستطيع فعل هذا. أشعر وكأنني أدِين بشيء للأرواح هنا. لا أستطيع فقط تشييد منزل جميل والظهور مع مجموعة من الأشخاص بين الحين والآخر. أشعر أنني أدِين لهم بأكثر من هذا، كإنسان. لكن لا يمكنك الاستمرار إلى الأبد». قال لها. إنه اكتشاف جديد بالنسبة إليه، وقد احتاج إلى عمر كامل للوصول إلى هنا.

«ماذا عن مساعدتهم هنا، بدلاً من محاولة أخذهم معك؟ قد تعيقك الإجراءات الرسمية إلى الأبد».

نظر إليها بغرابة حينها، فيما خطر له شيء ما، قد يكون أكثر منطقياً في المدى البعيد، «ماذا لو حولت منزلي هنا إلى دار للأيتام؟ أستطيع إعالتهم، وإيواءهم، وحتى تعليمهم. يتسع المنزل في مراکش ربما لعنة ولد إذا أعدنا هندسته، وآخر شيء أحتاج إليه هو منزل جديد. لا أعرف لماذا لم أفكر في الأمر من قبل». كان يتشم انتساماً عريضة، وتلألأت الدموع في عيني ماكسين.

«هل أنت جاد؟». كانت ماكسين مذهولة، وبدأ وكأن خطته ستفقد. لم يفعل أي شيء مثل هذا من قبل. إنه مشروع غير أناني البتة، وشيء رائع فعلاً. وهو قادر حتماً على تنفيذه، إذا أراد ذلك. إنها واثقة من أنه يستطيع تحويل النصر إلى دار للأيتام، وتوظيف الأشخاص، وتحويل المشروع، وتعير حياة مئات الأرواح اليتامى في السنوات المقبلة. سيكون عملاً عظيماً بالنسبة إلى أي واحد من هؤلاء الأرواح، وطريقة أكثر متطقية من محاولة تكفل أي منهم بنفسه. عند تحويل منزله، وتجهيزه كما يجب، وتمويل المشروع، يستطيع مساعدة العديد من الأرواح.

قال لها فيما حدقت عيناه إلى عينيها: «نعم، أنا جاد، لقد صدمني ما رأيته». لقد نضح بلايك. لقد أصبح أخيراً شخصاً راشداً. لا دليل على بيتر بان، أو اللذلل.

قالت مع نظرة إعجاب: «إنها فكرة مذهلة». بدأ متحمساً للفكرة، وشاهدت بريقاً في عينيها لم تره أبداً من قبل. إنها فخورة جداً به.

«هل لتساعدني في تقييمهم مع مضي الوقت، بصفتهم ضحايا صدمات؟ نوع من نسخة مصغرة عن واحدة من دراساتك. أريد أن أقدم لهم أي مساعدة ممكنة. نفسية، طبية، تربوية».

قالت بهدوء: «طبعاً». إنه مشروع مذل. كانت متأثرة جداً لتخبره كم



هي معجبة به. ومنتحان إلى وقت وزيارات عدة لتقييم الوضع له كما يجب. ناساً في سيارة الجيب مجدداً تلك الليلة، وقامت معه بجولات طوال اليوم التالي. الأولاد الذين شاهدوهم كانوا في حاجة ماسة إلى المساعدة، بحيث إن فكرة تحويل منزله إلى دار أيتام لبعض منهم هي في غاية الأهمية. وفي الأشهر القادمة، سيكون هناك الكثير من العمل الواجب إنجازاً. اتصل بلايك بمهندسه المعماري في ذلك اليوم، وكان يعمل على تحديد اجتماعات مع الوكالات الحكومية لتنفيذ مشروعه.

أمضت ساعتها الأخيرة في المخيم في الخيمة الطبية مجدداً. شعرت أنها أنجزت القليل من العمل خلال وجودها هنا، لكن المرء يشعر دوماً بهذه الطريقة في مثل هذه الأوضاع. اصطحبها بلايك إلى سيارة الجيب في نهاية اليوم. بدا متهاكاً. هناك الكثير من الأمور التي تشغل باله.

سأته بنظرة قلق «متى ستعود؟».

«لا أعرف. حين لا يعودون بحاجة إلي! بضعة أسابيع، شهر. هناك الكثير من الأمور الواجب تنظيمها هنا». سيحتاجون إلى المساعدة لوقت طويل، لكن أسوأ المحن تنتهي أخيراً، ويعود إلى لندن، حيث تنتظره أربابها بصبر. إنه مشغول جداً بحيث بالكاد يتسنى له الوقت للاتصال بها، لكنها بدت رائحة وحنونة كلما اتصل بها. أخبرته كم هو رائع وبطل وأنها معجبة كثيراً به. وكذلك كانت ماكسين. لقد تأثرت كثيراً بجهوده ومشاريعه لتحويل قصره في مراكش إلى دار للأيتام.

«لا تنسى أنك تملكين اليخت لمدة أسبوعين في شهر يوليو»، ذكرها شعراً بالغرابة للحدث عن ذلك هنا. فالعطلة على متن يخت فاخر بدت خارج السياق تماماً. شكرته على ذلك مجدداً. سينضم تشارلز إليهم هذه المرة، وإن على مضض، لكنها أصرت بالقول إنه واحد من تقاليدهم وسينزعج الأولاد كثيراً إذا لم يفعلوا ذلك. وهو جزء من العائلة الآن. قالت إنها لا تريد تغيير أي شيء لهم الآن. لا يزال الوقت مبكراً جداً، ولا مكان لهم في منزله في فيرمونت. «ولا تنسى عشاء الزفاف. سأجعل سكرتيرتي

تتصل بسكرتيرتك. أريد أن أقيم شيئاً رائعاً لك أنت وتشارلز». تأثرت لأنه فكر في الأمر، ولا سيما الآن. وهي تتطلع إلى لقاء الشهيرة أربابها. كانت ماكسين واثقة من أنها أكثر لطافة مما اعترفت به ذاتي.

عانتك بلايك قبل أن تغادر، وشكرته على دعوتها للمجيء، وحصول ذلك.

«هل تمزحين؟ شكرًا لك على حضورك إلى هنا ثلاثة أيام لمساعدتي».

«أنت تتجوز عملاً مذهباً بلايك»، مدحته. «أنا فضورة جداً بك، وسيكون هذا رأي الأولاد. لا أستطيع الانتظار لإخبارهم بما تقوم به». «لا تخبرهم الآن. أريد ترتيب كل شيء أولاً، وهناك الكثير من الأمور الواجب إنجازها قبل أن يحصل ذلك». سيكون مقدار العمل هائلاً، بسبب التنسيق بين تشييد الميتم والمغور على الأشخاص الملائمين لإدارته. إنه عمل شاق.

«اعتن بنفسك ولا تمرض»، ذكرته. «كن حذراً». سبباً أمراض الملاريا والكوليرا والتيفوئيد بالتفشي قريباً.

«سأفعل. أحبك، ماكس. اعتني بنفسك وقبلي الأولاد نيابة عني». قالت له: «سأفعل. أحبك أيضاً». وتعاقفا للمرة الأخيرة، ثم لوح لهما فيما انطلقت مسرعة في سيارة الجيب.

كان الظلام قد هبط حين وصلت أخيراً إلى الطائرة. كان طاقم الرحلة في انتظارها، مع وجبة محضرة. لم تستطع أكل أي شيء بعد ما رآته. جلست تحديق إلى السماء لوقت طويل. سطع البدر عند جناح الطائرة، وكانت السماء مئيلة بالنجوم. بدا لها كل ما رآته وفعلته طوال ثلاثة أيام غير حقيقي. فكّرت في كل ذلك، وفي بلايك وفي ما يفعله، فيما توجهت الطائرة نحو نيويورك، أخيراً، نامت على مقعدها ولم تستيقظ إلا بعدما هبطوا في نيويورك قرباً. الأيام التي أمضتها للتو في المغرب بدت أشبه بحلم.

## الفصل الثامن عشر

وصلت ماكسين إلى شقتها عند الساعة السابعة. كان الأولاد لا يزالون نياماً، ولا تزال زيلدا في غرفتها. استحقت ماكسين، وارتدت ثياباً للذهاب إلى العيادة. لقد نامت جيداً في الطائرة، وتشعر بالراحة بالرغم من أن لديها الكثير من الأمور للتفكير فيها واستيعابها بعد رحلتها. إنه صباح جميل من شهر يونيو، ذهبت سراً على قدميها إلى العيادة، ووصلت إلى هناك بعد الثامنة بقليل. أمامها ساعة قبل وصول أول مريض عندها، وانصلت بتشارلز لتبلغه بأنها عادت بخير. أجاب بعد الزنة الثانية.

قالت يهدوء: «مرحباً. هذه أنا». على أمل أن يكون قد هذا.

«ومن تكونين أنت؟»، سأل وهو يبدو فظاً. لقد انصلت به ثلاث مرات من المغرب، ولم تفلح أبداً في الوصول إليه، فركت له الرسائل على المجيب الصوتي في المنزل. هذا جيد أيضاً. لا تريد التشاجر معه من مسافات بعيدة. لم يجيب في فيرمونت أيضاً، ولم يكن هناك مجيب صوتي لشرك رسائل. أملت أن يكون قد هذا خلال الأيام الأربعة التي نلت سفرها.

«أنا من ستكون السيدة ويست مستقبلاً، مازحته. «هذا ما أنعناه على الأقل».

«كيف كانت الرحلة؟». بدا أفضل، أو هذا ما اعتقدته. سنقهم أكثر حين تراه، ونقرأ التعبير في عينيه.

«رائعة، مربعة، حزينة، محطمة للقلب، مثلما تكون هذه الأمور عادة. الأولاد في وضع مربع، وكذلك هم الكبار». لم تخبره عن مشروع بلايك في إنشاء دار للأيتام. فحسنت عدم استجمال الأمور. تحدثت عن أضرار الزلزال بعبارة إجمالية. «كالمعادن، ينجز الصليب الأحمر عملاً

رائعاً». وكذلك يفعل بلايك، لكنها لم تقل ذلك. تريد توخي الحذر مع تشارلز وعدم إغضابه مجدداً.

«هل أنت مرهقة؟»، سألتها بطريقة حنونية، لا شك في أنها كذلك. لقد اجتازت نصف العالم لثلاثة أيام، وهو واثق من أن ظروف المعيشة بانسة في أثناء تواجدها هناك. وبالرغم من أنه غاضب من سبب الرحلة، ومن الشخص الذي دعاها، فقد كان فخوراً بذهابها، بالرغم من أنه لم يقل لها أبداً هذا.

«ليس كثيراً. نمت في الطائرة». تذكر حينها بالثقل من العصبية أنها سافرت في طائرة بلايك الخاصة.

«هل تودين الخروج لتناول العشاء الليلة، أو أنك تعانين من إرهاق السفر؟».

قالت بسرعة: «أود ذلك». إنه يعرض عليها السلام بوضوح، وهي تتطلع شرقاً لرويته.

«مكاننا المعتاد». وعنى بذلك مطعم لاغرونوي حتماً.

«ماذا عن مقهى بولود؟ ليس رسمياً كثيراً، وهو أقرب إلى المنزل». عرفت أنها قد تشعر بالتعب لاحقاً، بعد يوم طويل في العيادة في أعقاب رحلة طويلة. وتريد رؤية أولادها.

قال بسرعة: «سامز لاصطحابك عند الساعة الثامنة. ومن ثم اشقت إليك، ماكس. أنا مسرور بعودتك. قلت بشأنك». لقد فكر فيها طوال عطلة نهاية الأسبوع في فيرمونت.

«كنت بخير».

ثم قال مع نهيدة: «كيف حال بلايك؟».

«إنه يحاول بكذا أن يحدث فرقاً، وليس هذا سهلاً. لم يتواجد أبداً في مثل هذه الظروف. أنا مسرورة لأنني ذهبت».

قال بسرعة: «سنحدث عن الأمر الليلة». أفقلا الخط، وألقت نظرة سريعة على الرسائل الموضوعية على مكتبها قبل دخول مريضها الأول. بدا

أنه لم يحصل أي شيء دراماتيكي في عطلة نهاية الأسبوع. أرسلت إليها تيلما بالفاكس تقريراً مختصراً. لم يواجه أي من مرضى ماكسين مشاكل أو تم إدخاله إلى المستشفى في عطلة نهاية الأسبوع. إنها مسرورة. كانت قلقة بشأنهم أيضاً.

سارت الأمور على ما يرام بقية اليوم، ونجحت في العودة إلى المنزل عند الساعة السادسة حتى تتمكن من روية أولادها بعد العمل. ذهبت زيلدا إلى موعد، وحين عادت، كانت ترثدي قطعاً وتتعلل حذاء عالي الكعب، وهذا أمر نادر.

سألتها ماكسين وهي تنبسم لها «أين كنت؟ تبدين وكأنك كنت في موعد مهم». لم يحصل هذا مع زيلدا منذ سنوات.

«أردت روية محام لأمر ما. ليس الأمر مهماً».

«هل كل شيء بخير؟» بدت ماكسين قلقة لبرهة، لكن زيلدا قالت إن كل شيء بخير.

أخبرت ماكسين الأولاد عن العمل الذي يقوم به والدهم في المغرب، وكانوا فخورين كثيراً به. قالت إنها فخورة به هي الأخرى. أخبرتهم كل شيء باستثناء قصة دار الأيتام. وعدته بأن يخبرهم بنفسه عن الموضوع، وحافظت على وعدنا.

نجحت في ارتداء ثيابها وكانت جاهزة في الوقت المناسب حين وصل تشارلز مباشرة قبل الساعة الثامنة. قال مرحباً لأولاد، الذين تمتعوا بالتحيات واختفوا في غرفهم. أصبحوا الآن أقل ودية معه بعدما عرفوا بمشروع الزواج. أصبح عدوهم بين ليلة وضحاها.

تجاهلتهن ماكسين، وذهبا سيراً على الأقدام إلى المطعم في الشارع 76 شرقي. إنها ليلة داكنة، وكانت ترثدي فستاناً من الكتان الأزرق وتتعلل صندوقاً فضياً، وهذا مختلف تماماً عن ثياب العسكر، وجزمة القتال التي انتعلتها قبل أربع وعشرين ساعة، في وضع مختلف تماماً مع بلايك. اتصل بها لشكرها مجدداً بعد ظهر اليوم. قال إنه أجرى بعض الاتصالات من

أجل مشاريعه المستقبلية. إنه ماضٍ قديماً بالعزيمة والتركيز والطاقة التي كانت وراء نجاحه على مر السنوات.

كانا في منتصف العشاء حين أخبرت ماكسين تشارلز عن عشاء الزفاف الذي سيقمه لهما بلايك في الليلة التي تسبق الزفاف. توقف تشارلز، وحدق إليها فيما شوكة الطعام في فمه.

«ماذا قلت للتو؟» بدأ يمتزخي ويتودد إليها مجدداً، حين صدمته بهذا الخبر.

«قلت إنه يريد أن يقيم لنا عشاء الزفاف، في الليلة التي تسبق الزفاف».

«أظن أن أهلي هم من يفعلون ذلك لو كانوا على قيد الحياة»، قال تشارلز بنادم فيما وضع شوكلته في طبقه وعدل جلسته على كرسيه. «هل تريدني أن أفعل أنا ذلك؟» بدأ مذهولاً قليلاً من الفكرة كلها.

«قلت ماكسين وهي تنبسم له: «لا، أظن أنه في الزواج الثاني، تتم الحظلة كيفما اتفق. بلايك هو مثل العائلة على أي حال. سيتحمس الأولاد لقبامه بذلك».

قال تشارلز بفظاظة وهو يبخذ الطبق: «حسناً، أنا لست متحمساً لذلك، هل سنتخلص يوماً من هذا الرجل أم أنه سيستمر معنا إلى الأبد؟ أخبرتني أنك تقيمين علاقة محترمة معه، لكن هذا سخيف. أشعر وكأنني تزوج به أيضاً».

«حسناً، لست كذلك. لكنه والد الأولاد. ثق بي، تشارلز، الأمور أفضل هكذا».

«بالنسبة إلى من؟»

«حسناً، بالنسبة إلى الأولاد». وبالنسبة إليها أيضاً. تكره أن يكون لها زوج سابق لا تتحدث إليه أبداً، أو أن يتشاجر دوماً من أجل الأولاد.

كان تشارلز يحدق إليها، لم تشاهد أبداً شخصاً غيراً مثله، ولم تكف عن التساؤل ما إذا كان السبب بلايك نفسه أو ما حققه، أو لأنها كانت متزوجة به. تصعب معرفة ذلك.

«وأقترض أنه إذا قلت لا لعشاء الزفاف، سيظن أولادك أنني معنوء». الجواب عن هذا السؤال هو نعم، لكنها خشيت قول ذلك لتشارلز. «الوضع ليس أبداً لصالحى».

«لا، ليس كذلك. إذا سمحت له بإقامة الحفلة، سيفرح الأولاد كثيراً بتنظيمها معه، وسيقيم حفلة رائعة». فيما قالت ذلك، بدا تشارلز أكثر غضباً على الفور. لم يخطر في بال ماكسين أنه سينزعج إلى هذا الحد. بلايك هو عائلتها، وأملت أن يتقدم تشارلز ذلك. «يجدر بي ربما دعوة زوجتي السابقة أيضاً».

قالت ماكسين بلطفة: «لا مشكلة بالنسبة لى». فيما طلب تشارلز الفاتورة. لم يبدُ في مزاج لتناول التحلية، ولم تهتم ماكسين. لقد استولى عليها تعب السفر أخيراً، ولا تريد التشاجر مع تشارلز بشأن بلايك، أو أي شيء آخر.

أوصلها إلى منزلها مبسراً على الأقدام بصمت تام، وتركها في الخارج. قال إنه سيراه في اليوم التالي، وأوقف سيارة أجرة، وغادر من دون أن ينقوه بكلمة أخرى. لا شك في أن الأوضاع متوترة بينهما، وأملت أن تصبح الأمور أسوأ في أثناء التحضير للزواج. سيكتفان بعتمد تقديم الطعام في ساوثامبتون في عطلة نهاية الأسبوع. أخيراً تشارلز أنه يرى الخيبة وكعكة الزفاف باهظتين جداً، وهذا مزعج لأنها ستدفع كل التكاليف لوحدها. تشارلز دقيق قليلاً في مثل هذه الأمور. لكن ماكسين أرادت كل شيء جميلاً في زفافهما.

فيما صعدت في المصعد، فكرت في أن تطلب من بلايك عدم إقامة الحفلة، لكنها عرفت أنه سيخيب أمه. وسينزعج الأولاد أيضاً، إذا عرفوا بما حصل. أملت أن يعتاد تشارلز على الفكرة، وحتى يسرخي بشأن بلايك مع الوقت. وإذا كان من شخص قادر على تغيير تشارلز فإنه بلايك. لديه طريقة سهلة في التعاطي مع الجميع، وعجز أي كان عن مقاومة سحره وحسن دعابته. إذا استطاع تشارلز مقاومته، تكون هذه سابقة.

بالرغم من غضبه منها في الليلة السابقة، توجب على ماكسين في صباح اليوم التالي أن تطلب من تشارلز الحضور ليلاً لمراجعة لائحة الضيوف، والتحدث عن تفاصيل الزفاف. اتصل بمتعهد تقديم الطعام لطلب المزيد من المعلومات، وأراد أن يعرف أموراً عدة قبل لقائهما به يوم السبت. جاء تشارلز وهو يتذمر بعد العشاء، وبقي في مزاج سيئ منذ الليلة الفائتة. إنه غاضب من حفلة الزفاف ويبدو أنه لم يستوعب تماماً رحلتها إلى المغرب. هناك الكثير من آثار بلايك ويليامز في حياته هذه الأيام، وحتى في زفافه. هذا كثير على تشارلز حتى يستوعبه.

جلس تشارلز إلى طاولة المطبخ مع الأولاد فيما كانوا يتهون الحلوى. حشرت لهم زيلدا فطيرة التفاح مع أيس كريم بالفانيليا، وتناول هو قطعة وقال إنها لذيذة جداً.

بينما كانوا على وشك مغادرة الطاولة، تنحنت زيلي. بدا واضحاً أنها ستقول شيئاً ما، لكنهم لا يعرفون أبداً ما هو.

«أنا... آه... أنا آسفة لفعل ذلك الآن. أعرف أن الزفاف بات قريباً و...». نظرت باعتذار إلى ماكسين، التي اقتنعت فجأة بأن زيلدا ستغادر. هذا كل ما نحتاج إليه في الوقت الحاضر. مع الزفاف في شهر أغسطس، وقدم تشارلز إلى المنزل، تريد أكبر قدر من الاستقرار لهم. ليس الوقت مناسباً لإجراء تغيير مهم، أو ليغادروهم شخص مهم بالنسبة إليهم. واعتمدت ماكسين عليها طوال سنوات. أصبحت زيلدا من العائلة الآن. نظرت إليها ماكسين مذعورة. حدق الأولاد إليها، وهم لا يعرفون أبداً ماذا يتوقعون. وبدا تشارلز غير مرتبك فيما أنهى فطيرته، فما ستقوله زيلدا لا علاقة له به، أو هذا ما ظنه. فمن توظف ماكسين أو لا توظف يعود إليها. ليست هذه مشكلته، وبدت جيدة له، وطاعة ممتازة. لكن برأيه يمكن دوماً استبدالها، مثل أي شخص آخر. لا تشعر ماكسين وأولادها بهذه الطريقة، على الإطلاق.

قالت زيلدا وهي تحرك قوطة الأطباق بين يديها: «كنت... كنت أفكر كثيراً... لقد كبرتُم أبا الأولاد»، قالت وهي تنظر إلى الأولاد «وأنت

ستزوجين»، وهي تنظر إلى ماكسين، «وأشعر أنني أحتاج إلى شيء أكثر في حياتي أنا أيضاً. لم أعد صغيرة، ولا أظن أن حياتي ستتغير بعد الآن». ابتسمت بحزن. «أظن أن فارس الأحلام أصاع عنواني... وذلك قررت... أنتي أريد طفلاً... وإذا كان هذا لا يناسبكم، أتفهم وأعذر. لكنني حسمت أمري». بيرة طويلة، حدقوا جميعاً إليها مذهولين.

سألت ماكسين بصوت مخفوق «هل أنت حامل؟». لم يقل الأولاد أي شيء، ولا تشارلز.

أجابت زيلدا بابتهامة حزينة «لا. أتمنى لو كنت كذلك، سيكون ذلك رائعاً. فكرت في الأمر، لكن في آخر مرة تحدثنا أنا وأنت ماكس بشأن الموضوع، قلت لك أنني أحببت أولاد الأشخاص الآخرين طوال حياتي. ليس لدي مشكلة في هذا. فلم أعاني من الدوار وأسمن؟ وبهذه الطريقة، أستطيع الاستمرار في العمل. علي ذلك. الأولاد يكفون كثيراً»، قالت وابتسمت لهم. «ذهبت لروية محام بشأن الحصول على طفل. اجتمعت به أربع مرات. جاءت باحثة اجتماعية لإجراء دراسة ميدانية هنا. لدي المؤهلات وتمت الموافقة على طلبي». وبالرغم من كل ذلك، لم تنفوه بكلمة أمام ماكسين.

«ومتى تفكرين في فعل ذلك؟». سألتها ماكسين وهي تحبس أنفاسها. ليست مستعدة لاستقبال طفل في المنزل في الوقت الحاضر. أو ربما أبداً. هذا كثير لاستيعابه، مع زوج جديد ينتقل للعيش هنا أيضاً.

«الآن».

«ماذا تقصدين؟»، قلبت ماكسين حاجبها أمامها فيما تابعت زيلدا، وبدأ تشارلز يتنبه الآن وكذلك الأولاد. كان يمكن سماع صوت رنة الأبرة في المطبخ فيما تابعت زيلدا.

«ثمة طفل سيولد حديثاً، أمه عمرها خمسة عشر عاماً وهي متشردة بسبب حملها. تعاطت المخدرات خلال الفصل الأول من الحمل، لكنها توقفت الآن. الوالد في السجن بسبب تجارة المخدرات والسرقة. عمره

تسعة عشر عاماً، وهو غير مهم أبداً لأمر الطفل أو الفتاة، ولذلك هو مستعد للتوقيع على أوراق التنازل. لقد فعل، وهذا أمر مهم أيضاً. لن يسمح لها أهلها بالاحتفاظ بالطفل، لأنهم لا يتكلمون المال، وهي فتاة لطيفة. التقيت بها البارحة». أدركت ماكسين أن هذا يورر الطعم الرسمي والكعب العالي الذي انتعلته زيلدا في اليوم السابق. «إنها مستعدة لإعطائي طفلاً، كل ما تريده هو صور فوتوغرافية مرة كل سنة. لا تريد أن تراه، وهذا رائع، ولن تفتزني أو تززع الطفل. رفض ثلاثة أزواج القبول به، وإذا قبلت به فسيصبح طفلي. إنه صبي»، قالت فيما انهمرت الدموع على وجنتيها مع ابتسامة حطمت قلب ماكسين. لم تخيل أنها تريد طفلاً بهذه القوة، مع الكثير من المجازفة، والقبول بطفل شخص آخر قد يكون متضرراً لمدى الحياة، نهضت ووضعت ذراعها حول زيلي وعانقتها.

«أه زيلي... أعقد أنك قومين بشيء رائع فعلاً. لكنك لا تستطيعين أخذ الطفل هكذا. أنت لا تعرفين في ماذا تتورطين. لا يمكنك فعل هذا». قالت بعناد: «أستطيع وأعرف». ولاخطت ماكسين أنها جدية في ذلك.

«متى سيولد؟»، سأل تشارلز. استوعب الموضوع، وبدأ له أثنبه بكارثة.

أخذت زيلي نفساً. «سيولد الطفل في عطلة نهاية الأسبوع». «هل تمزحين؟». كادت ماكسين ترتجف، وبدأ الأولاد مذهولين أيضاً. «الآن؟ أي خلال أيام قليلة؟ ماذا ستفعلن؟».

«سأحبه لبقية حياتي... سأسميه جايمس. جيمي». شعرت ماكسين فجأة بالدوار. لا يمكن أن يحصل ذلك لهم. لكنه يحصل فعلاً. «لا أتوقع منكم دعمي في ذلك. وأكره فعل ذلك مع مثل هذا الإنذار القصير. ظننت أنني سأحتاج إلى وقت أطول. مثل سنة أو سنتين. لكنهم اتصلوا بي بشأن هذا الطفل البارحة، وقلت لهم نعم اليوم. لذا، توجب علي إخباركم».

قال تشارلز ببرود: «أخبروك عن هذا الطفل البارحة لأنه ما من أحد

آخر يريد، هذه حماقة فعلاً».

قالت زيلي بحزن: «أظن أنها كذلك». وأرادت ماكسين البكاء. بدا لها الأمر مثل خطأ كبير، لكن من هي لتقرر حياة الآخرين؟ ما كانت هي لتفعل ذلك، لكنها أم لثلاثة أولاد بصحة جيدة، ومن يعرف ماذا كانت لتفعل لو كانت مكان زيلي؟ هذا شيء فيه الكثير من الحنان فعلاً، ولو فيه القليل من الجنون والكثير من المخاطر. إنها شجاعة لتفعل ذلك. قالت زيلدا بهدوء: «إننا أردت أن أعادر الآن، فافعل، لا أستطيع فعل أي شيء آخر. لا أستطيع إجبارك على السماح لي بإحضار الطفل إلى هنا. إذا سمحت لي، وأردتني أن أبقى، فافعل أيضاً، وسترى كيف تسير الأمور معنا جميعاً. لكن إذا أردتني أن أرحل، فسأنتج تورتيلات أخرى، وأعادر في غضون الأيام القليلة المقبلة. سأبحث سريعاً عن مكان لأعيش فيه لأن الطفل قد يولد خلال عطلة نهاية الأسبوع».

قال تشارلز: «أم، يا الله». ونهض عن الطاولة وهو ينظر تحديداً إلى ماكسين.

قالت ماكسين بهدوء: «زيلي، ستتبر الأمر». وفيما قالت ذلك، صرخ الأولاد الثلاثة معاً بفرح، وقفزوا لمعاينة زيلي.  
«سيكون معنا طفلاً!»، صرخ سام بسرور. «إنه صبي!»، لفّ ذراعيه حول حصر زيلدا، وبدأت تبتكي.  
«شكراً»، همست لماكسين.

قالت ماكسين بصوت خافت: «سترى كيف تسير الأمور». لقد حصلت على جواب أولادها على الفور، لكن عليها مواجهة تشارلز أيضاً، «كل ما تستطيع فعله هو التجربة، والأمل في أن تنجح. إذا لم تنجح، نتحدث في الأمر. ما مقدار الفوضى الذي يمكن أن يحدثها طفلك؟». فيما قالت ذلك، وضعت زيلدا ذراعيها حول ماكسين وعانقتها بشدة كبيرة بحيث بالكاد استطاعت ماكسين التنفس.

قالت عبر دموعها: «شكراً، شكراً، هذا كل ما أردته طوال حياتي».

طفل لي أنا»، قالت ذلك وهي تبتكي.

«هل أنت أكيدة؟»، سألتها ماكسين بجدية. «لا يزال بإمكانك الانتظار للحصول على طفل من دون أن تخاطري».  
«لا أريد الانتظار»، قالت بقوة. «أريده هو».  
«قد يكون هذا خطأ».

«لن يكون هكذا». لقد حسمت أمرها، ولاحظت ماكسين أنها لا تستطيع فعل أي شيء لتتبدل رأيها. «علي الذهاب وإحضار مهد غداً وبعض الأغراض». لقد تخلصت ماكسين من مهد سام قبل أعوام إلا وكانت أعطتها إياه. من المذهل التفكير أنه قد يصبح هناك طفل بينهم خلال الأيام القليلة المقبلة. فيما نظرت ماكسين حولها، لاحظت أن تشارلز تركهم، وجدته في غرفة الجلوس، يستنشق غضباً، وحين نظر إلى ماكسين، كان الحقد يضطرم في عينيه.

صرخ في وجهها «هل أنت مجنونة؟ هل أنت مجنونة؟ ستحضرين طفل مخدرات إلى منزلنا؟ لأنك تعرفين ماذا يعني ذلك، ما من أحد في عقله السليم يرغب بطفل غير شرعي مع هذه المواصفات، والمرأة المسكينة يائسة جداً بحيث هي مستعدة لقبول بأي شيء. والآن، سيعيش معك... ومعى!»، أضاف. «كيف تتجربان على اتخاذ مثل هذا القرار من دون سؤالي أولاً؟». كان يرتجف من شدة الغضب، ولا يستطيع ماكسين لومه تماماً. لم تكن متحمسة هي الأخرى، لكنهم يحبون زيلي. أما تشارلز فلا يحبها. بالكاد يعرفها. ولا يدرك أبداً كم تعني بالنسبة إليهم. بالنسبة إليه، إنها مجرد مربية. إلا أنها العائلة بالنسبة إلى ماكس والأولاد.

«أنا أسفة لأنني لم أسألك، تشارلز. أقسم إن الجواب كان زلة لسان. كنت متأثرة جداً بما قالته، وشعرت بالأسف عليها. لا أستطيع أن أطلب منها المغادرة قوياً، يعدتني عشرة سنة، وسيحزن أولادي كثيراً. وأنا أيضاً».

قال ببرود: «كان في وسعها إخبارك بما تفعله. هذا مهين! يجدر بك طردها».

سنفعل. الأمر جديد عليه قليلاً في الوقت الحاضر»، قالت ذلك، ثم بدأت  
تضحك. ماذا بعد؟.

قالت ماكسين بحنان: «نحن نحبها، لقد كبر أولادي معها. وهي تحبهم  
أيضاً. إذا لم ينتج الأمر، يمكننا أن نطلب منها المغادرة. لكن مع كل هذه  
التغيرات بالنسبة إلى أولادي، وزواجنا، واعتادهم عليك، تشارلز، لا  
أريدها أن ترحل». تلالأت الدموع في عيني ماكسين. وكانت عينا تشارلز  
باردين وقاسيتين مثل الصخر.

«وماذا يفترض بي أن أفعل الآن؟ العيش مع طفل مخدرات؟ تغيير  
الحفاضات؟ ليس هذا منصفاً». ليس منصفاً بالنسبة إليها هي الأخرى. لكنها  
تريد الأفضل للأولاد. إنهم يحتاجون إلى زلي كثيراً ولا تريد خسارتها  
الآن، سواء بسبب طفل مخدرات أم لا.

قالت ماكسين: «اطمن، ربما لن تشعر أنه موجود هنا، غرفة زلي  
في الجهة الخلفية للشقة. سيبقى الطفل على الأرجح في غرفتها معظم الوقت  
خلال الأشهر القليلة الأولى».

«ثم ماذا؟ بنام معنا مثل سام؟». إنها المرة الأولى التي يعطي فيها  
ملاحظة قاسية بشأن أولادها، ولم يعجبها الأمر، لكنه غاضب. «ثمة دراما  
لعينة كل يوم معك الآن، أليس كذلك؟ مرة تهربين إلى المغرب معه، ومرة  
ثانية يقيم لنا حفلة عشاء الزفاف، والآن تشجعين المرعبة على إحضار طفلها  
إلى المنزل. وتتوقعين مني أن أحمل هذا؟ لا بد من أن هذا جنون»، قال  
ثم حدق إليها. «لا، أنت المجنونة». وجه إصبعه الغاضب إليها، وأغلق  
الباب الأمامي بقوة خلفه.

حين عادت ماكسين إلى المطبخ مع نظرة حزينة، سألتها زيلدا وهي  
تبدو قلقة «هل هذا تشارلز؟». لقد سمع الجميع الباب وهو يخلق بقوة.  
أوسأت ماكسين برأسها من دون أي تعليق إضافي. قالت زيلدا وهي تبدو  
متأسفة: «لست مضطرة إلى فعل ذلك، ماكس، أستطيع الرحيل».

قالت ماكسين وهي تضع ذراعها حول كتفي زيلدا: «لا، لا يمكنك،  
نحن نحبك. سنحاول إنجاح الأمر. أتمنى فقط أن تحضري طفلاً جيداً  
إلى هنا، وبصحة سليمة، هذا كل ما يهم الآن. سيكتيف تشارلز. جميعنا

## الفصل التاسع عشر

ذهب تشارلز وماكسين إلى ساوثامبتون في عطلة نهاية الأسبوع ،  
مقماً كان مقرراً. التقياً بمتعهد تقديم الطعام الخاص بزفافهما، ومشيياً على  
الشاطئ بدأ بيد، وبعد انقضاء عطلة نهاية الأسبوع عاد تشارلز هادناً مجدداً.  
وعدته ماكسين بأنه إذا كان طفل زليداً عيناً عليهم، فستفاد هي والطفل. بدأ  
كل شيء جيداً بينهما مجدداً في عطلة نهاية الأسبوع فيما عادا إلى المنزل.  
كان يحتاج بشدة إلى بعض الوقت الهادئ معها، وإلى انتباهها الكامل، لأن  
هذا يعنى له الكثير. وبعد التواجد معها طوال عطلة نهاية الأسبوع، عاد  
مثل الزهرة تحت المطر.

قال لها، فيما عادا بالمتابعة إلى المدينة: «تعرفين، حين نمضي مثل  
هذا الوقت مع بعضنا، يصبح كل شيء منطقياً مجدداً. لكن حين أكون في  
منزلك المجنون وحياتك الصاخبة، أصاب بالجنون»، تألمت مما قاله.

قالت بطريقة منطوية: «ليس المنزل مجنوناً، تشارلز. نحن لا  
نعيش حياة صاخبة. أنا أم وحيدة مع ثلاثة أولاد وصاحبة مهنة، وفي كل  
اليوم تحصل أمور مشابهة. إنها تحصل لأي كان». ونظر إليها كما لو  
أنها مجنونة فعلاً.

«ما هو عدد الأشخاص الذين تعريفيهم والذين تحضر مزيانهم أطفالاً  
خلال إشعار من ثلاثة أيام؟ أعدرتي. لا يبدو هذا طبيعياً بالنسبة إلي».

قالت وهي تبتسم له: «أعترف، هذا غريب نوعاً ما. لكن الأمور  
تحصل. إنها مهمة بالنسبة إلينا، خصوصاً في الوقت الحاضر».

قال لها: «لا تكني سخيفة، سيكونون بخير من دونها».

«أشك في ذلك، وأنا واثقة من أنهم لن يكونوا بخير لو رحلت. أعتمد  
عليها أكثر مما تعرف. لا أستطيع فعل كل شيء لوحدي».

قال بطريقة واثقة: «لديك أنا الآن» فضحكت ماكسين. «رائع، وكيف  
حالك في الغسيل، والكئي، وتحضير العشاء كل ليلة، وإيصال الأولاد،  
وترتيب مواعيد اللعب، وأخذ الأولاد إلى المدرسة، وتحضير الوجبات  
الخفيفة، وتوضيب الغداء، والإشراف على الحفلات، والاعتناء بهم حين  
يكونون مرضى»؟.

فهم الرسالة، لكنه لم يوافق معها ولم يفعل أبداً. «أنا واثق من أنهم  
يستطيعون التحلي بالمزيد من الاستقلالية إذا سمحت لهم بذلك. ما من سبب  
بمنعهم من فعل كل ذلك بأنفسهم». كل هذا من رجل لم يتجب أبداً أولاداً،  
وبالتكاد رأى ولداً عن كتب إلى أن تعرف إليها. لقد تغاداهم طوال حياته.  
لديه كل الآراء غير الواقعية للأشخاص الذين لم ينجبوا أبداً الأولاد، ولا  
يستطيعون أن يتذكروا كيف كانوا أولاداً. «بالإضافة إلى ذلك، تعرفين  
الحل الذي اقترحه لكل ذلك»، ذكرها. «مدرسة داخلية. وتخفي كل هذه  
المشاكل، ولا تصبحين امرأة مع طفل مخدرات، تعيش في منزلك».

قالت ببساطة: «لا أوافقك الرأي، تشارلز، لن أرسل أولادي أبداً  
بعيداً إلى أي مدرسة إلى أن يصبحوا في الجامعة». تريد إيضاح ذلك له  
الآن. «وزيلي لا تتبني طفل مخدرات. لا تعرف ذلك بالتأكيد. الخطر  
الكبير لا يعني أن الطفل سيولد مدمناً».

«يمكن أن يكون كذلك»، قال بإصرار. وفهم الرسالة التي أرسلتها  
بصوت عالٍ وواضح بشأن رأيها السلبي في المدرسة الداخلية لأولادها.  
لن تتخلي ماكسين عن أولادها ولن ترسلهم بعيداً، لو كان لا يحبها كثيراً،  
لتحلى عنها. ولو لم تكن تحبه، لما كانت تحثك الأشياء التي قالها. قهمت  
أن هذا الموضوع شديد الخصوصية بالنسبة إليه. لكنه أحب عطلة نهاية  
الأسبوع المسالمة الخالية من الأولاد التي أمضاها للتو معها. من جهةها،  
أحبت ماكسين العطلة، لكنها اشتاقت إلى أولادها. بما أن لا أولاد له،  
عرفت أنه لن يفهم أبداً هذا الموضوع، وسامحته على ذلك.

كانوا يتناولون طعاماً صينياً جاهزاً مع الأولاد في المطبخ ليلة الأحد  
حين دخلت زيلي مسرعة.



«أه يا الله... أه يا الله... إنه أت... إنه أت...!». لبرهة، نشوا جميعاً المسألة. يدت زليدا مثل دجاجة من دون رأس فيما جالت في المطبخ.

سألناها ماكسين «من الأتي؟». لم يكن لديها فعلاً أي فكرة.  
«الطفل! الأم في المخاض الآن! علي الذهاب إلى مستشفى روزفلت على الفور».

قالت ماكسين: «آه، يا الله». ونهض الجميع، وتحلقوا حولها بحماسة كما لو أنها ستنجب بنفسها. جلس تشارلز إلى الطاولة، يأكل بهدوء، وهز رأسه.

ارتدت زليدا ثيابها، وخرجت من الباب بعد خمس دقائق، وتحدث الباهلون عن المسألة، ثم ذهبوا إلى غرفهم. جلست ماكسين إلى الطاولة، وحدثت إلى تشارلز.

قالت له بامتنان: «شكراً على روحك الرياضية، أعرف أن هذا ليس ممتعاً لك». كانت أسفة لأن الأمر حصل أساساً، لكنها تحاول جعله أفضل ما يمكن. ما من خيار آخر. أو هناك فقط خيارات لا تريدها، غير هذا الخيار الذي يقضي بالترحيب بطفل زبلي.

«لن يكون الأمر ممتعاً لك أيضاً، حين يصرخ الطفل في المنزل. إذا ولد متأزراً بالمخدرات التي تعاطنها أمه، سيكون الأمر كابوساً لكم جميعاً. أنا مسرور لأنني لن أنقل إلى هنا قبل شهرين». كانت هي مسرورة أيضاً.

مثلما تبين لاحقاً، ولحزنها الشديد، لم يكن تشارلز مخطئاً، لقد تعاطت الأم البيولوجية مخدرات أكثر مما اعترفت به، وولد الطفل متأزراً بها. أمضى أسبوعاً في المستشفى لإزالة السموم من جسمه، فيما جلست معه زليدا كل يوم واهتمت به. وحين عاد إلى المنزل، كان يبكي ليلاً ونهاراً، وجلست زبلي معه في غرفتها. لم يكن يأكل جيداً، ويالكاد ينام، ولم تستطع تهدئته. كل ما فعله هو الصراخ. لقد جاء هذا الطفل الصغير

المسكين إلى العالم بطريقة صعبة جداً، وإنما هو بين ذراعي أم غير أمه في غاية الحنان.

«كيف الحال؟»، سألناها ماكسين صباح أحد الأيام. بدت زليدا وكأنها اجتازت عشرة أميال من المطرقات الوعرة بعد ليلة أخرى من عدم النوم، كانت تبقى مستيقظة مع الطفل كل ليلة، وتحمله بين ذراعيها معظم الليل. قالت زبلي وهي تنظر إلى ابنتها بطريقة شاكرة: «قال الطبيب إنه قد يحتاج إلى بعض الوقت لتخرج المخدرات من جسمه. أظن أنه أفضل قليلاً». أصبحت متعلقة بجيمي كما لو أنها ولدتها بنفسها. جاء المساعدون الاجتماعيون مرات عدة للتحقق منه، ولم يخف على أحدكم كانت زبلي حنونة معه. لكنه لم يكن ممتعاً لأي شخص آخر. ارتاحت ماكسين لأنهم سيغادرون في إجازة خلال أسابيع قليلة، وحين يعودون، تأمل أن يكون جيمي قد هدأ. هذا كل ما تتناهى في الوقت الحاضر. زبلي هي أم رائعة، وصبورة وحنونة مثلما كانت مع جاك وسام حين ولدا. إلا أن التعاطي مع الصغير جيمي أصعب بكثير.

في غضون ذلك، كانت مشاريع الزفاف قيد التحضير. لم تعثر ماكسين على فستان بعد، وتحتاج إلى واحد لدافني أيضاً. رفضت دافني المشاركة في أي شيء، وهددت بعدم الذهاب إلى الزفاف إطلاقاً، وهذا تحد آخر توجب على ماكسين مواجهته. لم تجبر تشارلز بأي شيء. عرفت كم أن الأمر مؤلم. هكذا، ذهبت للتسوق لوحدها، على أمل العثور على فستانين لهما. اشترت قبلاً بذلتين باللون الكاكي للصبيين، وواحدة لتشارلز أيضاً. أنجز ذلك على الأقل.

اتصل بلايك من المغرب، وأخبرها بكل ما أنجزه منذ غادرت. لقد بدأ العمل على تحويل قصره إلى دار أيتام لثمة ولد. اختار الموظفين، وطريقة إدارة دار الأيتام المستقبلية، وسلم العمل إلى مجموعة من الأشخاص الكفوئين، وفعل كل ما يمكنه حتى الآن. يتوي العودة إلى

هناك كل شهر لتأكد من مضيقهم قداماً مثلما هو مخطط. سيعود إلى لندن في الوقت الحاضر، وأخبر ماكسين أن كل شيء جاهز على اليخت لهم، بالكاد تستطيع هي والأولاد الانتظار. إنها أفضل عطلة لهم كل سنة. لم يكن تشارلز واثقاً كثيراً.

أخبر بلايك أرابيلا عن مشاريعه لدار الأيتام الجديدة أيضاً، ورات أنه أمر رائع.

قرر مفاجئتها حين يعود إلى لندن. سيعود قبل أسبوع من الموعد الذي حدده لها. فعل كل ما في وسعه، وعليه إنجاز عمل في لندن الآن، وإعداد الترتيبات المالية ل دار الأيتام ولعنة تيم.

وصل إلى مطار هيثرو عند منتصف الليل، وكان في منزله بعد أربعين دقيقة، وفتح الباب بنفسه. كان المنزل مظلماً، وقالت أرابيلا إنها تعمل بكد، فافترض أنها نائمة. قالت إنها لا تخرج أبداً تقريباً، والأمر غير ممتع من دونه. كانت تتوق لعودته إلى المنزل.

بدا بلايك مرهقاً بعد رحلته إلى لندن وكل ما فعله خلال الأسابيع الماضية. بدأ الاستمرار واضحاً على وجهه وذراعيه. بقيت بشرته بيضاء تحت قميصة القطن. كل ما يريد الآن هو رؤية أرابيلا ولمسها. إنه يوق بشدة إليها. دخل على رومن أصابعه إلى غرفة نومه، في حال كانت نائمة، شاهد جسمها تحت الغطاء. وجلس قربها، وانحنى لتقبيلها فاكشف أن هناك جسمين، وليس جسماً واحداً، وكانا متشابكين ونصف نائمين. فتح عينيه بقوة، وأشعل المصباح ليرى بصورة أفضل. لم يصدق ما رآه، وأراد في البداية الاعتقاد بأنه مخطئ. لم يكن هكذا، ثمة رجل وسيم جداً وأسمر البشرة في السرير معها، وبدا مذعوراً. شك بلايك في أنه أحد الرجال الهنود المهمين الذين تعرفهم، أو ربما هو رجل جديد. لا يمم من يكون. إنه في سرير بلايك معها.

«أنا أسف جداً»، قال الرجل بتعذيب، ولف نفسه على القور بالغطاء الذي كان مبعثراً على السرير، وخرج من الغرفة بأسرع ما يمكن. حدثت

أرابيلا مذعورة إلى بلايك وبدأت تبكي.

قالت: «وصل للتو». كانت هذه كذبة واضحة لأنه بدأ يوضب حقيبتين كبيرتين من جلد التمساح في غرفة ثياب بلايك، ما يعني أنه موجود هنا منذ فترة. خرج من الغرفة بعد خمس دقائق وهو يرتدي بذلة جميلة. كان رجلاً لافتاً للظن.

قال لبلايك: «شكراً لك، وأنا أسف». وقال لأرابيلا: «وداعاً». خرج مسرعاً وهو يحمل حقيبتيه. بعد برهة، سمعا الباب الأمامي يغلق بقوة. إنه يقم معها، في منزل بلايك، من دون أي حجل.

قال بلايك ببرودة: «انهضي من سريري». كانت ترتعد واقتربت

«أنا أسفة جداً... لم أقصد ذلك... لن أفعل هذا مجدداً...».

قال بلايك بوضوح: «انهضي واخرجي، كان بإمكانك على الأقل الذهاب إلى منزلك. لم أكن لأعرف على الأقل. هذا نصرف وقح قليلاً، اليس كذلك؟». نهضت من السرير وكانت تقف أمامه بكل جمالها. إنها فتاة رائعة الجمال مع أوشام في كل أنحاء جسدها. الشيء الوحيد الذي كانت تضعه هو الباقوتة الحمراء بين عينيها. لم يعد بلايك مسروراً. قال بوضوح: «أمامك خمس دقائق، سأرسل إليك أغراضك التي قد تسينها». توجه نحو الهاتف، واتصل بسيارة أجرة. اخفت في العمام. وخرجت مع سروال جينز وقميص قطني خاص بالرجال. اتعلت صندوقاً ذهبي اللون عالي الكعب، وبدت جذابة جداً. لكنه لم يعد يريد بها. إنها مثل بضاعة مستهلكة. وكاذبة. كاذبة كبيرة.

وقفت تنظر إليه والدموع تنهمر على وجنتيها، فيما نظر بعيداً. إنه مشهد مزعج. لم تجز أي من النساء اللواتي خرج معهن على إحضار رجال آخرين إلى سريره. بقي مع أرابيلا أكثر من أي امرأة أخرى. مضت سبعة أشهر، والأمير مؤلم. إنه يقف بها، وبسات مغرماً بها أكثر مما كان مغرماً ببقية النساء. احتاج إلى الكثير من ضغط النفس لعدم نعتها بالصفات

البشعة فيما نزلت مسرعة على السلاالم. ذهب إلى المشرب، وسكب لنفسه كويأ. لا يريد رويتها مجدداً أبداً. حاولت الاتصال به في وقت لاحق من تلك الليلة، ولأيام عدة بعد ذلك، لكنه لم يجب على اتصالاتها. أرابلا بانت من الناريخ بالنسبة إليه. لقد اختفت في سحابة دخان مع الباقوة الحمراء والأوشام.

## الفصل العشرون

استمر بحث ماكسين عن فستان الزفاف المذهل حتى بداية شهر يوليو. كانت تتسوق للرحلة حين عثرت على الفستان بالصدفة. إنه ما تريده بالضبط، من تصميم أوسكار دو لا رنتا، مع ثورة كبيرة من الأورغزما باللون العسلي ووشاح من الساتان بلون الخزامى وصدار من البيج المزين بالخرز الصغير، وقد كان الفستان منسلاً، مع ذيل صغير خلفه، بحيث لا يبدو متكلفاً كثيراً. عثرت على صندل متناغم لتتعله، وقررت فوراً حمل باقة من الأوركيدة باللون البيج. وبمحض الصدفة، عثرت في اليوم التالي على فستان جميل من الحرير بلون الخزامى لداقي. أصبحوا جميعاً جاهزين، كانت متحمسة وسعيدة بفستان زفافها وفستان داقي. لكنها قررت الانتظار لتريها إياه بعد عودتهم من الرحلة. لا تزال داقي تهدد بعدم الذهاب إلى الزفاف. أملت ماكسين أن يتمكن بلايك من إقناعها بغير ذلك. يستطيع التأثير فيها أكثر من أي شخص آخر.

حين اتصل ماكسين في اليوم السابق للرحلة، ذكرت الأمر أمام بلايك، ووعدها أن يبذل ما في وسعه مع داقي. إنه يتصل بها لإبلاغها فقط أن البيخت جاهز في موناكو. كان طفل زيلي بصرخ، كالمعتاد، حين اتصل. لا يزال الطفل يواجه وقتاً صعباً، مثل زيلي.

سأل بلايك وهو يبدو محتاراً «ما هذه الضجة؟». فضحكت ماكسين بحزن. ليست الأمور سهلة في المنزل هذه الأيام. بدأ مثل جرس إنذار يرن في المنزل طوال اليوم.

«إنه جيبي»، شرحت ماكسين. «طفل زيلي».

«هل أصبح لزيلي طفل؟». بدا متأثراً. «متى حصل ذلك؟».

«قبل ثلاثة أسابيع». أخفضت صوتها حتى لا يسمعها أحد. كرهت

الاعتراف أن تشارلز محق، لكن الصراخ لا يمكن أن يدوم إلى الأبد، حينما تأمل. إنها معتدة لأن غرفة زيلي في الجهة الخلفية للشقة. يبدو أن رتلي الصغير مثل لويس أرمسترونغ. «جلبت طفلاً وقد متأثراً بالخدرات التي تعاطتها أمه في أثناء حملها. أبلغتني بمشايعة قبل أربعة أيام من ولادته. طرحت فكرة المغادرة، لكنني لم أسمح لها بالذهاب. نحن نحبها كثيراً. ستكون جميعاً يائسين من دونها».

قال بلايك وهو لا يزال مذهولاً: «نعم، أعرف، كيف يتعاطى تشارلز مع كل ذلك؟».

«لا يحب الأمر. ما زلنا جميعاً نعتاد على بعضنا». لم تخيره أنه يعتبر المدرسة الداخلية فكرة رائعة. لا يحتاج بلايك إلى معرفة ذلك. «إنه تكيف كبير».

قال بلايك بصراحة: «لا أظن أنني أحب الأمر أنا أيضاً». ثم أخبرها أن كل شيء ماضٍ قديماً في المغرب. إنه مشروع معيذ، وكل شيء على ما يرام.

«متى سنأتي؟»، سألته.

«لا تقلقي. سأكون حاضراً في الزفاف. وكل شيء يسير على ما يرام لحفلة عشاء الزفاف». استأجر نادياً معيذاً لذلك. «سأحضر قبل بضعة أيام».

«هل سنأتي أرابيلا معك؟».

«أه...». تردده. ولاحظت ماكسين أن هذا غريب. «في الواقع، لا».

«هذا مؤسف. كنت أود لقاءها. هل هي مشغولة برسم أحد ما؟».

«لا أعرف. وكسي أكون صريحاً، لا أهتم لها. وجدتها في سريري مع رجل هندي وسمي جداً ليلة عدت إلى المنزل. جاء هو للعيش عندي أيضاً. طردتها خارجاً تلك الليلة، ولم أرها منذ ذلك الحين».

«اللجنة، أنا أسفة بلايك». استخف بالمسألة، لكنها عرفت أنه تألم. لقد

دامت علاقته بها أكثر من كل الأخريات. أطول بكثير. لكنه بدأ مستوعباً تماماً للأمر.

«نعم، أنا أيضاً. كانت علاقة جيدة على أي حال. هكذا، أصبحت حراً مجدداً، باستثناء مئة يقيم في المغرب». ضحك.

«سنشتر دافتي. أعني بشأن أرابيلا».

سألها «أنا واثق من ذلك. كيف تتعاطى مع تشارلز؟».

«بالطريقة نفسها تقريباً. أتمنى أن تساعدنا رحلة اليخت. سيتمحما ذلك وقتاً للتعرف أكثر إلى بعضهما. إنه رجل لطيف، وإنما لاصح جداً».

«لا شك في أن طفلي زيلي سيئلف أعصابه». ضحكاً على ذلك. «على

أي حال، استمتعي بوقتك على اليخت ماكن. اليوم الكبير أت، هل أنت خائفة؟ هل ترتدين؟». كان فضولياً بشأن ذلك وتمنى لها الخير.

«لا أرتعد. أعرف أنني أفضل الشيء الصحيح. أظن أنه ملائم لي. أتمنى فقط لو أن فترة التكيف كانت أسهل قليلاً، على الجميع». فمحاولة جمع طريقي تقيض مصدر توتر بالنسبة إليها. لا يحسدها بلايك على ذلك.

قال بلايك بصراحة: «لا أظن أنني أستطيع فعل ذلك مجدداً، أظن أن أرابيلا شغفتي».

«أتمنى لا. ستعثر على المرأة المناسبة». لقد تغير كثيراً خلال الشهرين الماضيين. تضاءلت ما إذا كان مستعداً للتزوج، بدلاً من متابعة اللهو. لا تعرف أيضاً. يمكن أن يحصل ذلك. تمت ذلك له. من الجيد له أن يستقر، ويخصص المزيد من الوقت لأولاده.

«سأصلك بك على اليخت»، وعداها، ثم أقفلا الخط.

تلك الليلة، تناولت وتشارلز العشاء مع أهلها. اشترى تشارلز كل أنواع الأدوية المضادة لدوار البحر التي استطاع العثور عليها، وكان لا يزال يرتعد من فكرة تمضية العطلة على يخت بلايك. إنه يفعل ذلك من

بتهديب، وبعد بضع دقائق، توجهنا إلى المائدة لتناول العشاء. كانت أمسية لطيفة جداً، وبدا تشارلز مسترخياً ومرتاحاً حين غادر. أحب والديها، مما جعل ماكسين سعيدة هي أيضاً. ثمة مجال سهل لهما على الأقل. لا يجيد التعامل تماماً مع أولادها بعد، وهو يغار من بلايك. لكنه يحب ماكسين، مثلما يذكرها غالباً. ويحب والديها. عرفنا أن بقية الأمور سَحَل في الوقت المناسب، خصوصاً بعدما يتوقف طفل زيلي عن الصراخ. على أن يفعل ذلك بعد عودتهم من رحلة اليخت.

أجل ماكسين، واعترف لأهلها تلك الليلة أنه لا يتطلع كثيراً إلى ذلك. «أظن أنك ستستمع بالرحلة»، قال والدها فيما تحدث الرجلان عن مسائل طبية وعن الغولف. «إنه يخت جميل. وبلايك رجل لطيف فعلاً. هل التفتيت به يوماً؟». سأل آرثر كورنرز صهره المستقبلي عن صهره القديم.

«لا، لم أفعل»، قال تشارلز مع نظرة متوترة. ثم من سماع أخبار بلايك، من أولاده وماكسين والآن والدها. «لست واقفاً من أنني أريد ذلك. لكن ليس لدي خيار آخر في هذه المسألة. سيأتي إلى زفافنا، وسيقيم لنا حفلة عشاء قبل الزفاف».

ضحك آرثر «هذه طريقته، إنه مثل ولد كبير في جسم رجل. كان مغطلاً مع ماكسين، والداً خسيساً، لكنه رجل محترم. إنه فقط غير مسؤول وجنسى الكثير من المال في سن مبكرة جداً. دمره ذلك. لم يعمل ليوم واحد منذ ذلك الحين، وإنما يلهث فقط وراء النساء ويشترى البيوت. أعدت على تسميته التذلل».

«لبس هذا هو الرجل الذي تريد أن تتزوج ابنتك به»، قال تشارلز بصرامة وهو يشعر بعدم الثقة مجدداً. لماذا يجب الجميع بلايك كثيراً؟ ليس هذا عدلاً، نظراً إلى انعدام المسؤولية المعروف بها. ليس جيداً كفاية أن يكون الإنسان ممتعاً ويستمتع بوقته.

وافق آرثر على القول «لا، ليس كذلك، فكرت في ذلك حين تزوجته. كان رجلاً غريب الأطوار حينها، مع كل أنواع الأفكار المجنونة. لكنه ممتع كثيراً». نظر إلى تشارلز حينها وابتسم. «من الجيد أن تتزوج ماكسين أخيراً بطبيب. أقول إنكما التناغم المثالي». ابتسم تشارلز ابتسامة عريضة على ذلك. «كيف حالك مع الأولاد؟».

«أحتاج إلى بعض الوقت للتكيف خصوصاً وأن لا أولاد لدي». «لا بد من أن الأمر جميل لك الآن»، ابتسم آرثر وهو يفكر في أحفاده الذين يحبهم بجنون. «إنهم أولاد رائعون». وافق تشارلز معه

## الفصل الحادي والعشرون

سافر تشارلز وماكسين وأولادها الثلاثة مباشرة من نيويورك إلى تيس، وحين غادروا المنزل، كان جيمي لا يزال يصرخ.

كانت رحلة سهلة، انتظروهم في مطار تيس ثلاثة من أفراد طاقم يخت بلايك والقبطان، واصطحبوهم إلى اليخت في سيارتين. لم يعرف تشارلز ماذا يتوقع لكنه تفاجأ قليلاً بالهدايا الموحدة وبحرقية أفراد الطاقم. بدا جلياً أن اليخت ليس عادياً، فيلايك وويليام ليس رجلاً عادياً. أطلق بلايك على اليخت اسم الأحلام الجميلة، ولم يخبر ماكسين تشارلز، لكن بلايك اشترى اليخت وأثقه لها، كان بالفعل حلماً جميلاً. إنه يخت طوله مئتان وست وأربعون قدماً، مثل اليخوت التي لم يرها تشارلز في حياته. ثمة طاقم من ثمانية عشر شخصاً على متنه، مع حجلات أجمل من حجلات معظم المنازل أو الفنادق. ثمة ثروة من الفنون معلقة على الجدران الخشبية بداخله، يفرح الأولاد كثيراً حين يكونون على متنه. تجولوا فيه كما لو أنه منزلهم الثاني، وهو في الواقع هكذا نوعاً ما.

فرحوا كثيراً برؤية أفراد الطاقم، الذين فرحوا هم أيضاً برؤيتهم. كان أفراد الطاقم مدربين على تلبية كل حاجة يمكن أن تخطر في البال، وتدلّهم بكل طريقة ممكنة. ما من طلب مرفوض أو صغير أو موضع تحال. إنها الفترة الوحيدة في السنة التي تشعر فيها ماكسين أنها مدللة تماماً وتستطيع الاسترخاء كلياً. تولى أفراد الطاقم تسليّة الأولاد، وأخرجوا الألعاب في كل محطة توقف. هناك دراجات مائية، ويخوت صغيرة، وقوارب سريعة، وطوافات لجرها خلفهم، ومهبط للمروحية حين يكون بلايك على متنه. وهناك مسرح لتسليتهم ليلاً، وناد كامل التجهيزات ليمارسوا فيه التمارين الرياضية، واختصاصي في التديك لتدليلهم جميعاً.

جلس تشارلز على متن اليخت وهو يبدو مذهولاً وغير مرتاح، فيما غادر اليخت العملاق المرفأ. قدمت له مضيفة شرباً، فيما عرضت عليه مضيفة أخرى الخضوع للتديك. رفض الأمرين، فيما راقب موناكو تنقل خلفهم فيما هم يحرون باتجاه إيطاليا، كانت ماكسين مع الأولاد في الأسفل يقرعون الحفائب ويرتدون ثياباً مريحة، لحسن الحظ أن أياً منهم لا يصاب بدوار البحر، وعلى يخت بهذا الحجم، رأى تشارلز أنه لن يعاني من الدوار هو الآخر، كان يراقب الشاطئ بمنظار حين سعدت ماكسين إلى الأعلى للعثور عليه. كانت ترندي قميصاً فلفنياً وردي اللون وسروالاً قصيراً. طلب من تشارلز قبلاً وبتهذيب عدم انفعال حذاء على المنصة الخشبية. كان يصرب، وانتم ماكسين فيما جلست بقربه، وقبّلت عنقه.

«هل أنت بخير؟»، بدت سعيدة ومسترخية، وأكثر أناقة مما راها قبلاً.

أوما برأسه مع ابتسامة بريئة. «أنا أسف لأنني أحدثت جلية كبيرة بشأن المجيء، على اليخت. أفهم الآن لماذا تحببته. ومن لا يفعل؟ شعرت فقط بالغرابة لأنه يخص بلايك. الأمر أشبه قليلاً بانتعال حذائه. إنه نموذج يصعب عليّ أن أحذو حذوه. كيف لي أن أوتر فيك بعد كل ما تملكينه؟». كان صريحاً في قوله ذلك، ومتواضعاً، فأثّر فيها. من الجميل مضية عطلة معه، حتى لو كان ذلك على يخت بلايك. إنها مع تشارلز، وليست مع بلايك، تماماً حيث أردت أن تكون، ومع الشخص المناسب.

«لست مضطراً إلى التأثير في هذه الطريقة. أنت تؤثر في شخصيتك. لا تتن أنني تخليت عن كل هذا».

«لا شك في أن الناس ظنوا أنك مجنونة. هذا هو رأيي».

«لم أكن هكذا، لم تكن ملائمين لبعضنا. لم يكن أبداً موجوداً. كان زوجاً سخلاً، ليس للأمر علاقة بهذا، تشارلز. أنا أحبه، لكنه مخادع. لم يكن الرجل المناسب لي، ليس في النهاية على أي حال».

بدا تشارلز مشككاً «هل أنت واقعة؟ كيف يمكن للإنسان أن يكون

مخادعاً ويجنى ما يكفى من المال لا تملك كل هذا؟». رآه صائب.

«إنه جيد في الأعمال، وهو يرغب بالمجازفة بأي شيء ليربح، إنه مجازف جيد، لكن هذا لا يجعله زوجاً أو أباً جيداً. لقد جازف معي في النهاية، وغسر. تصوّر أنه يستطيع عدم التواجد أبداً، وفعل ما يشاء، والظهور مرة بين الحين والآخر، من دون أن يخبرني. بعد فترة، لم يعد الوضع مناسباً لي. أردت زوجاً وليس اسماً، كل ما حصلت عليه هو اسمه.»

«ليس اسماً سيئاً»، علّق تشارلز فيما أنهى كويته.

«أفضل اسمك»، همست له فيما اقترب منها وقتلها.

«أنا رجل محظوظ جداً»، كان يبتسم ابتسامة عريضة فيما قال ذلك.

«حتى لو كان لدي ثلاثة أولاد يسببون لك المشاكل، ومهنة مستنفذة للوقت، وزوج سابق مجنون، ومربية أحضرت طفل مخدرات بناء على إشعار من أربعة أيام؟». سأنت وهي تنظر إليه في عينيه. نطق أحياناً من قدرته على تحمّل حياتها. فهي أكثر غرابة مما هو معاد عليه. ليست حياة غريبة بقدر حياة بلاك، لكنها أكثر نشاطاً من أي شيء عرفه. إلا أن التواجد معها يشعل حماسه أيضاً، وبالرغم من تدمرته، كان مجنوناً بها. تستطيع الإحساس بذلك الآن.

قال جواباً عن أسئلتها السابقة: «دعيني أفكر في الأمر لبرهة، لا، بالرغم من هذا، أحبك ماكس. أحتاج فقط إلى بعض الوقت لأعتاد على كل هذا. خصوصاً الأولاد. لا أشعر بالارتياح معهم بعد». كانت هذه صراحة منه أيضاً. «لم أظن أبداً أنني سأعق في غرام امرأة مع ثلاثة أولاد، لكنهم سيرحلون خلال سنوات قليلة.»

«ليس بسرعة»، ذكرته. «سام في السادسة فقط. والاثان الآخران لا يزال عليهما إنهاء الثانوية.»

«قد يحذون صفاً»، مازحها. لا تحب توفه الشديد كي يكبر أولادها

ويغادر وا. إنها المشكلة الوحيدة فيه بالنسبة إليها. إنها مسألة مهمة بالنسبة إليها، حتى الآن، عاشت مع أولادها، ولا تنوي تغيير هذا كرمي لأي كان، ولا حتى لتشارلز.

أخبرته حينها عن دار أيتام بلاك المغربي، وحذرتَه بضرورة عدم إخبار الأولاد. يريد والدهم أن تكون مفاجأة.

«ماذا سيفعل مع مئة يتيم؟». بدأ تشارلز مذهولاً. لم يفعل أي شخص مثل هذا الأمر؟ حتى مع مال بلاك، بدأ هذا أمراً محتوناً.

«سيقوم بإيوائهم، وتعليمهم، والاعتناء بهم، ومن ثم إرسالهم بعيداً إلى الجامعة في يوم من الأيام. إنه ينشئ مؤسسة للعناية بالأيتام. هذا لطف منه. إنها هدية مذهلة لأولئك الأولاد. يستطيع تحمّل التكاليف، ولن يؤثر الأمر إطلاقاً في ثروته». كان تشارلز واثقاً من ذلك بمجرد النظر إلى البيخت وبعد كل ما قرأه عن بلاك. إنه صاحب أكبر الثروات في العالم. لا يزال تشارلز متفاجئاً لأن ماكسين لم تأخذ شيئاً منه، وكانت مكثفة بحياة إنسانية عادية. لا يستطيع عدد كبير من النساء مقاومة رغبة الإخلاص له حين يغادرن. وشك في أن هذا هو السبب الذي جعلها هي وبلاك صديقين جديدين لأنه عرف كم هي إنسانة طيبة. يدرك تشارلز هذا الأمر تماماً.

استلقيا على المصطبة لفترة بعد ذلك، وانضم الأولاد إليهما لتناول الغداء. إنهم يتوقون إرساء البيخت خارج بورتوفينو تلك الليلة. قالت البيخت كبير جداً للدخول إلى المرفأ، ولا يكثرث الأولاد أبداً للتزول إلى اليابسة. من هناك، سيذهبون إلى كورسيكا أيام عدة، ثم ساردينيا وكابري وإيلبا في طريق العودة. لقد خططوا لرحلة جميلة، وسيمنسون معظمها على البيخت.

تفاجأت ماكسين كثيراً حين لعب تشارلز مع الأولاد خلال الليل. لم تره أبداً مسترخياً هكذا، نزع ساه جبيرتية للتو، وأصبح ضلعاه أفضل حالاً فاستطاع التحرك حول البيخت بسهولة. وأخذ تشارلز على إحدى الدراجات المائية في اليوم التالي. بدأ أشبه بولسد هو الآخر. ذهب بعدها

للغوص تحت الماء مع أحد أفراد الطاقم الذي يحمل شهادة في الغوص . ذهب للسباحة تحت الماء مع ماكسين بعد الغداء . سبحا إلى شاطئ صغير معاً ، واستلقيا على الرمل الأبيض . كان جياك ودافني يراقبانهما بواسطة المنظار ، وكشفت دافني عن نظرة اشمئزاز حين قفلا بعضهما . لا تزال دافني تعامله بقسوة ، لكن يصعب تقاديه على اليخت . في النهاية أصبحت مسترخية بعد أن علمها كيفية التزلج على الماء . إنه جيد في ذلك ، وعلمها بعض الخدع التي تسهل التزلج عليها .

فرحت ماكسين لرؤية تشارلز يتعاطى بحنان مع أولادها . لقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً ، ولم يسهل الأولاد المهمة عليه ، باستثناء سام الذي يتكيف مع الجميع ، وشعر بالأسف عليه . رأى أن دافني حقيرة جداً ، وتقول الكثير من الأمور العرصة لتشارلز .

«هذا هو أريك ، أليس كذلك؟» ، قال تشارلز وهو يضحك . كانت معنوياته جيدة منذ وصولهم إلى اليخت ، وبالرغم من تفرده السابق ، اعترف لماكسين بأنها أفضل عطلة عاشها ، ولم تره أبداً أكثر استرخاء .

اتصل بهم بلايك في اليوم الثاني . أراد التأكد فقط من أن الرحلة على ما يرام ، وطلب من ماكسين إبلاغ بحياته إلى تشارلز . أجلت موعد التذليك ، لكن سحابة عبرت أمام عيني تشارلز .

«لماذا لا تسترخي بشأنه؟» اقترحت ماكسين ، وأوماً تشارلز برأسه ولم يقل أي شيء . فهمها قالت لطعامه ، لا يزال يغار بشدة من بلايك . إنها تفهم ذلك ، لكن الأمر يبدو غير ضروري بالنسبة إليها . إنها مغرمة بتشارلز ، وليس ببلايك .

تحديداً عن زفافهما ، وثقت بريداً إلكترونياً من متعهد تقديم الطعام ومصمم الزفاف . كل شيء تحت السيطرة .

سبحا في المياه الجميلة قبالة كورسيكا ، واستلقيا على الشواطئ الرملية البيضاء . توجه اليخت بعدها إلى سردينيا ، التي كانت أكثر اجتماعية . وتستقبل يখনاً كبيرة أيضاً . تناول تشارلز وماكسين العشاء على اليابسة ، ثم

غادر اليخت في اليوم التالي إلى كابري . يستمتع الأولاد دوماً هناك ركابا في العربات التي تجرها الأحصنة ، وتسووقوا قليلاً ، واشترى لها تشارلز سواراً فيروزياً جميلاً أحبته . أخيراً مجدداً في طريق العودة إلى اليخت أنه يمضي وقتاً رائعاً في الرحلة . كانا سعيدين ومسترخيين . أعطاهما بلايك هدية رائعة مع اليخت . وبدأ الأولاد أخيراً يستمعون بصحبة تشارلز ، ولا يتدمرون منه كثيراً أمام ماكسين ، بالرغم من أن دافني لا تزال تقول إنه متزمت . لكن مقارنة مع والدها ، يعتبر الجميع متزمتاً . تشارلز إنسان ناضج في الصميم . لكنه لا يزال ينجح في تمضية وقت جيد ، وإخبار بعض النكات . لقد رقص على متن اليخت مع ماكسين في إحدى الليالي على وقع الموسيقى الجميلة التي وضعها أفراد الطاقم .

«ألا يزعجك أن تكوني على متن يخته مع رجل آخر؟» ، استفسر تشارلز .

أجابت «على الإطلاق ، فهو يأتي إلى اليخت مع نصف نساء العالم . الأمر انتهى بيني وبين بلايك قبل وقت طويل . ما كنت لأتزوج بك لو لم تكن الحال كذلك» . رأى تشارلز أن هذا صحيح ، لكنه يشعر أن بلايك موجود في كل مكان ينظر إليه ويراقبه . ثمة صور فوتوغرافية له في كل مكان ، وبعض الصور لماكسين ، والكثير من الصور للأولاد . كانت الصور موضوعة كلها في أطر فضية جميلة .

مزت الأسابيع بسرعة كبيرة ، وحلت فجأة الليلة الأخيرة . أوفوا باليخت في سان جان كاب فيرات على أن يذهبوا إلى موتني كارلو في اليوم التالي للسفر إلى أميركا . إنها ليلة جميلة تحت ضوء القمر ، وشاهد الأولاد قليلاً سينمائياً ، وجلست هي وتشارلز على كرسيين كبيرين يتحدثان بهدوء .

اعترفت له «أكره العودة إلى المنزل» . ضحكت فيما قالت ذلك ، ووافقها الرأي . «سيكون الأسبوعان القادمان مجنونين قبل الزفاف» ، حذرت ، لكنه لم يكن قلقاً أو متزعجاً أبداً .



«تصورت ذلك. سأخبتني في مكان ما إذا وجدت الأمر كثيراً بالنسبة إلي».

تتوي ماكسين العمل لمدة أسبوعين، وعليها إنجاز الكثير من الواجبات في العيادة ومعاينة العديد من المرضى قبل أن تأخذ إجازة في شهر أغسطس من أجل الزفاف وشهر العسل. ستتولى تيلما العمل نيابة عنها مجدداً، مثلما تفعل دوماً.

حين عادوا إلى أميركا، كان الزفاف مرتقباً بعد أربعة أسابيع. بالكاد تستطيع الانتظار، ستتقل ماكسين وأولادها إلى منزلها في ساوثامبتون في الأول من أغسطس، على أن يأتي تشارلز أيضاً. ستأتي أيضاً زيلي وطفليها، وأملت ماكسين أن يكون ذلك مريحاً للجميع. ستكون هذه جرعة كبيرة من الحقيقة بالنسبة إلى تشارلز، لكنه قال إنه مستعد لذلك. كانا متحمسين للزفاف، وسيكث والداها معهم في عطلة نهاية أسبوع الزفاف أيضاً. هكذا، سيجد تشارلز من يتحدث إليه، فيما تنهي ماكسين التفاصيل النهائية. والمرة الوحيدة التي لن يبقى فيها تشارلز معهم هي الليلة التي تسبق الزفاف بعد حفلة العشاء. حجزت له غرفة في الفندق، بحيث لا يراها صباح يوم الزفاف. إنها تتشامم من ذلك، فيما قال هو إنها سخافة لكنه أراد تحييلها ليلية واحدة.

«قد تكون هذه الليلة الوحيدة التي أحصل فيها على نوم جيد، مع كل الأشخاص الموجودين في منزلك». هذا مختلف تماماً عن المنزل الهادئ في فيرمونت. لكن ماكسين لم تتأبأ أبداً الذهاب إلى هناك لأنها لا يستطيعان أخذ الأولاد معهم. على عكس المنزل الكبير في الهامبتون، الذي يشع لهم جميعاً ويبقى هناك مجال للضيوف.

أرسي القبطان اليخت في مرفأ مونت كارلو في وقت باكر من صباح اليوم التالي، وكان الجميع مستيقظين. تناولوا آخر فطور لهم على متن اليخت، ثم أوصلهم أفراد الطاقم إلى المطار. ومباشرة قبل المغادرة، وقفت ماكسين تنظر إلى اليخت الجميل من المرفأ.

«تحببته، أنيس كذلك؟»، سألتها تشارلز فيما أومات برأسها. «نعم، أحبه»، قالت ماكسين بهدوء. «أكره دوماً تركه». نظرت إليه حينها. «أحضيت وقتاً رائعاً معك تشارلز». اقتربت منه وقبّلته، وقبّلتها هو مجدداً.

«وأنا أيضاً»، قال فيما وضع ذراعه حول خصرها ومشياً معاً بعيداً عن يخت الأحلام الجميلة، وصعدا إلى السيارة. كانت العطلة المثالية بالنسبة إليهما.

## الفصل الثاني والعشرون

الأيام العشرة التالية في العيادة كانت هستيرية بالنسبة إلى ماكسين. وحين تغادر في شهر أغسطس، ستغيب لمدة شهر كما قرّرت، لكن معظم مرضاها سيغيون هم أيضاً. فالعديد منهم يذهبون بعيداً في عطلات الصيف مع أهلهم. لكن عليها معاينة عدد من الحالات الصعبة قبل أن تسلّم الأمانة إلى تيلما، وأردت أن تبقىها تيلما على اطلاع بأخر الأخبار.

تناولت المرأتان الغداء مباشرة بعد عودة ماكسين من رحلة اليخت، وسألتهما تيلما عن تشارلز. التقت به مرتين، لكنها لم تفهمه كثيراً واستوعبت فقط أنه متحفظ جداً. التقت ببلاك مرة واحدة أيضاً وقالت إن الرجلين يختلفان مثل الليل والنهار.

«أنا والقة من أنك لا تختارين صنفاً محدداً»، مارحتها تيلما، «وإذا كنت تغليين، لست واثقة من النوع تحديداً».

«ربما تشارلز، نحن متشابهان أكثر. بلاك كان خطأ ميكراً»، قالت ماكسين يعقوبة، ثم أعادت التفكير، «لا، ليس هذا صحيحاً، أو عادلاً، كان الزواج ناجحاً حين كنا شابين، أنا وضجت، لكنه هو لم يفعل، وأصبح كل شيء قاسداً بعد ذلك».

«لا، ليس صحيحاً. حصلت على ثلاثة أولاد رائعين نتيجة الزواج».

لتيلما ولدان وهما رانغان. زوجها صيني، من هونغ كونغ، وولداها نوا بشرة رائعة بلون الكاراميل مع عيون أسوية كبيرة. إنهما مزيج من الاثنين. انتهت عارضة أزياء مرافقة، ولطالما قالت تيلما إن ابنتها يحتم ظوب الجميع في المدرسة. ومثلما فعلت أمه قبلاً، سيذهب إلى جامعة هارفارد في الخريف ويتوجه إلى كلية الطب بعد ذلك. زوجها طبيب أيضاً، طبيب قلب ورئيس قسم في جامعة نيويورك، وكان زواجهما

ناجحاً. تحاول ماكسين دعوتهم هم الأربعة إلى العشاء منذ فترة طويلة، لكنهم لم ينجحوا في تدبير الأمر حتى الآن. فجميعهم مشغولون كثيراً. قالت تيلما: «يبدو تشارلز جداً كثيراً بالنسبة إلى». ووافقت معها ماكسين.

«هذا صحيح، لكن ثمة جانب لطيف فيه أيضاً، إنه جيد جداً مع سام».

«والآخرون؟».

«يعمل على ذلك»، ابتسمت ماكسين. «دافني صعبة».

«يا الله، أفقدني من الفتيات المراهقات»، قالت تيلما وحزمت عينيها. «جينا تكرهني هذ الأسبوع. إنها تكرهني فعلياً منذ عامين. أظن أحياناً أنها ستكرهني دوماً. لا أعرف ما الخطأ الذي ارتكبه معظم الوقت، لكن برأيها هي، ما إن أنهض من السرير، حتى أصبح مزعجة. الشيء الصحيح الوحيد الذي أفعله هو أنني أسمح لها بانتعال أحذيتي كلها». ضحكت ماكسين على الوصف. لديها المشاكل نفسها مع دافني، بالرغم من أنها أصغر بستين ولم تصل إلى هذا الغضب بعد. لكنها تتقدم نحو ذلك. سيكون المسار طويلاً.

«كيف حال بريثك مع طفليها، بالمناسبة؟».

«لا يزال بيكي. تقول زيلي إن طبيب الأطفال يرى أنه بخير، لكنه تكيف صعب. اشترت تشارلز صمامتين للأذنين لاستعمالها حين تذهب إلى ساوثامبتون. أنا أضعها أيضاً. إنه الشيء الوحيد الذي يجدي فعلاً. ستعاني زيلي من السم نتيجة حملها إذا لم يتوقف العطل سريعاً عن الكياء». ابتسمت ماكسين بحتان فيما قالت ذلك.

«يبدو هذا ممتعاً»، قالت تيلما وضحكتا كئاهما. من الجميل أخذ استراحة لبعض الوقت والاسترخاء خلال تناول الغداء. لا تفعل ماكسين ذلك غالباً، وهي مشغولة جداً في عيادتها بحيث تشعر بالذنب حيال ذلك، لكن تيلما صديقة جيدة. إنها واحدة من الأطباء النفسانيين القلائل الذين نتق ساكسين بهم.

مثلاً كان مخططاً، سلّمت ماكسين مرضاها إلى تيلما في الأول من أغسطس، وغادروا جميعاً إلى ساوثامبتون في قافلة من السيارات. سيارتها، وسيارة تشارلز، وقادت زيلي سيارة كبيرة متناجرة. ركب الأولاد مع زيلي لأن سيارة ماكسين كانت محملة بأغراض الزفاف. وقاد تشارلز لوحده سيارته التي أم دبليو شديدة الترتيب. لم يقل ذلك، لكن ماكسين عرفت أنه لا يريد الأولاد فيها. وسعدوا هم بالركوب مع زيلي لأن السيارة هي المكان الوحيد الذي ينام فيه جيبي ويتوقف أخيراً عن النكاه. هذا مصدر ارتياح كبير، وفي أكثر من مرة حين كان يفرغ ما في داخل رثيته الصغيرتين في الشقة، كانت ماكسين تقترح على زيلي أخذ السيارة والقيام بجولة حول المبنى. فعلت ذلك مرات عدة، ونجح الأمر. أسفت ماكسين لأنها لا تستطيع فعل ذلك طوال الليل. إنه ولد صغير ظريف مع وجه جميل. يصعب التعلّق به لأنه يبكي كثيراً، لكنه بدأ يحسن ببطء في الأسبوع الماضي. ثمة أمل. وإذا حالقهم الحظ كفاية، سيتوقف عن النكاه حين ينتقل تشارلز إلى المنزل بعد شهر العمل. أجل إحضار ثيابه إلى المنزل حتى ذلك الحين.

وضع تشارلز أشياءه في غرفة نومها ما إن وصلوا إلى المنزل في ساوثامبتون. أعطته خزائنه، وملأت خزائنها بالأغراض التي أحضرتها من المدينة. وضعت فستان زفافها، وعلّقته بعناية في خزائنه في إحدى غرف الضيوف، مع فستان دافني الذي لم تجزّبه بعد. لقد رفضت ذلك حتى الآن، وأدّعت أنها ستؤت الزفاف وتبقى في غرفتها. أصبحت تستلطف تشارلز أكثر بعد رحلة النخت، ولكن ليس بما يكفي لروثيها يتزوجان. لا تزال تقول لأمها إنها ترتكب خطأ وأنه رجل ممل جداً وصارم جداً. قالت ماكسين بهدوء: «ليس مملًا، دافني، إنه مسؤول وصلب».

«لا، ليس كذلك»، أصرت ابنتها. «إنه مضجر وتعرفين ذلك». لكن ماكسين لا تضجر أبداً معه. إنه مهتم دوماً بعملها، ويتحدثان عن الطب في معظم الأوقات. هي وتيلما لا تفعلان ذلك أبداً. لكن هذا أكثر ما تستمتع به هي وتشارلز.

في الأسبوع الأول، توجب على ماكسين الاعتناء بألف تفصيل، والاجتماع بمتعدد تقديم الطعام ومصمم الزفاف. تحدثت إلى متجر الأزار كل يوم تقريباً. سيضعون أزاراً بيضاء في كل مكان، ويحضرون أسابجاً من الشجيرات والأشجار المثذبة فتياً مع القليل من أزار الأوركيدة بينها. سيكون المظهر بسيطاً وأنيقاً، ورسمياً نوعاً ما. هذا ما تريده ماكسين بالضبط. لم يكن تشارلز مهتماً لتفاصيل الزفاف وعهد بها إلى ماكسين. في الليل، كانت تخرج هي وتشارلز لتناول العشاء أو يصطحبان الأولاد لمشاهدة فيلم السينما. وفي النهار، كان الأولاد يلعبون مع أصدقائهم على الشاطئ. كان كل شيء يسير على ما يرام إلى أن وصل بلايك في الأسبوع الثاني من تواجدهم هناك. تحوّل تشارلز إلى كتلة جليدية لحظة وصل بلايك.

مرّ بلايك بالمنزل لروثيها والأولاد، وعزّفه إلى تشارلز. لم تشاهد قبلاً تشارلز متصلاً أو متزججاً هكذا. كان يتخذ موقفاً عدوانياً كلما تكلم بلايك، بالرغم من أن بلايك كان مرتاحاً جداً، وجذاباً مثل أي وقت مضى. دعاه بلايك للعب تنس في النادي، لكن تشارلز رفض ذلك ببرود مما أثار حزن ماكسين. لثرت بلايك معه بروح مرحّة ولم يكن عدائياً لثيقة. لكن تشارلز لم يستطع التواجد بقربه في أي مكان، وأثار شجاراً مع ماكسين تلك الليلة من دون أي سبب. استأجر بلايك منزلاً مجاوراً، لمدة أسبوع، مباشرة على الشاطئ، مع حوض سباحة، مما جعل تشارلز يحتدم غيظاً. شعر أنه يتجاوز خصوصيتهم، وقال ذلك لماكسين.

قالت ماكسين: «لا أعرف لم أنت غضب كثيراً، كان لطيفاً جداً معك». رأت أن تشارلز يتصرف بطريقة غير منطقية. في النهاية، هو الفائز والعريس.

«تصرفين كما لو أنك لا تزالين متزوجة به»، اشكى لها.

«لا». بدت مصدومة بما قاله. «هذا شيء سخيف».

«كنت تعاقبه. ولم يستطع إبعاد يديه عنك». كان تشارلز غاضباً

وكذلك هي. فإتاهاماته غير عادلة. هي وبلايك يتعاطقان مع بعضهما، لكن ما من شيء أكثر من ذلك، ولم يكن هناك شيء منذ أعوام.

كانت شديدة الغضب «من المقررف قول ذلك، إنه يعاملتي مثل أخت له. وهو يبذل جهداً كبيراً للتحدث إليك، فيما لفظت بالكاد كلمتين أمامه. سيقم لنا حفلة عشاء الزفاف، وبالكاك كنت مهذباً معه، وبذلت جهداً، للجنة، أمضينا أسبوعين على يخته».

«لم تكن هذه فكريتي!»، صرخ تشارلز في وجهها. «أجبرتني على ذلك. وتعريف رأيي في عشاء حفلة الزفاف. لم أرد ذلك أيضاً».

«أمضيت وقتاً رائعاً على اليخت»، ذكّرت.

«نعم، فعلت»، اعترف لها. «لكنني أسأله إذا خطر في بالك ماذا يعني لك النوم مع خطيبة في السرير الذي كانت تنام فيه مع زوجها. حياتك غريبة قليلاً علي، ماكسين».

«أه لا تكن متزماً هكذا. إنه مجرد سرير. لا ينم فيه معنا».

«قد يفصل ذلك!»، قال تشارلز وخرج من الغرفة، وضّب أغراضه تلك الليلة وغادر في الصباح إلى فيرمونت. قال إنه سيعود في الوقت المناسب للزفاف. إنها بداية رائعة. لم يجب حتى على هاتفه الخليوي طوال يومين، مما جرح مشاعر ماكسين، ولم يعتذر أبداً عنها على تصرفه حين تحدثنا أخيراً. بدأ صارماً وبارداً. لم تحب ماكسين إتاهاماته. ولم يحب تشارلز تواجد بلايك في الجوار، ودخوله إلى المنزل وخروجه منه. قال تشارلز إن بلايك يتصرف كما لو أن المنزل لا يزال منزله، وغضبت من ذلك وقالت إن هذا ليس صحيحاً.

«إدآ، أين العريس؟»، سألت بلايك وهو ينظر حوله حين مر بالمنزل في اليوم التالي.

«ذهب إلى فيرمونت»، قالت عبر أسنانها المطبقة.

«أه. هل أستم رائحة مشاكل ما قبل الزفاف»، مازحها فتذمرت

منه.

«لا، ما تلمه هو غضبي منه لأنه يتصرف مثل الأحمق»، لا تكذب أبداً على بلايك. يمكنها أن تكون صريحة معه، حتى لو توجب عليها حفظ ماء الوجه أمام أولادها. أخبرتهم أن تشارلز يحتاج إلى بعض الراحة والهدوء قبل الزفاف، وحزّت دافني عينيها بمكر. قرحت لأنه غادر.

«مما أنت غاضبة ماكس؟ يبدو رجلاً لطيفاً».

«لا أعرف كيف نستطيع قول ذلك. بالكاك قال لك كلمتين البارحة. رأيت أنه فابن جداً، وأخبرته ذلك بالفعل. فأقل ما يمكنه فعله هو التحدث إليك. وصرخ في وجهك حين دعوته للعب التنس».

«ربما يتزعج من وجود زوجك السابق. لا يفكر جميع الأشخاص بالفتح مثلنا»، قال وهو يضحك، «أو يجنون».

«هكذا ما يقوله». ابتسمت لبلايك. «يظن أننا جميعاً مثل المجانين. وطفل زيلي يوقر أعصابه». أرادت أن تقول: «وكذلك يفعل أولادنا»، لكنها ترددت في إخباره هذا، لا تريد أن يقلق بلايك بشأنه. لا تزال متقنعة بأنه هو والأولاد سيعادون على بعضهم، وربما يجنون بعضهم مع الوقت.

«علي الاعتراف أن طفل زيلي مزعج قليلاً». ابتسم لها. «هل تعتقدن أنها ستعثر على زرّ الصوت في ذلك الطفل؟ لا بد من أن أمه تعاطت الكثير من المخدرات».

«لا تدعها تسمعك وأنت تقول هذا. سيتحسن. يحتاج إلى الوقت».

«لا أستطيع لوم تشارلز على ذلك»، قال بلايك بصراحة. «ماذا عنك؟ ألم نخافي بعد؟». كان يمازحها، ودفعته بعيداً عنها مثل ولدين يلعبان في علية رمل.

«أه، اسكت. لقد تركني للتو. لست خائفة».

«يجدر بك ذلك»، قالت لها دافني فيما مرّت قريهما.

«توقفي عن ذلك». قالت لها ماكسين ثم هزّت رأسها. «فأذا مزعجة.

هل أخبرتهم عن مشاريعك لدار الأيتام؟»، سألت بلايك.

«كنت أنوي فصل ذلك الليلة. أتمنى أن يعتبروا الفكرة جميلة ولا ينزعجوا. يبدو أن لديهم الكثير من الآراء الخاصة بهم هذه الأيام. أخبرني جاك للتو أن سروالي قصير جداً، وشعري طويل جداً، وشكلي غير مرتب. قد يكون محقاً، لكن من المزجج سماع ذلك». كانت تبسم له فيما دخل سام ونظر إليه.

قال بغيرة موافقة: «تبدو لي جيداً، أبي».

«شكراً سام». عانقه بلايك وابتمس سام ابتسامة عريضة.

«هل تريدان الخروج لتناول البيتزا معنا هذه الليلة؟»، سأل ماكسين.

«طبعاً. أحب ذلك». ليس لديها شيء آخر لتفعله. تحب طريقة مجيء الجميع إلى منزل ساوثامبتون وتحويلهم فيه، وأحبت وجود بلايك أيضاً. من المؤسف أن تشارلز لم يستطع الاستمتاع. لكنه قال حين غادر إن هذا مصدر إرباك كبير بالنسبة إليه. أطلق عليه اسم السيرك ثلاثي الحلقات، ولم يكن الأمر إبطاء حين قال ذلك. ثمة أوقات ترغب فيها بقتله، مثل الآن، قبل الزفاف. قتل تفاصيل وحساسية ما قبل الزفاف تبرز أسوأ ما فيهما. لم تكن صبورة مثل المعتاد، وراحت أنه لا يتحلى بروح رياضية إذ هرب إلى فيرمونت لحظة وصول بلايك، ولم يفعل بلايك أي شيء سوى التصرف بلطافة معه. بدا واضحاً لماكسين أن تشارلز يعاني من عقدة منه. ألمت أن يتجاوز المشكلة سريعاً.

مرّ بلايك لاصطحابها هي والأولاد لتناول العشاء تلك الليلة، مثلما كان مخططاً، وأخبرهم عن دار الأيتام في المغرب فيما كانوا يتناولون الطعام. بدأ مذهولين قليلاً لدقيقة، ثم أدركوا كم ينظم شيئاً رائعاً. أخبروه جميعاً أنهم فخورون به. وكانت ماكسين فخورة بهم لتقديرهم ما يقوم به والدهم.

«هل تستطيع الذهاب للزيارة، أبي؟»، سأل سام باهتمام.

«طبعاً. يمكننا الذهاب جميعاً إلى مراكش في يوم من الأيام. لم يتنه

البناء بعد، لكن حين ينتهي، سأخذكم أتم الثلاثة معي». رأى أنه يجدر بهم رويته. إنه مختلف كثيراً عن عالمهم الصغير السعيد والأمن، وشعر أن هذا سيفيدهم.

أخبرهم بلايك كم كانت أمهم مذهلة حين ذهبت إلى المغرب لمساعدته. شرح لهم ما فعله، وما شاهداه، وأصغى الأولاد باهتمام. ثم سأله دافني عما حصل لأرابيلا.

«طردتها»، قال ببساطة. ليسوا بحاجة إلى معرفة البقية.

«هكذا؟»، سأل جاك، وأوماً بلايك برأسه، وثبك أصابعه.

«هكذا»، قلت لها اخبرني أيها الشريفة! وخرجت. مثل ألعاب الخفة. اختفت». بدا غامضاً حيال ذلك، وحضكوا جميعاً، بما في ذلك بلايك. لاحظت ماكسين أن شعوره بات أفضل. لقد تعافى بسرعة. يفعل ذلك دوماً. مشاعره تجاه النساء في حياته لا تتعمق أبداً، بالرغم من إدراك ماكسين بأن مشاعره تجاه أرابيلا كانت أعمق من مشاعره تجاه الأخريات. إلا أنها كانت نهاية مزعجة، نظراً إلى المشهد الذي وصفه في سيره. عرفت أنه لن يخبر الأولاد بذلك، ولا يجدر به فعل ذلك. وافقت على كيفية تعاطيه معهم.

قالت دافني باقتناع: «أنا مسرورة».

قال والدها: «أراهن أنك هكذا، كنت أشبه بروحس صغير معها في أسين».

«لا، لم أكن هكذا». دافعت دافني عن نفسها بشراسة.

«يلسى كنت هكذا»، قال سام وجاك وبلايك هذا مع بعضهم، فضحك جميع من كان حول الطاولة، بما في ذلك دافني.

«ربما، لكنني لم أحبها».

قال بلايك: «لا أعرف لماذا، كانت لطيفة معك».

«إنها مخادعة. تماماً كما يتصرف تشارلز بلطافة معنا. لا يكون ذلك نابعاً من قلبه». بدت ماكسين مصدومة من تعليقها.

«كيف يمكنك قول مثل هذا الشيء، دافني؟ ليس مخادعاً، إنه متحفظ»، احتجت.

«إنه مراوغ. يكرهنا. يريد أن يكون لوحده معك.»

تدخل بلايك «حسناً، هذا منطقي، إنه مغرم بأمك. لا يريدكم دوماً بقربهما أيها الأولاد.»

قالت دافني بكآبة: «لا يريدنا أبداً، يمكنك قول ذلك.»

لم تكف ماكسين عن التفكير في مسألة مديحة للمدرسة الداخلية. لدى الأولاد قدرات مذهلة، ولم تعلق أكثر. «لم تكن أرابيلا تريدنا أيضاً، لا أعرف لماذا لا تتزوج أنت وأمي مجدداً. أنتما أفضل من أي شخص آخر تخرجان معه. تخرجان مع أشخاص مرفحين، أنتم الاثنان.»

«شكراً، دافني»، أجاب بلايك نيابة عنهما مبتسماً ابتسامة عريضة. «حدث أن خرجت مع بعض النساء اللطيفات.»

«لا، لم تفعل. جميعهن سافطات»، قالت دافني وضحكوا جميعاً مجدداً. «وتخرج أُمي مع هؤلاء الرجال المملين والمترمتين.»

قال بلايك مبتسماً: «هذا رد فعل بسببي أنا، لا تظن أنني ناضج ككافية، ولذلك تخرج مع رجال ناضجين ككافية، لا يشبهونني أبداً. أليس هذا صحيحاً، ماكس؟» بدت مرحجة مما قاله، ولم تعلق. «بالإضافة إلى ذلك، تحب أنا وأُمك حياتنا بهذه الطريقة. نحن صديقان جيدان الآن. لا نتناجر. نستطيع الخروج معكم جميعاً. لدي سافطاتي ولديها رجالها المترمنون. هل من شيء أفضل من ذلك؟»

أجابت دافني: «تزوجا أنتما الاثنان مجدداً.»

قالت أمها بهدوء: «لن يحدث هذا، سأزوج بشارلز الأسبوع المقبل.»

«ومأقيم أنا حفلة العشاء»، أضاف بلايك تغيير الموضوع. أصبح الحديث ثقيلًا قليلاً عليهم، بالرغم من أن ماكسين رأت أنه من الطبيعي أن يرغب الأولاد بعودة والديهما إلى بعضهما، وأن الزواج بشخص آخر

سيند هذا الأمل إلى الأبد. «ستكون حفلة العشاء ممتعة كثيراً»، تابع بلايك، لتغطية الصمت الغريب الذي ساد بعد تعليقات دافني وجواب ماكسين. «أحضر مفاجأة لتلك اللبلة.»

«هل ستفزع من الكيك؟» سأل سام بسرور، وأشرق وجه الجميع فوراً فيما انفجروا في الضحك.

«سيحب شارلز فعلاً ذلك»، قالت ماكسين وهي تمسك معدتها فيما ضحكت.

«إنها فعلاً فكرة. لم تخاطر في بالي»، قال بلايك مبتسماً ابتسامة عريضة، ثم اقترح الذهاب إلى منزله المسنجر والسباحة بعد العشاء. بدت فكرة رائعة لهم جميعاً. أخذوا أثواب السباحة من منزل ماكسين، وذهبوا للسباحة في منزله. أمضوا وقتاً رائعاً، وقرر الأولاد تمضية الليل معه. دعا ماكسين للبقاء عنده أيضاً.

قالت بصراحة: «أود ذلك، لكن إذا اكتشف شارلز، فسيتلني. أفضل العودة إلى المنزل». هكذا، قادت المسافة القصيرة المؤدية إلى منزلها، وتركت الأولاد مع بلايك. كانت أمسية جميلة، وجاء إعلانه عن دار الأيتام جيداً. تتطلع ماكسين إلى اللقاء بهؤلاء الأيتام، والتحقق من تأثيرات الصدمة التي عاينها.

انتقل بلايك جينة وذهاباً إلى منزلها لبقيّة الأسبوع. أدركت ماكسين أنه من الأسهل عدم تواجده شارلز هنا. بالكاد اتصل بها طوال الأسبوع من فيرمونت، ولم تتصل هي به. تصوّرت أنه من الأفضل له أن يهدأ، وسيظهر مجدداً عاجلاً أم آجلاً. الزفاف بعد أيام قليلة.

يوم حفلة عشاء الزفاف، عاد تشارلز. دخل المنزل كما لو أنه غادروا للتو إلى المتجر لشراء الخبز. قبّل ماكسين، ودخل إلى غرفتهما، ووضع أحراسه. وحين رأى بلايك في المنزل بعد الظهر، تصرف بطريقة مهذبة، مما أثار استغراب ماكسين وارتياحها. بدأ تشارلز أكثر استرخاء مما كان عليه حين غادر. ومثلما قالت دافني بتهديب لوالدها همساً، بدأ

تشارلز وكأنه أخرج عصا المكنسة من بطنه. نظر إليها بلايك مذهولاً وقال لها إنه من الأفضل عدم قول ذلك لأمها. ضحك بلايك على ذلك فيما عاد إلى النادي للتحقق من تفاصيل حفلة العشاء تلك الليلة. ما قاتله دافني صحيح. يبدو تشارلز أفضل بكثير. كل ما أمه بلايك هو أن تكون ماكسين سعيدة مع تشارلز. تمنى لها الخير.

## الفصل الثالث والعشرون

اشترت ماكسين فستاناً جديداً لحفلة العشاء أيضاً، وحين رآها تشارلز فيه، صغّر إعجاباً، إنه فستان سهرة ذهبي باهت من دون كمين يلف جسمها مثل السارنغ. بدت مثل غرايس كيلى في شبابهها. وانتعلت صندوقاً ذهبياً عالي الكعب مناسباً له. قرر بلايك جعل حفلة العشاء بملابس رسمية.

بدأ تشارلز مرتباً جداً بسترته السوداء أحادية الأزرار. وحين وصل إلى الحفلة، كان بلايك يرتدي سترة بيضاء ثنائية الأزرار، مع سروال توكسيدو أسود، وربطة عنق سوداء على شكل فراشة، ويتنعل حذاءً جلدياً لامعاً. لاحظت ماكسين فوراً أن بلايك لم يكن يلبس جوربين، إنها تعرفه جيداً، ولم يقاها ذلك. فالعديد من الرجال في ساوثامبتون يفعلون ذلك. إنه نوع من الموضة، بالرغم من أن تشارلز علق على الموضوع، وقد ليس جوربين مناسبين لبلذته. بدأ بلايك وسيماً جداً بشعره الأسود وبشرته التي لفحتها الشمس، وكذلك كان تشارلز. كانا رجلين وسيمين. ومع شعرها الأشقر الطويل وفستانها الذهبي الباهت، بدت ماكسين فائتة.

دعا بلايك مئة شخص من لائحة مدعوي ماكسين، وعشرة أشخاص تقريباً من معارفه. مئة فرقة موسيقية من عشرة عازفين تعزف كل أنواع الموسيقى، من موتاون، إلى موسيقى الفرق الكبيرة، إلى موسيقى السوينغ. وكانت معنويات الجميع جيدة. تدفق الشراب الخفيف مثل الماء، ولاحظت ماكسين أن دافني أخذت كوباً، فأشارت إليها قائلة: «كوب واحد فقط»، وأومات دافني علامة الموافقة. لكن ماكسين سراقها على أي حال.

كانت روية كل أصدقائها منعمة بالنسبة إليها، وكذلك تعريف تشارلز إلى الأشخاص الذين لا يعرفهم. كان والدها حاضرين، وارتدت أمها فستاناً سهرة باللون الأزرق الباهت مع سترة، فيما ارتدى والدها سترة

بيضاء مثل سترة بلايك. إنهم مجموعة مرتبة.

توقف والد ماكسين للتحدث إلى تشارلز لدقائق قليلة قبل العشاء، وسأله كيف كانت رحلة اليخت. لم يره منذ ذلك الحين. «إنه يخت عملاق، أينس كذلك؟» قال بتروح، ووافق معه تشارلز وقال له إنه أمضى وقتاً جيداً من الصعب عدم فعل ذلك.

افتتح تشارلز الحظة بالرقص مع ماكسين، وبدوا سعيدين ومسترخيين، ومرتاحين بين ذراعي بعضهما. كانا ثنائياً جذاباً جداً. وكانت حفلة جميلة. زَيْن بلايك السادي بألف وردة بيضاء ومصابيح ورقية مطلية باللون الذهبي.

ألقى خطاباً وجيزاً قبل العشاء، وأخبر بعض القمص المضحكة عن ماكسين جعلت الجميع في حالة هستيرية، بما في ذلك ماكسين. بدأ تشارلز منزعجاً قليلاً، لكنه استوعبها، لم يحب فكرة أن بلايك يعرفها أكثر منه، ولديه تاريخ معها، تعنى لهما بلايك بعد ذلك الخير سوية، وقال إنه يأمل أن ينجح تشارلز في إسعادها أكثر مما فعل هو. كانت لحظة مؤثرة، وتلاؤت الدموع في عيني ماكسين. بعد ذلك، وقف تشارلز وشرب نخب مضيقهم الكريم جداً، ووعده بإسعاد ماكسين إلى الأبد. تأثر الجميع.

طلب بلايك من ماكسين أن ترقص معه بعد ذلك، بين أطباق العشاء، وتحركا على حلبة الرقص مثل فريد أستير وجينغر روجيرز. لطالما رقصا جيداً مع بعضهما.

قالت له: «كان لطفاً منك قول ذلك، كنتك جعلتني سعيدة. لطالما كنت سعيدة معك، بلايك. لكنني لم أحصل على ما يكفي منك، ولم أعرف أبدأ أين كنت. لقد تخليت عني بعدما جنيت كل ذلك المال».

قال بهدوء: «لم أنفلّ عنك، ماكس، لم أنفلّ عنك بعد. لم أكن ناضجاً كفاية لاستيعابك في تلك المرحلة. أظن أنني عرفت ذلك، وخفت كثيراً. كنت أكثر ذكاء مني، وأكثر حكمة مني في العديد من الأمور. نتبهن يوماً إلى الأمور المهمة، مثل أولادنا».

قالت بعفوية: «وأنت أيضاً، أردنا فقط أشياء مختلفة. أردت أنا العمل وأردت أنت اللهب».

«أظن أن هناك قصيدة فرنسية عن هذا الموضوع. وانظري إلى أين وصلت. بحسب دافني، أنا محاط بالساقطات». كانا يضحكان على العبارة، حين تدخل تشارلز، وأخذ ماكسين بعيداً بين ذراعيه.

قال بطريقة مشككة: «لماذا كلنما تضحكان؟ تبهوان وكأنكما تمضيان وقتاً رائعاً».

«عن شيء» قالت له دافني، بشأن ساقطاته».

قال بعدم موافقة ظاهرة: «إنه تعليق فظ لنقول له لوالدها».

قالت ماكسين وهي تمسك مجدداً: «لكن هذا صحيح». انتهت الرقصة، وعادا إلى طاولتهما. شعرت أن تشارلز لم يكن يرغب فعلاً بالرقص معها، وإنما أراد فقط إبعادها عن بلايك.

رتب بلايك كراسي العشاء بطريقة مثالية. كان كل الأشخاص المفضلين لديها على طاولتها مع تشارلز، وكان أصدقاء بلايك على طاولته. لم يحضر معه صديقة للسهرة، ولذلك اجلس والدة ماكسين إلى يمينه، وهذا ملائم. انتبه تشارلز إلى ذلك أيضاً، كان يلاحظ كل شيء وراقبهما هما الاثنين طوال الليل. لم يعد عينيه أبداً عن ماكسين أو بلايك. بدأ مثل رجل قلق. الوقت الوحيد الذي شعر به بالاسترخاء كان خلال رقص ماكسين مع جاك أو سام.

استمر الجميع في الرقص حتى منتصف الليل، بعد العشاء، وحين دقت الساعة منتصف الليل، لمعت الألعاب النارية في السماء. لقد نظم بلايك لهما استعراضاً من الألعاب النارية، وصفت ماكسين بيديها مثل طفلة. إنها تحب الألعاب النارية، وعرف بلايك ذلك. كانت سهرة مثالية، غادر آخر الضيوف قرابة الواحدة بعد منتصف الليل. سينام تشارلز في الفندق هذه الليلة، وأصرت هي على ذلك. في النهاية، قرر والداها النوم هناك أيضاً بدلاً من النوم عندها. رقصت رقصة أخيرة مع بلايك وشكرته على



استعراض الألعاب النارية. أحببت ذلك. وسأنته إذا كان يمنع إقبال  
الأولاد وزيلي إلى المنزل. ستأخذ تشارلز إلى الفندق حيث سينام كي لا  
يرى بعضهما حتى ساعة الزفاف. وعدها بلايك باصطحابهم إلى المنزل  
خلال نصف ساعة.

حين انتهت الرقصة، عادت إلى تشارلز وغادرا.

كان الزفاف ظهر اليوم التالي. لكن الجميع قالوا إن حفلة العشاء  
كانت ممتازة. تحدثت هي وتشارلز عنها في طريقهما إلى الفندق، وتذكر  
من الأمر، بدا له الأمر تقليداً سخيفاً. كان يفضل البقاء في المنزل، لكن  
ماكسين أصرت. قبلها تشارلز، مما ذكرها بسبب زواجها به. إنها تحبه،  
بالرغم من قول دافني عنه إنه «متمزمت». سيسافران إلى باريس في الليلة  
التالية، وسيقومان برحلة في وادي لوار، وبدأ وكأنه شهر العسل المثالي  
بالنسبة لئيبا.

قال بعجلة: «سأنتاق إليك الليلة». وقتلته مجدداً.

«سأنتاق إليك أنا أيضاً». همست له وهي تضحك. تناولت مقداراً  
وفيراً من الشراب الخفيف في الحفلة، لكنها لم تكن في حالة يرثى لها، وهي  
واثقة من أنها رصينة. «حين أراك في المرة التالية، وبعد عشر دقائق من  
ذلك. أصبح السيدة ويست»، قالت وهي تبسم له. كانت أمسية جميلة.

قال: «لا أستطيع الانتظار». وقتلها للمرة الأخيرة، ثم خرج على  
مضض من السيارة، ولوح لها، ودخل الفندق، وقادت السيارة بعيداً.

حين وصلت إلى المنزل، دخلت إلى غرفة الجلوس، وسكبت لنفسها  
كوباً آخر من الشراب الخفيف. بعد دقائق قليلة، سمعت سيارة بلايك تتوقف  
وفيها زيلي والأولاد. تركت زيلي جيمي في المنزل مع حاضنة، غادرت  
ما إن وصلوا، وأحتت زيلدا على كل الأولاد بالصعود إلى الأعلى للنوم.  
كانوا مرهقين، واختفوا بعد أن نموا لوالديهما اللذين جلسا على الأريكة  
يتحدثان ليلة سعيدة.

كانت معنويات بلايك جيدة، وبدت ماكسين بحالة مقبولة نوعاً ما

بالنسبة إليه، أكثر مما كانت في الحفلة. تصرفت برصانة هناك، لكنها تفعل  
ذلك على نحو أقل الآن، بعد كوبين إضافيين من الشراب الخفيف. سكب  
لنفسه كوباً أيضاً. كانا يستمتعان بالتحدث عن السهرة. شرب بلايك الكثير  
من الشراب هذه الليلة، لكنه لا يزال رصيناً. وبدا مثل نجم سينمائي في  
ستروته البيضاء. كان كلاهما هكذا، وشربا نخب بعضهما.

«كانت حفلة رائعة»، قالت له وهي تمشي في غرفة الجلوس بفسانها  
الذهبي، ورمت بنفسها بين ذراعيه. «أنت تقيم حفلات رائعة. كانت ممتعة  
فعلاً، أليس كذلك؟».

«أظن أنه من الأفضل لك أن تجلسي قبل أن تقعي، أيتها الشقية»،  
مازحها.

«لست في حالة يرثى لها»، أصرت، وكان هذا دليلاً واضحاً على  
أنها في حالة يرثى لها. لطالما أحب ماكسين حين تبدو على هذه الحال.  
إنها مرححة جداً وجذابة جداً، ونادراً ما تكون على هذه الحال، لكنها ليلة  
خاصة. «هل تظن أنني سأكون سعيدة مع تشارلز؟»، سألته بتعبير جدي.  
فجأة، توجب عليها العمل أكثر من المعتاد للتركيز عليه.

قال بلايك بصراحة: «أتمنى ذلك، ماكس». كان في وسعه قول شيء  
آخر، لكنه لم يفعل.

قالت وهي تحرك عينيها قليلاً: «إنه ناضج، أليس كذلك؟ مثل  
والدي؟»، فيما نظرت إلى بلايك، لكنها لا تزال تبدو أجمل من أي وقت  
مضى، وتوجب عليه تذكير نفسه بضرورة عدم استغلال الوضع. لن يكون  
ذلك عادلاً. لن يفعل أي شيء يورثها، وخصوصاً الليلة. لقد فاتته القطار،  
وهو يعرف ذلك. انتقل من الشراب الخفيف إلى الشراب الروسي، وسكب  
لها ما تبقى من الشراب الخفيف في منزلها.

أجاب بلايك: «نعم، إنه مثل والدك، كلاهما طبيبان». بدأ يشعر  
بالثقل من الدور هو الآخر، ولم يبال. فإذا كان سيصبح بحالة يرثى لها  
يوماً ما، فالليلة مناسبة.

قالت له مع حازوقة عالية: «أنا طيبية أيضاً، طبية نفسية، متخصصة في الصدمات. ألم التي بك مؤخراً في المغرب؟». ضحكت بقوة على سؤالها، وضحك هو أيضاً.

«تبدين مختلفة في جزمة العمل. أظن أنني أحبك أكثر في الكعب العالي». أمسكت بساقها، ونظرت إلى صندلها الذهبي، وأومات له علامة الموافقة.

«وأنا أيضاً. فالجزمة تسبب لي القروح».

«انتعلي الكعب العالي في المرة التالية»، تصمها وهو يشرب الشراب الروسي.

«سأفعل. أعذك. تعرف؟»، قالت له وهي تشرب الشراب الخفيف، «لدينا أولاد رائعون فعلاً. أحبهم كثيراً».

«وأنا أيضاً».

قالت وهي تطيب حاجبها: «لا أظن أن تشارلز يجهم».

قال بلايك: «وهم لا يحبونه أيضاً». وضحكا بقوة على ذلك. ثم نظرت إليه ماكسين كما لو أنها تفعل ذلك من مسافة بعيدة.

«لماذا نطلقاً على أي حال؟ هل تذكر؟ أنا لا أذكر. هل فعلت شيئاً لي؟». أصبحت في حالة يرثى لها تماماً حينها، وكذلك بلايك. ايشم بحزن «نسيت أن أعود إلى المنزل».

قالت وهي تبسم له ببراعة: «آه. هذا إذا. الآن أذكر. هذا موسم جداً. أنت تعجيتي فعلاً... لا بل أحبك». وأصدرت حازوقة مجدداً.

قال بلايك بلطافة: «أنا أحبك أيضاً». ثم استعاد وعيه قليلاً. «يجدر بك ربما الذهاب إلى السرير، ماكسن، سنعاني من وجع كبير في الرأس غداً في زفافك». الشراب الخفيف يزجج دوماً في اليوم التالي.

سألته وهي تبدو مذهولة قليلاً «هل تطلب مني الذهاب إلى السرير معك؟».

«لا، لا أفعل. وإذا فعلت، سينزعج تشارلز كثيراً غداً، وستشعرين

أنت بالذنب. لكنني أظن أنه يجدر بك الذهاب إلى السرير». أنهت ما تبقى من كوب الشراب الخفيف فيما قالت ذلك، ولاحظ حينها أنها أصبحت في حالة يرثى لها فعلاً. الكوب الأخير أحدث كل الفرق، وبدأ يشعر أنه هو الآخر في حالة يرثى لها. الشراب الروسي أثر فيه بعد ليلة طويلة من الشرب، أو ربما رويتها بهذه الطريقة في قستانها الذهبي. إنها فائنة. لظالما كانت كذلك بالنسبة إليه. تذكر فجأة، وتساءل كيف نسي هذا.

قالت له: «لماذا يجدر بي الذهاب إلى السرير باكراً جداً؟».

«لأنه يا سندريلا»، قال بهدوء وهو يحملها بين ذراعيه ويرفعها عن الأرضة، «ستحولين إلى بقطينة إذا لم تفعلي. وستزوجين الأمير غداً». بدأ يتوجّه إلى غرفة نومها.

«لا، لن أفعل. سأنزوج بتشارلز. أذكر هذا. وليس بالأمير. بل الأمير هو أنت. لماذا أتزوج به؟». بدت فجأة منزعجة، وضحك بلايك فيما يحضر وكاد يوقعها أرضاً، ثم ثبتت نفسه. كانت خفيفة مثل الريشة.

«أظن أنك تتزوجين به لأنك تحبينه»، قال فيما أدخلها إلى غرفتها، ووضعها برفق على السرير، ثم وقف ينظر إليها، ويترنح قليلاً. كانا في حالة يرثى لها.

قالت ماكسين بسرور: «آه. هذا جميل، أخيه. ويجدر بي فعلاً الزواج به، إنه طيب». ثم نظرت إلى بلايك. «أظن أنك في حانة تحول دون عودتك إلى المنزل، وأنا في حالة يرثى لها لأوصلك». إنه تقييم دقيق تماماً للوضع. «من الأفضل لك أن تبقى هنا». فيما قالت ذلك، كانت الفرقة تدور حوله.

«سأستلقي فقط لدقيقة حتى أستعيد توازلي، إذا كنت لا تنزعجين. ثم أعود إلى المنزل. لا تمانعين، أليس كذلك؟»، سألها فيما استلقى قربها بسترته وحذاءه.

قالت: «لا أمانع أبداً». والتفتت نحوه، ووضعت رأسها على كتفه. لا تزال ترددي القستان الذهبي، وتتأمل الحذاء الذهبي. «أحلام سعيدة».

همست له فيما أغضت عينيها وخلدت إلى النوم .  
قال بلايك: «هذا اسم بختنا» . وأغضت عينيه وخلد إلى النوم .

## الفصل الرابع والعشرون

رَنَّ الهاتف لقسرة طويلة في منزل ماكسين في صباح اليوم التالي .  
إنها العاشرة صباحاً ، ورن الهاتف مراراً وتكراراً من دون أن يجيب أحد .  
لا يزال الجميع نياماً . سمعه سام أخيراً ، ونهض من السرير للرد على  
المتصل . لم يكن هناك أي صوت في المنزل .

«مرحباً؟» ، قال سام ، وهو لا يزال يرتدي ثياب نومه ، فيما نثأب .  
تأخروا جميعاً في النوم ، وكان متعباً ، لا يعرف أين هم الآخرون ، لكنه  
يعرف فقط أن دافني شربت الكثير من الشراب الخفيف في الليلة الفائتة وأنه  
وعدها بعدم إخبار أحد حين تقيأت بعد عودتهم إلى المنزل .

«مرحباً سام» . إنه تشارلز . بدا مستيقظاً تماماً . «هل أستطيع التحدث  
إلى أمك من فضلك؟ أريد فقط أن أقول لها مرحباً . لا بد من أنها مشغولة  
كثيراً قبل الزفاف» . أخبرته أنه سيأتي شخص ما للاهتمام بشعرها وزينتها .  
وهو واثق من أن المنزل أشبه بحديقة حيوانات . «هل يمكنك مصادفاتها؟  
أحتاج فقط إلى دقيقة» . وضع سام السماعة ، ودخل بقدميه الحافيتين إلى  
غرفتها . نظرت عبر الباب المفتوح ، وشاهد والديه نائمين في ثيابهما . كان  
والده يشخر ، ثم بدأ بإيقاظهما ، فعاد إلى الهاتف ورفع السماعة .

قال بوضوح: «لا يزالان نائمين» .

«هما؟» . عرف تشارلز أنه ليس سام لأنه يتحدث إليه عبر الهاتف .  
ومن يشام معها في هذه الساعة يوم زفافهما؟ بدا الأمر غير منطقي بالنسبة  
إليه .

شرح سام «والذي هنا أيضاً» . إنه يشخر ، سأقول لها إنك اتصلت  
حين نمتيظ من النوم» . أغلق الهاتف في وجه سام ، وعاد الضبي ليصعد  
إلى غرفته . بما أن أحداً لم يستيقظ بعد ، لم يز سبباً لاستعداده الآن . شغل

التفاز، وللمرة الأولى، لم يسمع صراخ ابن زلي. بدا وكأن الجميع قد ماتوا.

وصل مصفف الشعر واختصاصي التبرج في تمام العاشرة والنصف. أدخلتهما زليدا، وأدركت أن الوقت قد حان، فذهبت إلى غرفة ماكسين لإيقاظها. تفاجأت زليدا لرؤية بلايك ينام بقرها. لكنها فهمت ما حصل. لا يزالان يرتديان ثيابهما. لا بد من أنهما كانا في حالة يرثى لها كثيراً في الليلة الماضية. وخزت ماكسين برقيق على كعفها، وبعد عشر محاولات تقريباً، تحركت أخيراً، ونظرت إلى زليدا وهي تتأهب. أغمضت عينيها فوراً، وأسكت برأسها. كان بلايك نائماً قريباً، ويشخر مثل حيوان أليف.

«آه يا الله»، قالت ماكسين وهي تمض عينيها من الضوء. «يا الله... لا بد من أنني أعاني من ورم في الدماغ وأكاد أموت».

قالت زليدا بهدوء محاولة عدم الضحك عليها: «أظن أنه الشراب الخفيف».

قالت ماكسين: «توقفي عن الصراخ!» وأغمضت عينيها. أكدت لها زليدا «أنت في حال سيئة، وصل مصفف الشعر واختصاصي التبرج، ماذا أقول لهما؟».

قالت وهي تحاول الجلوس: «لا أحتاج إلى مصفف شعر، أحتاج إلى جراح دماغ... يا الله»، قالت وهي تنظر إلى بلايك. «ماذا يفعل هنا؟» ثم تذكرت. ونظرت إلى زليدا بتدهول.

«أظن أنكما بخير. ما زلتما ترتديان ثيابكما».

وخزته ماكسين حينها وهزته ليستيقظ. تحرك قليلاً، وتأوه مثلما فعلت هي.

«إنه وباء أورام الدماغ ربما»، اقترحت زليدا، فيما فتح بلايك عينيها، ونظر إليهما مبسماً ابتسامة عريضة.

«تم خطفي. مرحباً زلي. لماذا لا يكي طفلك؟».

«أظن أنه مرهق. ماذا أحضر لكما؟».

قالت ماكسين: «طبيب، لا... اللعنة... لا تفكروني في ذلك. إذا رأنا تشارلز، سيقتلني».

قالت زليدا بصرامة: «لا حاجة إلى أن يعرف، ليس هذا من شأنه. لم تصبحي زوجته بعد».

«ولن أكون أبداً إذا عرف بذلك»، تأوهت ماكسين. بدأ بلايك يظن أنها ليست فكرة سيئة. وقف حينها، وحرك ساقيه، وربط ريبطة عنقه، وتوجه مباشرة نحو الباب.

قال كما لو أن هذا مفهوم ثوري: «سأذهب إلى المنزل».

«اشرب الكثير من القهوة حين تصل»، اقترحت زليدا. لا يزالان يبدوان في حالة يرثى لها بالنسبة إليها، ويعانيان من أسوأ صداع رأته في حياتها. «كم شربتما أثناء الاثنان؟»، سألت زليدا ماكسين فيما سمعا الباب الرئيسي للمنزل يغلق وراء بلايك.

«الكثير. الشراب الخفيف يقتلني دوماً»، قالت ماكسين فيما نهضت عن السرير، ودخلت سام إلى الغرفة للثور عليها.

«أين بابا؟»، سأل وهو ينظر إلى أمه. بدت أسوأ كثيراً من دافني، التي كانت تعاني من تأثيرات الشراب أيضاً.

«ذهب إلى المنزل». مشت ماكسين في الغرفة على أطراف أصابعها فيما اشتعلت الألعاب النارية في رأسها. أصوات اللبلة الماضية تتكرر، ولكن ليس بطريقة جميلة.

«اتصل تشارلز بك»، أعلن سام، فيما توقفت أمه، وبدت كما لو أنها أصيبت للتو بطلق نار.

سألت بصوت خشن «ماذا قلت له؟».

«قلت له إنك نائمة». أغمضت عينيها ارتياحاً. لم تجرؤ على سؤاله إذا ذكر والده. «قال إنه يتصل بك فقط ليقول لك مرحباً وسيرالك في الزفاف، أو شيئاً من هذا القبيل».

«لا أستطيع الاتصال به. أنا مريضة جداً. سيعرف أنني كنت في حالة

يرثي لها الليلة الماضية، وسيلق حينها».

قالت زيلدا: «سرتبه في الزفاف، أنت في حال مزرية. علينا مساعدتك. استحمي، وسأحضر لك بعض القهوة».

«جيد... نعم... هذه فكرة جيدة». دخلت الحمام، وشعرت أن الساكبين تغرز في جلدنا.

فيما كانت تستحم، صعدت زيلدا إلى الأعلى لإيقاظ الأولاد. بدت دافني في حال سيئة تماماً مثل أمها، وبخنها زيلدا ووعدها بعدم إخبار أحد. نهض جاك من السرير، ونزل إلى الأسفل لتناول الفطور. بدا بخير.

سكبت زيلدا كوبين من القهوة لماكسين، وخفقت لها البيض بالرغم من احتجاجاتها. أعطتها حبتين من الأسبيرين مع القهوة، وياشر مصفف الشعر عمله في المطبخ. سبب لها وضع مساحيق التجميل على وجهها الألم والانزعاج، أما تصفيف شعرها فكانت نتائجه أسوأ حالاً. لكنها مضطرة إلى ذلك، لا تستطيع عدم تصفيف شعرها ووضع مساحيق التجميل يوم زفافها.

في غضون نصف ساعة، انتهت ماكسين من تصفيف شعرها ووضع مساحيق التجميل، وبدت أفضل من أي وقت مضى. شعرت أنها في حال مزرية، لكن ذلك لم يظهر إلى العن. لقد أنجزت اختصاصية التجميل عملاً جيداً، وكان وجه ماكسين يتألق إشراقاً. رقع مصفف الشعر شعرها إلى الأعلى في جديلة فرنسية بسيطة، وزينها ببعض اللؤلؤ. بالكاد استطاعت ماكسين التحرك فيما نهضت، وكانت تشعر بوخز كبير في عينيها كلما رأت ضوء الشمس.

«أهمل لك زيلي إنني أشعر أنني سأموت»، قالت وهي تغمض عينيها لدقيقة، فيما نزلت دافني إلى الطابق السفلي، شاحبة، لكن شعرها كان مشطاً بطريقة مرتبة، ووضعت الملمع على شفتيها، لأن هذا كل ما تسمح به أمها. كانت ماكسين مريرة جداً لتلاحظ أن دافني في حالة يرثي لها،

ولم يتفوه سام بأي كلمة، وكذلك لم تفعل زيلي.

في الثانية عشرة إلا عشرين دقيقة، كان كل الأولاد، بما في ذلك دافني، يرتدون ثيابهم. أقنعت زيلدا دافني بارتداء ثوب الخزامى بعدما هدتها بأنها ستخبر الجميع بأنها كانت في حالة يرثي لها إذا لم تفعل ذلك. نجحت الخطة. ثم ذهبت زيلدا لإحضار فستان ماكسين وحذائها، فيما وقتت ماكسين نفسها مثل الحصان المكسور في المطبخ، وأغمضت عينيها.

انتعلت ماكسين الحذاء، وساعدتها زيلدا على ارتداء الفستان. أغلقت النساب وربطت الوشاح، وشيق الأولاد حين رأوها. تبدو مثل أميرة حقيقية.

قالت دافني: «تبدين رائعة فعلاً، أمي». وكانت تقصد ذلك فعلاً.

«شكراً، أشعر بالغربة. أظن أنني مصابة بالأنفلونزا».

قال سام وهو يضحك: «كنتما في حالة يرثي لها أنت والبابا». فيما وجهت إليه أمه نظرة غاضبة.

«لا تقل هذا لأي كان. وخصوصاً لتشارلز».

«أعدك بذلك». لم يذكر لها حتى أنه أخير تشارلز أن والده كان يشخر.

كانت السيارات تنتظرهم في الخارج، وعادت زيلدا بعد دقيقة في فستان من الحرير الأحمر، وقد انتعلت حذاء من الجلد الأسود اللامع، وكانت تحمل طفلها. بدأ يتعلم، لكنه لم يبدأ بالكاء بعد. أدركت ماكسين أنه إذا بكى، فسيتسطر رأسها إلى نصفين، وتوصلته بصمت كي لا يفعل ذلك. سيلتفون بوالديها وبلايك في دار العبادة.

ثمة سيارة في انتظار زيلي والأولاد، وأخرى لها. أسندت رأسها إلى المقعد، وأغلقت عينيها في طريقها إلى دار العبادة. إنه أسوأ صنادع عانت منه في حياتها. اقتنعت تماماً أن الله يوبئها لأن بلايك أمضى الليل عندها. لم يكن يفترض حصول ذلك. لكن على الأقل لم يحصل أي شيء.

وصلت الليوموزين التي كانت تلقاها إلى دار العبادة عند الساعة الثانية

عشرة إلا خمس دقائق. وكانت السيارة التي نقلَ الأولاد خلفها. مشت ماكسين باكسر ثبات ممكن باتجاه رجل الدين وكان والداها في انتظارها هناك. يفترض ببلايك المجيء واصطحاب الأولاد قبل الاحتفال، ووصل بالفعل مباشرة بعدها. بدا أسوأ منها. كانا ثنائياً متناغماً. ابتمت له بالم، وضحك لها وقبّلها على جبينها.

«تبدين فانتة، ماكس. لكتك في حال سبتة».

«نعم وانت أيضاً». كانت سعيدة برويتها.

«أنا أسف بشأن الليلة الماضية»، همس لها. «لم يكن يجدر بي السماح

لك بشرب كل الشراب الخفيف».

«لا تطلق. فعلت ذلك بنفسي. أظن أنني أردت أن أكون على هذه الحال». كان والداها بصغيان باهتمام إلى الحديث، فيما دخل تشارلز وقد بدا غاضباً. نظر إليهم جميعاً بعينين كبيرتين ثم نظر إلى ماكسين بنوب الزقاف. لا يفترض به رؤيتها. وفيما حثق إليها، جاء منتق الزهور وسلمها اليافعة، وحاول تثبيت زهرة أوركيدة صغيرة على صدر تشارلز. لكنه أبعده بقوة.

«كنت معك الليلة الماضية، أليس كذلك؟»، صرخ في وجه ماكسين وهو يشير إلى بلايك. عند سماع ذلك، أمسكت برأسها.

«أه، يا الله، لا تصرخ!».

نظر تشارلز إلى بلايك، وأدرك كم هي في حالة يرثى لها. لم يشاهدها أبداً بهذه الحال.

«أنا شربت الكثير من الشراب، وهو نام»، شرحت له. «لم يحصل أي شيء».

«لا أصدق أي كلمة من ذلك»، قال وهو يحثق إليها. «أنتم جميعاً سجاتين. وأنتم تصرفان كما لو أنكما ما زلتما متزوجين. أولادكما مزعجون. أطفال مخدرات، يخوت، ساقطات. أنتم مرفون جميعاً. لن أتزوجك ماكسين. لا يمكنك إجباري على الارتباط بهذه العائلة. أنا وأنت

من أنك كنت على علاقة به طوال الوقت». فيما قال ذلك، انفجرت ماكسين في البكاء وقيل أن تتمكن من إجابته، تقدم ببلايك بخطوة إلى الأمام، وأمسك تشارلز بباقة سترته كاتكية اللون ورفعها عن الأرض.

«هذه زوجتي التي تتحدث إليها، يا ابن الساقطة. وهؤلاء أولادي الذين قلت إنهم مزعجون. ودعني أقول لك شيئاً أيتها الأحمق. لن تتزوج بك على الإطلاق. لست جيداً كفاية لتسمع حديثها، ولذلك ابتعد فوراً عن ناظرتي». رمى تشارلز خارج الباب حينها، استدار تشارلز، وغادر مسرعاً. فيما حدثت ماكسين إلى بلايك.

«اللعنة، ماذا سافعل الآن؟».

«هل كنت تريد الزواج به؟»، سألتها بلايك بتظرة قلقة، وهزت رأسها كما لو أنها كانت مجبرة على فعل ذلك.

«لا، لم أكن أريد ذلك. عرفت ذلك الليلة الماضية».

«لم يفت الأوان أبداً». قال بلايك فيما صرخ الأولاد فرحاً. إنها المرة الأولى التي يرون فيها والدهم يفعل شيئاً ما، وأحبوا الطريقة التي جعل فيها تشارلز يهرب بعيداً. لقد أن الأوان لذلك برأيهم.

«حسناً، كانت هذه بداية مثيرة للنهار»، قال آرثر كوروز وهو ينظر إلى صهره السابق. «ماذا ستفعل الآن برايك؟». لم يكن أسفاً، وإنما فقط قلق.

«يتوجب على شخص ما إخبار الآخرين بأن الزقاف قد أُلغى»، قالت ماكسين وهي تجلس ببطء على الكرسي. صرخ الأولاد فرحاً مجدداً، وابتسمت زيلدا. لم ينك الطفل على الإطلاق، كان لائقاً. ربما لم يكن يحب تشارلز.

قال بلايك وهو ينظر إليها: «من المؤسف تبديد فستان رائع مثل هذا، وقد بدت الأزهار رائعة حين نظرت إلى دار العبادة. ما رأيك لو استعملناها بطريقة جيدة؟». ثم نظر إليها بجدية، وأخفض صوته فيما تحدث إليها، كي لا يسمعه أحد آخر. «أعدك ماكسين بأن أعود إلى المنزل هذه المرة. لست

غيباً كما كنت في السابق. لقد سمعت من الساقطات ماكس».

قالت بهدوء وهي تنظر إليه مباشرة في عينيه: «جيد». عرفت أنه يقول لها الحقيقة، وسيعود هذه المرة إلى المنزل. لا يزال نذلاً، لكنها تحب ذلك فيه، وقد نضح. نضح كلاهما. لم تعد تتوقع منه أي شيء سوى أن يكون بلايك. واكتشفت أنها تحب من تكون معه. اكتشفا أفضل ما في بعضهما.

«ماكس؟»، هز رأسه فيما سألها. أصبحت الساعة الثانية عشرة والنصف حينها، وكان مدعوو الزفاف ينتظرون في دار العبادة منذ نصف ساعة فيما الموسيقي تعزف.

«نعم»، لفظت الكلمة وقتها. هذا ما أرادا فعله في الليلة الماضية. احتاجا إلى تشارلز ليعيدهما إلى بعضهما مجدداً. كان تشارلز كل ما يجدر بها أن ترغب به، لكن ما تريده، وكل ما تريده هو بلايك.

قال بلايك: «فلنذهب!». وقد نسي حالته التي يرثى لها، وشعرت بالتحسن هي الأخرى. «جارك، خذ جديتك إلى الصف الأمامي لدار العبادة. وسام، خذ زيلي، دافني، ستاين معي». - نظر إلى حميه وتبادلا ابتسامة- «هل أنت موافق بالمناصفة؟». لم يعد الأمر مهماً بالنسبة إليهما، لكنه لم يشأ أن يشعر بأنه منبوذ.

قال آرثر وهو يتنسم ابتسامة عريضة لبلايك: «كانت سموت من الضجر مع الرجل الآخر، وأنا أيضاً». فيما ضحكت ماكسين.

«أعطيانا خمس دقائق، ثم ادخلا إلى دار العبادة». رجل الدين ينتظر منذ أكثر من نصف ساعة ويتساءل عما حصل.

خرجوا جميعاً مسرعين من الباب، وراقبهم المدعوون. تعرفوا جميعاً إلى بلايك، واحتاروا قليلاً حين رأوه هو ودافني يقفان جنباً إلى جنب، ثم انضم إليهما سام وجارك بعد دقيقة. إنه بلا شك زفاف عصري جداً إذ يعمل الزوج السابق على تسليم العروس. تأثر الضيوف وكانوا مذهولين قليلاً، جلست زيلي والجدة على المقعد، ووقف بلايك وأولاده

في المقدمة، منتظرين دخول ماكسين والدتها. وفجأة، تغيرت الموسيقى، وبدأت ماكسين تمشي نحو بلايك فيما عينها تنظران فقط إليه، وابتسم والدتها ابتسامة عريضة. لم تبعد عينيها أبداً عن بلايك فيما نظرا إلى بعضهما وكل السنوات التي تشاركاها مع بعضهما، الأوقات الجيدة والسيئة، اجتمعت كلها في هذه اللحظة السعيدة.

كان رجل الدين يراقبهما وقد فهم ما حصل. انحنى بلايك للتحدث إليه، وهمس له بأنهما لم يحصلا على إذن بالزواج.

همس له «ستجري الزفاف اليوم، أحضر الإذن يوم الاثنين، ونفعل الشيء مجدداً سرّاً، كيف يبدو ذلك لك؟».

قال بلايك باحترام: «رائع. شكرًا». ثم عاد للتفكير إلى عروسه مجدداً. صافح آرثر الذي ربت له على ذراعه وهمس له «أهلاً بك من جديد». خصص بلايك كل انتباهه لماكسين، ووقف بقربها فيما راقبهما الأولاد. لاحظوا أن عيني أهم تدمعان، وكذلك عيني والدهم.

التفت رجل الدين إلى الجميع حينها ونظر إليهم باحترام. «أعزائي»، بدأ بالقول، «نجتمع هنا اليوم لتزويج هذا الرجل وهذه المرأة، وحسبنا أهم، أو حسبنا أرى، أنهما كانا متزوجين قبلاً» \_ ألقى حينها نظرة سريعة على الأولاد- «مع نتائج جميلة جداً. وما أريد أن أقوله لكم إنه حين أبارك زواجاً، يدوم الزواج إلى الأبد. لذا، إن تعودوا مجدداً إلى هنا لتجولة أخرى». نظر تحديداً إلى ماكسين وبلايك اللذين كانا يتسمان لبعضهما. «حسناً، قليلاً».

«تجتمع هنا اليوم لتزويج هذا الرجل وهذه المرأة...». كل ما استطاعت ماكسين رويته هو بلايك، وكل ما استطاع هو رويته كانت هي، ولم يسمعا إلا بعضهما وأقرب تأثيرات حالتهما التي يرثى لها في أذانهما إلى أن قال كلاهما «نعم»، وقبلا بعضهما، وخرجا من دار العبادة. وهذه المرة. لم يفرح الأولاد ورجل الدين فقط، وإنما جميع الحاضرين في دار العبادة.

لم يكن هذا هو الزفاف الذي يتوقعه أو يتخيله أي منهم، ولا حتى ماكسين وبلايك، لكن هذا هو الزفاف الذي كان يجب أن يحصل، الزفاف الذي كان قدرهما. إنه زواج شخصين أحبا دوماً بعضهما، وفي النهاية نضح كل منهما بطريقته. إنه الاتحاد المثالي بين نذل رائع ومحبوب، وعروس سعيدة جداً.

غمز لهما والدها فيما مشيا بقرية في ممر دار العبادة. غمز له بلايك مجدداً، وضحكت ماكسين بصوت عالٍ.

مقتات